

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ



قبيلة تجمكانت ودورها الحضاري بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا

خلال القرنين 12-13هـ/18-19م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

تحت إشراف:

أ.د. محمد حوتية

إعداد الطالب:

ابراهيم حامد لمين

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الأساتذة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
01	أ.د. صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيساً
02	أ.د. محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفاً ومقرراً
03	أ.د. عبد الرحمن بعثمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	عضواً مناقشاً
04	د. أحمد جعفري	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً
05	د. عمر بن قايد	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً
06	د. عامر زناقي	أستاذ محاضر أ	جامعة الجلفة	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 1442-1443هـ / 2020-2021 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ



قبيلة تجمكانت ودورها الحضاري بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا

خلال القرنين 12-13هـ/18-19م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

تحت إشراف:

أ.د. محمد حوتية

إعداد الطالب:

ابراهيم حامد لمين

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الأساتذة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
01	أ.د. صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيساً
02	أ.د. محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفاً ومقرراً
03	أ.د. عبد الرحمن بعثمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	عضواً مناقشاً
04	د. أحمد جعفري	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً
05	د. عمر بن قايد	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً
06	د. عامر زناقي	أستاذ محاضر أ	جامعة الجلفة	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 1442-1443هـ / 2020-2021 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى روح جدنا العالم حمد أبولحية الفزاري ، وإلى روح العلامة الشيخ محمد باي بلعالم، وإلى روح العلامة الحاج عبد الرحمان حفصي رحمة الله عليهم جميعا ، وإلى جميع علماء وأعلام الجزائر إعظاما وإكبارا.

إلى والديّ الكريمين إجلالا واعترافا بالتضحيات التي بذلوها من أجلي طوال مشواري الدراسي، وإلى إخوتي وأخواتي وجميع أفراد عائلتي محبة واعتزازا.

إلى جميع أساتذتي ومشايخي عبر جميع المستويات والأطوار في المدرسة النظامية والقرآنية تقديرا ووفاء.

إلى كل من ساعدني في إنجاء هذا العمل شكرا وعرفانا.

ابراهيم

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور محمد الصالح حوته على إشرافه وحرصه الدؤوب والمتواصل على أن يتم هذا العمل في أحسن صورة، فكان متابعا لكل مراحل هذه الدراسة العلمية، ومذلا لكل الصعاب من بداية البحث إلى نهايته؛ فكان وبحق نعم المشرف على هذا العمل العلمي، فجزاه الله عنا كل خير. وأسدي وافر الشكر والتقدير للسادة الفضلاء؛ البروفيسور بوسليم صالح، والبروفيسور الحمدي أحمد، والبروفيسور بعثمان عبد الرحمن، والدكتور بريك الله حبيب الجكني، والدكتور بن ديد عبود الجكني على مرافقتهم العلمية الطيبة لهذه الدراسة التاريخية.

كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل أحمد محمود خونا الجكني على دعمه ومساعدته العلمية المتواصلة؛ ففضله بعد الله تعالى استطعت الحصول على العديد من الوثائق الجكنية المهمة في هذه الدراسة؛ وهو ما ساهم في مواصلة البحث في قبيلة تجكانت في مختلف الجوانب الحضارية، والشكر موصول كذلك للأستاذ الطاهر عبد العزيز الجكني الذي يسر لي الحصول على عدة وثائق مهمة بخزانة أهل العبد بتندوف، وأفادني بمعلومات تاريخية قيمة، ومهمة عن تجكانت تندوف أثرت هذه الدراسة، دون أن أنسى أن أشكر الشيخ أمانة الله بلعمش الجكني صاحب خزانة العلامة محمد المختار بن بلعمش للمخطوطات بتندوف، والسيد رمضاني سيدي حم بن سيدي أحمد البكاي الجكني الذي شجعني كثيرا وساعدني في الوصول إلى عدة مصادر مهمة في هذه الدراسة، وأشكر كذلك الأستاذ الفقيه تواقين عبد المنعم الجكني، والأستاذ بن طالب عبدالله الجكني وأخيه الدكتور بن طالب زين العابدين الجكني، والأستاذ بومدين عبدالله الجكني، والأستاذ عطية عومار، والشيخ عبد القادر بن العلامة محمد باي بلعالم، والأستاذة الإعلامية طيبي فاطمة على وقوفهم إلى جانبنا خلال إنجاز هذا العمل دون ادخار أي جهد في ذلك، والشكر موصول لكل من كانت له مساهمة في إنجاز هذه الدراسة من قريب أو بعيد، فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء، وجعل ما قدموه لنا من مساعدة في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

لائحة رموز المختصرات

- باللغة العربية:

الكلمة	اختصارها	الكلمة	اختصارها
جزء	ج	القرن	ق
صفحة	ص	وجه	و
طبعة	ط	ظهر	ظ
تحقيق	تح	دون تاريخ نشر	د.ت.ن
ترجمة	تر	دون مكان نشر	د.م.ن
ميلادي	م	توفي	ت
هجري	هـ	عدد	ع

- باللغة الفرنسية:

Opus citatum	Op.cit
page	p

- مقدمة

– التعريف بالأهمية العلمية لموضوع الدراسة:

تُعدُّ دراسة القبائل من الدراسات التاريخية المهمّة في استجلاء واقع مختلف الأوضاع العامة بحقبة تاريخية تتعلق بهذه القبيلة أو تلك، من خلال ما تؤدّي القبيلة بأفرادها وأعلامها من أدوار مهمة في أحداث التاريخ.

كما تُشكّل القبيلة أساس النظام الاجتماعي والسياسي في الحواضر الصحراوية، وضمن ذلك تتميز كل قبيلة عن الأخرى؛ وفق عُرف كل واحدة منها واهتماماتها، كما تُعد رابطة الدم بين أفراد القبيلة من أهم مقومات وحدتها وتماسكها.

وفي هذا الإطار برزت قبيلة تجكانت؛ باعتبارها واحدة من القبائل التي أدّت بعض الأدوار في مسيرة التاريخ، بالإضافة إلى تأسيسها لعدّة حواضر صحراوية، كما عرفت تميّزا علميا، ونشاطا حضاريا شمل مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتشهد على ذلك آثارهم العلمية في العديد من خزائن المخطوطات بالحواضر الجكنية. ومن هنا تأتي أهمية البحث في موضوع هذه الأطروحة الموسومة بـ:_____:

" قبيلة تجكانت ودورها الحضاري بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا خلال القرنين (12-13

18/19م)".

وسنحاول من خلال هذه الدراسة التاريخية المخصّصة لتجكانت؛ تتبع تاريخ هذه القبيلة من حيث أصولها وفروعها؛ والتطرق كذلك لحواضرها، ودورها الحضاري في مختلف جوانبه.

– أسباب ودوافع اختيار الموضوع:

لقد جاء اختياري لموضوع الدراسة؛ نتيجة لمجموعة من الأسباب الشخصية والموضوعية أهمّها:

- محاولة إثراء وتنويع الكتابات التاريخية حول الصحراء الجزائرية، وإبراز دور الدراسات المحلية؛ باعتبارها رافد من روافد المعرفة ولبنة هامة في صرح التاريخ الوطني والإفريقي.
- الاسهام في نفض الغبار عن بعض المصادر المحلية المخطوطة، خاصة ما تعلّق بتجكانت، وتمكين الباحثين والدارسين من التعرف عليها والاستفادة منها كل في مجاله.
- إطلاعي على مجموعة من المخطوطات والوثائق المحلية التي توضّح الدور الحضاري لقبيلة تجكانت، وذلك من خلال خزائني أهل العبد، وخزانة محمد المختار بن بلعمش بتندوف.
- تعرّفي على جوانب من تاريخ قبيلة تجكانت وإسهامات بعض أعلامها العلمية، ونشاطها الاقتصادي خلال مرحلة إعداد مذكرة الماجستير، وهو ما أثار فضولي في التعرف أكثر عليها.
- رغبتني الملحة في إبراز دور هذه القبيلة وأعلامها؛ نتيجة لأهميتها التاريخية، وبُعدها الوطني في تاريخ الجزائر.
- الموقع الجغرافي المتميز لانتشار تجكانت، خاصة في الجنوب الغربي الجزائري، وبالأخص في منطقة توات وتندوف، وتأثيرهما على باقي المراكز الحضارية الأخرى؛ كموريتانيا، والسنغال، ومالي، والنيجر.
- امتلاك القبيلة الجكنية للعديد من الخزائن العلمية التي تبرز جوانب من تاريخها وجهود علمائها، وهو ما يظهر جليا في خزائنها المنتشرة في حواضر الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا؛ كخزائني العلامة محمد المختار بن بلعمش، وأهل العبد بتندوف.
- تشجيع وتوجيه الأستاذ المشرف أستاذي الدكتور محمد الصالح حوتية - حفظه الله - في اختيار هذه الدراسة؛ كونه متخصص في الدراسات الإفريقية.

- الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة لإبراز الدور الحضاري لقبيلة تجكانت بجواضر الصحراء الكبرى، وذلك من خلال إظهار تراجم علماء تجكانت، والتطرق لإسهاماتهم العلمية في مختلف الجواهر الصحراوية، وكذلك التعرف على الواقع الاجتماعي والثقافي لتجكانت، من خلال ما خلفه هذا الواقع من موروث ثقافي مادي وغير مادي يميز الثقافة الشعبية لتجكانت، والذي يتمثل في الأمثال والحكم، والقصص، والأشعار، والعادات والتقاليد التي تتضمن الزواج والأعياد ومختلف الاحتفالات في المناسبات الشعبية.

كما تهدف هذه الدراسة أيضا إلى توضيح جوانب من النشاط الاقتصادي لتجكانت من خلال مشاركتها في قوافل التجارة العابرة للصحراء، التي ساهمت في ربط التواصل بين جواهر ضفتي غرب الصحراء الكبرى، هذا وقد خصّصت دراستي التاريخية لهذه القبيلة لما وجدته فيها من أعلام عبر تاريخها، كان لهم دور مهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لمنطقة الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، وهو ما يستدعي التعريف بهم والاستثمار في تاريخهم قدوةً لأحفادهم وأبناء وطنهم.

كما أن تتبّع الخلفية التاريخية لهذه القبيلة الجكنية، بدءً من تاريخ أصولها ثم فروعها، وجواهرها، وتوضيح دورها الحضاري بصفة عامة؛ يكشف لنا عن جوانب تاريخية مهمة في تاريخ الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، وفي تاريخ العلاقات بين بلاد المغرب والمشرق؛ بفضل الكشف عن جهود الأفراد والعلماء والحجاج، الذين ربطوا هذا التواصل.

بالإضافة إلى ذلك، فإن ما خلفه أعلام المجتمع الجكني في مختلف الجواهر من مؤلفات، ومخطوطات، ورسائل ونوازل، أظهرت رسوخهم العلمي وتقدمهم في الجانب التعليمي والثقافي؛ مما ساهم في تنوع عطائها الحضاري، وتماسك نسيجها الاجتماعي الذي أساسه نظام العرف القبلي الجكني الذي لا يتعارض في الغالب مع أحكام الشريعة الإسلامية.

- الإطار الزمني والمكاني للموضوع:

يُحدّد الإطار الزمني للموضوع بالقرنين 12-13هـ/18-19م، وهي مرحلة انتعاش وازدهار الدور الحضاري لقبيلة تجكانت بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا بجميع مجالاته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ وهي المرحلة التي يمكن تتبعها بالدراسة من خلال المصادر، سواء المخطوطة أو المطبوعة. وقد حاولت قدر الإمكان التقيّد بالفترة التاريخية المحددة في الدراسة في التطرق لعلماء تجكانت وإسهاماتهم العلمية.

وتنتهي الدراسة مع بداية القرن الـ20م؛ وهي مرحلة تعرض حواضر تجكانت للاحتلال الفرنسي، وبداية التضييق على القبيلة ما أثر سلبا على المردود الحضاري ودخول مرحلة المقاومة والتصدي للعدو من أجل استرجاع السيّادة.

أما الإطار المكاني (مجال الدراسة)؛ فيُحدد بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، وهو الوسط الجغرافي الذي توجد فيه أغلب فروع قبيلة تجكانت.

- إشكالية الدراسة:

ينضوي هذا البحث تحت إشكالية رئيسية، وهي: فيم يتمثل الدور الحضاري لقبيلة تجكانت بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا؟.

وتتفرع من هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات الفرعية، وهي كالاتي :

- ما هي أبرز خصائص الوسط الطبيعي والبشري لقبيلة تجكانت في الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا؟.

- ما هي أصول قبيلة تجكانت؟ وما هي فروعها، وأبرز حواضرها بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا؟ .

- كيف كان الواقع الاقتصادي لقبيلة تجكّانت؟ وما هو دورها في تجارة القوافل العابرة للصحراء؟.

- كيف كان الواقع الاجتماعي والثقافي لقبيلة تجكّانت؟ وما هي أبرز عاداتها وتقاليدها الاجتماعية؟.

- فيم تتمثل الإسهامات العلمية لأعلام ومشايخ تجكّانت؟ وما هي أهم الطرق الصوفية التي اتبعها الجكّنيون في تصوفهم؟.

- المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي التركيبي، من خلال وصف الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لقبيلة تجكّانت في مختلف حواضرها، وتتبع أصولها وفروعها وإسهاماتها العلمية أثناء الفترة مجال الدراسة، من خلال مقاربات تاريخية تخصّ قبيلة تجكّانت بداية، وتخصّ غيرها من القبائل التي تشترك معها نفس الوعاء الجغرافي؛ وهو ما يعزّز علاقات تجكّانت مع غيرها من القبائل الصحراوية.

- الدراسات السابقة:

من خلال ما اطلعت عليه من دراسات سابقة تناولت قبيلة تجكّانت، سواء الدراسات العربية أو الأجنبية، فإنني لم أعثر على دراسة شاملة تغطي الموضوع، وإنما فقط تحصلت على نتف خطية ودراسات جزئية متناثرة في مختلف الجوانب البحثية لهذه الدراسة، وهو ما حتم علي الرجوع إلى العديد من المصادر والمراجع لجمعها، وإخراجها في طابع شمولي يتناول تاريخ القبيلة الجكّنية خلال فترة الدراسة، وهذا ليس بالأمر الهين؛ نتيجة لوجود عدة ثغرات بحثية مهمة في التاريخ الحضاري لتجكّانت، تحتم علي أن أجد لها جوابا في التساؤلات التي كنت أ طرحها على نفسي طيلة تحضير هذه الرسالة العلمية.

ومن بين أبرز الدراسات السابقة التي اطلعت عليها؛ نذكر عل سبيل المثال لا الحصر:

- كتاب بعنوان: **حياة موريتانيا** لمؤلفه المختار بن حامد(ت.1414هـ/1993م)؛ الذي يُعرف بابن خلدون موريتانيا، وهو مؤرخ وعالم وشاعر موريتاني، ملأ الدنيا وشغل الناس في زمانه. خصّص الجزء السادس من هذا الكتاب لقبيلة تجكّانت، وهو مصدر مهم في هذه الدراسة ركّز فيه على تفرعات القبيلة، وبعض أعلامها في مختلف الحواضر الصحراوية، ويمكن القول أن هذا الكتاب وضع خريطة بشرية لانتشار تجكّانت في غرب الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا.

- كتاب بعنوان: **"العلاقات التجارية بين تيندوف وإفريقيا الغربية من خلال وثائق أسرة أهل العبد"**، للأستاذ الباحث بريك حبيب الله ، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تناول فيه الباحث العلاقات التجارية بين مدينة تيندوف وإفريقيا الغربية (بلاد السودان الغربي) من خلال دراسة بعض الوثائق التجارية المحلية لأسرة أهل العبد بتندوف، وذلك لأهميتها البالغة وقيمتها العلمية الهادفة، والتي تعتبر مصدرا من مصادر كتابة تاريخ المنطقة المحلي.

كما اعتنى الباحث بهذه الجزئية التي تتمحور حول العلاقات التجارية التي كانت تمارسها قبيلة تجكّانت بمدينة تيندوف منذ قرون خلت من خلال تجارة القوافل الصحراوية التي كانت تربطها بالمغرب الشقيق وبلاد السودان الغربي عبر المسالك الرابطة بين تيندوف والصويرة وتندوف وتنبكتو، والدور الفعال لتندوف من خلال قبيلة تجكّانت هو أكبر دليل على أن تيندوف عاشت فترة من الزمن في بجموحة اقتصادية بفضل تجارة القوافل الصحراوية الرائدة التي عرفت بما غرب إفريقيا في وقت سابق.

- كتاب بعنوان: **" الأزواد خلال القرن 13هـ/19م؛ دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية"**، للأستاذ الباحث مبارك جعفري، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ

الحديث والمعاصر، تطرق فيه الباحث للحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن التاسع عشر ميلادي، ولم يغفل الإشارة إلى مجال الدراسة جغرافيا وتاريخيا، بالتركيز على منطقة الأزواد وما لعبته من دور في تجارة القوافل الصحراوية. وقد أفدت من هذه الدراسة في جوانب عدّة ونوّرت لي طريق البحث والاسترشاد بها في كيفية التعامل مع بعض المصادر والمراجع.

– كتاب بعنوان: "تندوف وتجكانت تاريخا ومناقب وبطولات"؛ للباحث عبد الله حمادي الإدريسي، ومؤلف آخر لنفس المؤلف خصّ به أسرة بن بلعمش الجكنية؛ سّماه: "المناقب والمآثر الأعمشية الجكنية في حاضرهما التندوفية الصحراوية".

– خطة البحث:

اعتمدت في هذا البحث على خطة تتكون من مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة. وجاء الفصل الأول بعنوان: الإطار الجغرافي والاجتماعي والتاريخي للصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، وقد خصصته بدراسةٍ للوسط الطبيعي والبشري لقبيلة تجكانت، وفيه تناولت بالتعريف المجال الجغرافي للدراسة؛ المتمثل في الصحراء الكبرى، وذلك بتحديد موقعها وخصائصها الجغرافية والبشرية، إضافة إلى لمحة تاريخية عنها تشمل أهم مراحلها التاريخية من فترة ما قبل التاريخ إلى العصر الحديث.

وفي المبحث الثاني من هذا الفصل عرّفت بغرب إفريقيا؛ وذلك بالتطرق للخصائص الجغرافية، والتركيبية البشرية، مع إعطاء خلفية تاريخية تضمّنت الممالك التي شكّلت الواقع السياسي بغرب إفريقيا.

أما الفصل الثاني؛ فقد جاء بعنوان: أصول تجكانت وفروعها وحواضرها، وقد قسّمته إلى ثلاثة مباحث؛ تطرقت في المبحث الأول إلى أصول تجكانت وذكر ما فيه من خلاف بين

النسابة والمؤرخين بالعودة إلى المصادر التاريخية، وتناولت في المبحث الثاني فروع تجكّانت وانتشارها في حواضر الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا. أما المبحث الثالث؛ فخصّص لحواضر تجكّانت، حيث شمل حاضرة توات، وتينيقي، وتقبة، وتندوف، وشنقيط، وولاته، وتشيت، وغيرها من الحواضر سواء التي أسستها تجكّانت، أو أسسها غيرها وكان لتجكّانت استقرار بها.

كما تطرقت أيضا في هذا المبحث للفن المعماري لتجكّانت من خلال إعطاء نماذج عن العمارة في الحواضر التي أسستها تجكّانت، خاصة في حاضرة تينيقي، وتندوف، وتقبة، ومنطقة أقلاب تجكّانت.

وفي الفصل الثالث بيّنت الإسهامات العلمية لقبيلة تجكّانت؛ حيث قسّمت هذا الفصل إلى ثلاث مباحث؛ ففي المبحث الأول تطرقت لعلماء وعلماء تجكّانت وإسهاماتهم العلمية خلال القرنين 18 و19م، وذلك بوضع تراجم لهم تضم آثارهم وإسهاماتهم العلمية، ورحلات بعض أعلامها إلى الحج، وقد أردفت لهم تراجم تبين إسهاماتهم العلمية الغزيرة؛ التي ساهمت فيها رحلة الحج إلى المشرق، وذلك بفضل تواصلهم، واستفادتهم من عدة علماء في طريق الحج.

هذا، وقد اهتم **الفصل الرابع** بالتركيز على الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكّانت؛ حيث تطرقت فيه إلى النشاط التجاري لقبيلة تجكّانت، وذلك بذكر أهم السلع والبضائع التي لاقت رواجا في تجكّانت، بالإضافة إلى العملات المتداولة في المبادلات التجارية، ومسالك القوافل التجارة الصحراوية والأخطار المحيطة بها خلال رحلاتها، وختمت هذا المبحث بالتعريف بأهم تجار تجكّانت تندوف الذين ربطوا التواصل بقوافلهم بين ضفتي غرب الصحراء الكبرى.

وفي المبحث الثاني حاولت إبراز جوانب من الحياة الاجتماعية لتجكّانت وما يتعلق بها من عادات وتقاليد التي تخصّ الزواج، والأعياد والاحتفالات، وعادات الطعام، وبيّنت كذلك مكانة المرأة عند تجكّانت.

أما الجانب الثقافي؛ فقد جاء في المبحث الأخير من هذا الفصل، بحيث اشتمل على الثقافة الشعبية الحسانية في المجتمع البيضاني الذي يشمل تجكّانت وغيرها من القبائل الصحراوية؛ وذلك بالتطرق إلى القيم الأخلاقية التي تميز المجتمع من خلال الأمثال والحكم؛ بعرض مجموعة منها وشرحها، ثم تطرقت إلى الشعر بشقيه الفصيح، والشعبي موضحا لما لتجكّانت من أهمية وإنتاج بهذا الموروث الثقافي.

وجاءت خاتمة البحث متضمّنة خلاصة ما توصلت إليه في استنتاجات علمية، وذيلتها بفارس للأعلام والقبائل والجماعات والأماكن والبلدان. ويأمل الباحث أن تؤدي هذه الدراسة دورها المنشود في إلقاء مزيد من الضوء على جانب هام ورئيسي من جوانب ما قدّمه أعلام قبيلة تجكّانت خدمة للحضارة العربية الإسلامية. كما عزّزت الخاتمة بتوصيات نأمل أن تكون مساهمة في تكملة هذه الدراسة العلمية، وذلك باستثمارها في مختلف المجالات البحثية التي لها علاقة بهذا الموضوع المتناول.

- عرض نقدي لأهم المصادر والمراجع:

تعدّدت المصادر التاريخية لقبيلة تجكّانت، وهو ما يدل على كثرة عددها، وانتشارها في حواضر مختلفة، تشمل حاليا الجنوب الغربي الجزائري، والمغرب الأقصى، والصحراء الغربية وموريتانيا، والسنغال، ومالي والنيجر؛ فالحاضرة مقترنة بالاستقرار، وهذا الأخير يؤدي إلى تدوين الأحداث، فالمصادر التاريخية لهذه القبيلة منها مصادر محلية كتبها تجكّانت عن أنفسهم، ومصادر أخرى خارجية كتبها غيرهم؛ هذا بالإضافة إلى أن هذه المصادر بعضها

معروف في الوسط العلمي، والبعض الآخر سنظهره من خلال هذه الرسالة، وأهم هذه المصادر التي رجعنا إليها مرتبة ترتيباً تاريخياً أولاً بأول، وهي كما يأتي:

– المصادر المخطوطة:

– مخطوط الطوائف والتلائد: لمحمد الخليفة بن المختار الكنتي الكبير (ت 1242هـ/1825م)، تطرق مؤلفه إلى مناقب الشيخ المختار الكبير، وإلى سنده الصوفي، وهو ما اعتمدنا عليه في تصوف أعلام تجكّانت، لأن العديد من علمائها أخذوا الطريقة الصوفية القادرية من عند المختار الكنتي الكبير وابنه محمد الخليفة .

– مخطوط ديوان حسان: لمؤلفه عمر بن العرب بن مولود ، وهو مخطوط في الشعر الحساني، يبين اهتمام تجكّانت بهذا الفن الأدبي، واستفدت منه في التعريف بمؤلفه، بالإضافة إلى التعريف بالطريقة الصوفية التجانية بحاضرة تندوف، لأن صاحب المخطوط كان تجانياً وهو ما أشار إليه بنفسه في مقدمة مخطوطه.

– مخطوط الترجمان في تاريخ أزواد وأروان: لمحمد محمود سيدي بابكر الأرواني (ت.1393هـ/1973م)، وهو مصدر تاريخي مهم في تاريخ أزواد وحواضرها، وقد اعتمدت عليه في التعرف على تجار تجكّانت بأروان وتنبكتو، وأفادني في معرفة تاريخ قبيلة تجكّانت بتندوف، حيث أشار إلى الظروف التاريخية لتأسيسها؛ التي تتضمن جهود مؤسسها العلامة محمد المختار بن بلعش في ذلك.

كما اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من الوثائق المحلية المخطوطة، سواء كانت رسائل، أو تقايد، والتي يتواجد معظمها بجزائري أهل العبد، ومحمد المختار بن بلعش بتندوف ، نذكر منها: تقييد لشجرة نسب فرع الرماضين من تجكّانت من تأليف سيدي

أحمد بن محمد الصالح بن برك الله الشانعي الحكني، وهي وثيقة مهمة تضم كل ما يتصل بفرع الرماضين في مختلف الحواضر خاصة بتندوف.

ومن بين الوثائق الأخرى "رسالة من العالم حبيب الله بن ماياي الحكني من مصر إلى الشيخ محمد العبد بن محمد الحرطاني الحكني بتندوف"، والتي تعكس في ثناياها الواقع العلمي والاجتماعي، إضافة إلى التواصل الحكني بين بلاد المشرق والمغرب.

ومن بين الوثائق المهمة خاصة من الناحية الاقتصادية تقييد "تقسيم تركة محمد العبد بن محمد الحرطاني"، حيث أفدت من هذه الوثيقة المخطوطة في التعرف على ثراء صاحب التركة، وذلك من خلال نشاطه التجاري بين تندوف وأسواق غرب إفريقيا، كما تعكس الوثيقة الازدهار الاقتصادي لتندوف حاضرة تجكّانت.

– المصادر المطبوعة:

– "تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وما عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر": لعبد الرحمن بن خلدون (ت. 808هـ/1405م)، اعتمدت في هذا البحث على الجزء السادس والسابع، وقد أفادني هذا المصدر في التعريف بالقبائل الأمازيغية، كصنهاجة وزناته وغيرها، وبالنظر إلى أن ابن خلدون قد اعتنى بقبائل الأمازيغ وأنسابهم، واعتماد منهج النقد والمقارنة في كتابه، اعتمدت عليه في ترجيح كثير من الخلافات التاريخية بين المؤرخين، خاصة ما تعلق بأصول القبائل الأمازيغية.

– "تاريخ السودان"، لعبد الرحمان السعدي (ت. بعد 1655-1656م): مصدر مهم يسلط الضوء على تاريخ الاسلام والثقافة والدول في بلاد السودان الغربي، وقد استفدت منه في التأريخ للحواضر التي سكنتها تجكّانت، مثل تنبكتو، وشنقيط، حيث تطرق عبد الرحمان السعدي إلى تأسيسها، وأصل تسميتها، وما يتعلق بها من علماء مبيّنا إسهاماتهم العلمية.

- "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس"، لمحمود كعت(ت.1000ه/1591م): من المصادر المهمة في تاريخ السودان الغربي، وقد اعتمدت عليه في معرفة تأريخ وتأسيس بعض الحواضر التي لها علاقة بقبيلة تجكانت، كحاضرة تنبكتو، وولاته، وتندوف.

- "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور": لمؤلفه محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاقي(ت.1219ه/ 1805م)، من أهم مصادر الدراسة حيث اعتمدت عليه في ترجمة علماء تجكانت ، مثل سيدي الأمين بن الحبيب الحكني (ت.1108ه/1696م)، والعلامة سيدي المختار بن الطالب علي بن الشواف الحكني (ت. 1195ه/1781م)، إضافة إلى العلامة الشهير ابن بونا الحكني (ت.1220/1805م)، كما تطرق البرتلي في كتابه للتصوف ببلاد التكرور، وهو ما استفدت منه كذلك في معرفة الطرق الصوفية التي انتهجتها تجكانت ؛ من أبرزها الطريقة القادرية وفرعها الشاذلي الذي وصل إلى بلاد التكرور عن طريق الشيخ مولاي عبد الملك الرقاني التواقي، الذي أفرد له البرتلي ترجمة مستوفية ذكر فيها مناقبه وخصاله.

- "منح الرب الغفور في ما أهمله فتح الشكور": لمؤلفه أبي بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاقي (ت.1335/1917م)، دراسة وتحقيق محمد الأمين بن حمادي. ويُعد هذا الكتاب مصدر مهم في تاريخ أرض التكرور التي تضم الأزواد وحواضر شنقيط، وقد اعتمد المؤلف في كتابه على الرواية الشفوية، وفتح الشكور للبرتلي من خلال تشابه التراجم، واعتمد كذلك على حوليات تيشيت؛ وانطلاقاً من مصادره جمع لنا المؤرخ رحمه الله في كتابه مادة تاريخية عظيمة مبوبة بالأعوام، فقد جعل لكل عام باباً يذكر فيه الأحداث التي وقعت فيه، وذكر من توفي من العلماء مع التطرق لمناقبه، وهذا ما قاله في مقدمة كتابه عن منهجيته في كتابته، وقد اعتمدت على هذا المصدر واستفدت منه في ترجمة بعض علماء تجكانت

وغيرهم، والتعرف على إسهاماتهم العلمية، كالعلامة محمد المختار بن بلعمش (ت. 1287هـ/1870م).

- "الرحلة الحجازية" (جزء تندوف): لمحمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبد الله الولاقي (ت. 133هـ/1912م)، تحقيق بريك الله حبيب الحكني التندوفي؛ اعتمدت على هذه الرحلة واستفدت منها كثيرا في دراسة الواقع الاقتصادي والثقافي لتندوف خلال القرن 12هـ/18م، وذلك من خلال ما دونته الولاقي في رحلته عندما زار تندوف حاضرة تجكانت، وأورد تلك المناقشات العلمية التي حدثت بينه وبين علماء تندوف؛ حيث ذكر أنه سأل العلامة أحمد يكن بن محمد المختار بن بلعمش عن مسألتين في الفقه، وهما موضّحتان في رحلته.

- "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط": لأحمد الأمين الشنقيطي (ت. 1331هـ/1913م)؛ حيث اجتهد مؤلفه في جمع وتدوين كل ما يتعلق بشنقيط، من حيث الموقع الجغرافي والسكان وما يتعلق بهم من عادات وتقاليد ومختلف الثقافات الشعبية، كما ترجم أحمد الأمين الشنقيطي في كتابه هذا للعديد من العلماء والأدباء، وعنايته بشنقيط جعلته يذكر ما تتميز به جغرافيتها من نبات وحيوان، وتطرق كذلك إلى بعض الأمثال والحكم باللهجة الحسانية، وبعض الكلمات الصنهاجية الأمازيغية ومعانيها بالعربية، بالإضافة إلى الخلافات والحروب بين القبائل؛ وكل هذا استفدت منه في دراستي هذه في مختلف فصولها، خاصة ما تعلّق منه بقبيلة تجكانت.

- "الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية": لمحمد صالح بن عبد الوهاب (ت. 1272هـ/1855م)، تحقيق: الحسن ولد إبراهيم ولد صالح ولد الرشيد؛ وهو كتاب في علم الأنسان تضمن التعريف بالمؤلف ونسبه ونسب قبائل معقل وحروب شربّه الكبرى ودخول بني حسان إلى موريتانيا (شنقيط) ومعجم السيّادة. وهو مصدر مهم في معرفة الأنساب الحسانية، فقد ضبط المؤلف أصولها وفروعها، ورجعت إليه في التعرف على قبائل بني حسان، والفروع المنتمية لها، وأماكن انتشارها في حواضر الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا.

- "جوامع المهمات في أمور الرقيبات": لمؤلفه محمد سالم بن لحبيب بن حسين بن عبد الحي، تحقيق: مصطفى ناعمي. يُعدُّ هذا الكتاب مرجعاً قيماً لباحثي العلوم التاريخية بصورة خاصة والآثار والجغرافيا ومعظم تخصصات العلوم الإنسانية على نحو عام، حيث يركز كتاب جوامع المهمات في أمور الرقيبات على بعض الموضوعات التاريخية الهامة والتي تشغل اهتمام المؤرخين وباحثي التاريخ من مختلف الاتجاهات الفكرية. وما يتعلق بقبيلة الرقيبات من علماء وعادات وتقاليد، وعلاقتها مع تجكّانت.

- "تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى": لموسى كمرى بن أحمد الحبيب (ت. 1945م)، تحقيق: الأستاذ الباحث حماد الله ولد السالم، يتضمن هذا المصدر القيم تواريخ وأخبار قبائل البيضان التي تضم صنهاجة بفروعها الصنهاجية، كمسوفة وجدالة، ويتضمن كذلك قبائل بني حسان المعقلية، وقد اعتمد الشيخ موسى كمرى في كتابه على الرواية الشفهية، وتاريخ ابن خلدون، والاستقصاء للناصري، وهو ما يشير إليه دائماً في كتابه، واستفدت من هذا المصدر في ضبط قبائل البيضان وتوزعهم، كما ناقش كثيراً في هذا الكتاب مسألة أصول صنهاجة بين الأمازيغية والعربية، واستفدت من هذا المصدر كذلك في تاريخ تينقي وتوزّع فروعها في الحواضر الصحراوية.

- "حياة موريتانيا"، الجزء السادس (تجكّانت): لمؤلفه المختار بن حامد (ت. 1414هـ/1993م)؛ يعتبر من أهم المصادر التي اعتمدت عليها، لأن المؤلف رحمه الله قد اعتنى بقبيلة تجكّانت، وخصّص لها جزءاً توسّع فيه، حيث تطرق فيه بالتفصيل لجميع فروع تجكّانت في حواضر الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، كما تطرق لحاضرة تينقي وما وقع فيها من أحداث ساهمت في توزّع فروع تجكّانت في الحواضر الأخرى المجاورة، ومن خلال المصادر التي توصلت إليها عن تجكّانت؛ لم أجد مثل هذا المصدر في التأريخ لتجكّانت، والعناية بعلمائها وذلك بالتعريف بهم وبإسهاماتهم العلمية، بما فيها الكثير من أشعارهم الفصيحة، مما يدل على فصاحة قريحتهم وغازارة إنتاجهم الأدبي في الشعر العربي؛

لذلك اعتنى بهذا المصدر مجموعة من المحققين ساهموا في إخراج وتحقيق نسخته المخطوطة وهم: يحيى ولد البراء، والحسين بن محنض، ومحمد ولد مولود ولد داده.

– المصادر العربيّة:

– "القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة": لبول مارتى، ترجمة: محمد محمود ولد ودادي، أفادتني هذه الدراسة كثيرا من خلال المعلومات التي أوردها المؤلف؛ خاصة ما تعلق منها بفروع قبيلة تجكانت، وأبناء عمهم تفالات وعدة قبائل أخرى بيضانية بغرب الصحراء الكبرى وبلاد شنقيط.

– المراجع:

– "تندوف وتجكانت تاريخا ومناقب وبطولات": لمؤلفه الباحث عبد الله حمادي الإدريسي؛ يتكون من جزأين، وهو من أهم المراجع التي اعتمدت عليها، لأن مؤلفه كان له السبق في دراسة تجكانت بتندوف، وهو من بين المراجع التي ساعدتني في اختيار دراسة قبيلة تجكانت، حيث جمع المؤلف في كتابه أغلب ما يتعلق بتاريخ تندوف وعلمائها من تجكانت، وما تعلق بالطرق الصوفية المتواجدة في تندوف، كالتجانية، والقادرية.

وللمؤلف عبد الله حمادي الإدريسي مؤلف آخر خصّ به أسرة بن بلعش الحكّية سّمّاه: المناقب والمآثر الأعمشية الحكّية في حاضرهما التندوفية الصحراوية، وقد ساعدني هذا المرجع المهم في التعرف على الإسهامات العلمية لأسرة آل بلعش الحكّية.

– "من أبرز علماء شنقيط": لمحمد عبد الله بن المصطفى؛ يضم هذا الكتاب ترجمة لمأتين واثنتي(212) عشر عالما، أغلبهم في الفترة الوسيطة والحديثة، وقد اعتمدت على هذا المرجع القيم في الدراسة، واستفدت منه كثيرا في ترجمة بعض علماء تجكانت الذين لم أجدهم في غيره من المراجع.

- "المعسول": من تأليف وجمع العلامة المؤرخ محمد بن علي بن أحمد رضا الله المختار السوسي (ت.1383هـ/1963م) ، وهذا الكتاب هو عبارة عن موسوعة في تاريخ سوس وأسرها ورجالها العلمية والأدبية. كما يجد فيه الباحث كل ما يريد معرفته عن سوس من جميع النواحي: التاريخية الاجتماعية والأدبية والثقافية والسياسية والتراثية وغيرها، وبه العديد من الآثار والوثائق الهامة، أدخل فيه الكثير من المؤلفات مختصرة أحيانا أو كاملة أحيانا أخرى . وتطرق في الجزء الثامن عشر إلى عدّة علماء من تجكّانت مبيّنا آثارهم العلمية، وأبرز من وضع لهم ترجمة مطولة؛ العالم الحكني أحمد يكن بن محمد المختار بن بلعمش .

- "معجم المؤلفين في ولايتي لعصابة وتكّانت": لمؤلفه يحيى بن محمد بن احریمو؛ ويعتبر هذا المرجع غاية في الأهمية، كون مؤلفه استخراج مادته العلمية من خزائن المخطوطات بموريتانيا، وقد ضم هذا المؤلف عدّة علماء في أرض شنقيط أكثرهم من تجكّانت، واستفدت منه في التعريف ببعض العلماء من تجكّانت وغيرها.

- "بلاد شنقيط المنارة والرباط": لمؤلفه الخليل النحوي؛ ساعدني هذا المرجع في هذه الدراسة لأنه يتضمن معلومات تاريخية كثيرة وموثقة، وقد أفادني في ما تعلق بالمحاضر العلمية بالحواضر الصحراوية، وذلك من خلال المواد التي تدرس في المحاضرة، والمناهج والكتب التي يعتمد عليها التعليم الحضري في تدريسه، ويتضمن هذا المرجع كذلك عدة نماذج من المحاضر العلمية الحكّنية أبرزها محاضرة العلامة الشهير ابن بونا الحكّني .

- " الحياة الفكرية والروحية بالمجال البيضاني": للحسن حديدي، يتضمن هذا الكتاب دراسة حديثة صدرت في 2014م، من دار أبي رقرق بالمغرب؛ حيث تطرق صاحب المؤلف إلى الحياة الفكرية التي كانت تقوم على المحاضرة العلمية، وذلك من خلال تعريفها، والتطرق لخصائص التعليم الحضري، وأهدافه، وهذا ما استفدته منه في دراستي إضافة إلى تطرق

المؤلف إلى الجانب الروحي الذي يعنى بالطرق الصوفية، وانتشارها بالحواضر الصحراوية وغرب إفريقيا.

- "مشاهير العالقات والصالحات الموريتانيات": لمؤلفه سيد أحمد ولد معلوم ولد أحمد زروق؛ وقد أورد الباحث ترجمة إلى القليل منهم، وذلك لكثرتهم ولصعوبة الحصول على المصادر والمراجع المكتوبة والمعلومات المتعلقة بهم، لأن المجتمع الموريتاني وخاصة الزوايا منه يحوي كثيراً من العالقات والشاعرات والصالحات. وهو مرجع مهم استفدت منه في معرفة ترجمة بعض العالقات والصالحات الحكيمات، وتوضيح إسهاماتهن وآثارهن العلمية .

- "الشعر والشعراء في موريتانيا": لمحمد المختار ولد اباه، ويحتوي هذا الكتاب الذي بين أيدينا على زهاء ستة آلاف بيت لأكثر من مائة شاعر تنشر لأول مرة تم اختيارها على حسب مقاييس يوضّحها الكاتب، ومن من الحوار التي يتناولها المؤلف في الكتاب اتجاهات الشعراء في موريتانيا والمراكز العلمية الموجودة فيها ومظاهر الثقافة العربية الإسلامية، ويستعرض العديد من الشعراء وأشعارهم، فالكتاب يمثل وجبة شعرية دسمة وثرية للغاية اعتمدت عليه في ترجمة بعض شعراء تجكانت وأشعارهم، وهو كتاب قيم في موضوعه؛ إذ يتطرق للشعر والشعراء قديما وحديثا.

- "العمارة الصحراوية التقليدية لمدينة تندوف": لمؤلفه الأستاذ الباحث عبد الحق معزوز؛ وتكمن أهمية هذا العمل في جانبه المعماري بالدرجة الأولى، ذلك أن العمارة الصحراوية تمثل بمفردها تخصصاً مميّزاً بطرازها الجميل وفي مواد بنائها البسيط وخصائصها الزخرفية والمعمارية. وقد اهتم صاحب الكتاب بالعمارة الصحراوية بحاضرة تندوف، حيث جمع مؤلفه كل ما يتعلق بفن العمارة من هندسة، وأدوات بناء، ووصف للمباني وغيرها، واستفدت من هذا المرجع في توضيح فن العمارة عند تجكانت بتندوف، وبالأخص في زاوية قصر بلعمش ومسجدها، وكذلك دويرية أهل العبد.

- " آل كنته": لمؤلفه الأستاذ الباحث محمد الصالح حوتية، وهو كتاب قيّم اهتم بتتبع أهم المحطات التاريخية في نشأة هذه القبيلة وتفرعها في توات والأزواد، مبرزاً الدور السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي لهذه القبيلة في الصحراء الكبرى، واستفدت من هذه الدراسة في إثراء هذا البحث من خلال الجانب الاقتصادي وذكر أهم الطرق والمسالك الصحراوية التي كانت تتبعها القوافل التجارية، حيث كانت تلتقي قوافل كنته وتجكّانت في توات، ثم تكمل طريقها نحو تنبكتو في المحور الغربي الذي ينطلق من وادي نون ثم تيندف، ويمر بتوات متجهاً نحو أسواق إفريقيا جنوب الصحراء.

" توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة/ الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي؛ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية"، لمؤلفه الأستاذ الباحث محمد الصالح حوتية، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، وجاءت كتكملة لمشروع البحث الذي بدأه الباحث في مرحلة الماجستير، وقد استفدت من هذه الدراسة في إثراء هذا البحث من خلال الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لقبيلة كنته وتفاعلاتها مع القبائل الأخرى، سواء في الصحراء الكبرى أو في منطقة الأزواد .

- " العلاقات التجارية بين مدينة تندوف وإفريقيا الغربية من خلال وثائق أهل العبد": لمؤلفه الأستاذ الباحث بريك الله حبيب، هذه الدراسة في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جمع فيها مؤلفها معلومات تاريخية موثقة بالغة الأهمية عن حضرة تندوف وتجكّانت، وقد ساعده في ذلك أنه ابن مدينة تندوف، ومن قبيلة تجكّانت التي لها تراث عظيم مخطوط تتضمنه خزائني أهل العبد ومحمد المختار بن بلعمش، واستفدت كثيراً من هذه الرسالة خاصة من الجانب الاقتصادي، لأن الأطروحة تتضمن دور قبيلة تجكّانت في النشاط الاقتصادي بتندوف من خلال نشاطها في تجارة القوافل التي تربط تندوف بأسواق غرب

إفريقيا. كما استفدت من هذه الدراسة في الوصول إلى عدة وثائق مخطوطة مهمة تضمنتها الأطروحة لم تسبق دراستها ونشرها.

- الصعوبات التي اعترضتني أثناء إنجاز البحث:

واجهتني خلال إعداد هذا البحث عدّة صعوبات، وهو مالا يخلو منه أي جهد علمي، ومن بين ذلك:

- يُعدُّ البحث في تاريخ قبيلة تجكانت بالجنوب الجزائري أمراً في غاية الصعوبة بالنظر إلى حالة الظعن والترحال التي كان يمارسها قسم كبير من هذه القبيلة من جهة، ثم غياب تقاليد التدوين عند مثقفيها من جهة أخرى. فباستثناء بعض الإشارات المقتضبة الواردة في بعض المونوغرافيات الاستعمارية، فإن الباحث في تاريخ هذه القبيلة لا يجد ما يشفي الغليل في باقي المصادر الأخرى؛ بما فيها الوثيقة المحلية التي حتى وإن وجدت، فيبقى استخلاص المادة التاريخية منها أمراً صعباً إذا لم يكن المقصود من كتابتها توثيق أحداث تاريخية؛ بقدر ما هي إثبات لحق واعتراف بواجب.

- تُعدُّ مشكلة قلة الوثائق في موضوع الدراسة على اختلاف مشاربها، أو عدم قيام أية جهة بجرد وتصنيف ما يتناثر منها في بعض المراكز الوطنية أو المكتبات الخاصة، عاملاً حاسماً في تأخر إجراء ما تتطلبه الحاجة العلمية من أبحاث ودراسات شاملة أو فرعية؛

- صعوبة التعامل مع الخزائن الخاصة للمخطوط فيما يتعلق بالبحث العلمي؛

- صعوبة التعامل مع المخطوط من حيث الخط، ومحتوى المخطوط، بسبب تآكل بعض المخطوطات التي دخلتها الأرضة، أو تعرضت لعوامل التعرية من أمطار وغيرها، أو تكون مبتورة في مقدمتها ونهايتها، وأحيانا تكون غير قابلة للقراءة أصلاً؛

- قلة الكتابات التاريخية التي تُعنى بقبيلة تجكانت، خاصة في الجانب الاجتماعي؛

- صعوبة التوفيق بين العمل في التدريس الذي يأخذ معظم وقتي، والبحث العلمي الذي يتطلب التنقيب والتفرغ، وأحيانا التنقل إلى مظان البحث؛

- يُضاف إلى ذلك إلغاء رحلة الذهاب باتجاه مراكز البحث العلمي في دولتي المغرب وموريتانيا اضطرارا، وذلك بسبب انتشار جائحة وباء كورونا العالمي (كوفيد 19)؛ حيث علّقت جميع الرحلات خارج الوطن؛ مما اضطرني إلى إلغاء رحلة السفر التي كان من المأمول أن تُساعدني في الاحتكاك مع بعض الباحثين أو في الاطلاع على بعض المصادر المهمة ذات الصلة بموضوع الدراسة، ولا زلنا نعتقد جازمين أن الاطلاع عليها يُسهم في تحقيق الإضافة العلمية في هذا البحث.

وبالرغم من الصعوبات المذكورة، فقد مكّني الاعتماد على المتوفر من المونوغرافيا الاستعمارية، واستنطاق الوثيقة المحلية، إلى جانب الانفتاح على الرواية الشفوية ومساءلة نموذج القبيلة (المقابلات الشخصية)، من محاولة إعادة بناء تاريخ تجكّانت.

ولا يفوتني قبل الختام، إلا أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور محمد حوتية بأسمى عبارات الشكر والتقدير والاحترام، والاعتراف بفضلته، على ما قدّمه لي من نصائح وتوجيهات قيّمة، كما أشكر كل السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين تحمّلوا قراءة هذا البحث، ونوروني بملحوظاتهم القيّمة.

أمل في الأخير أن أكون قد وفقت في إخراج العمل بصورته النهائية؛ سائلا المولى عزّ وجل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم. وعلى الله قصد السبيل.

- الفصل الأول: الإطار الجغرافي والاجتماعي والتاريخي للصحراء الكبرى
وغرب إفريقيا

- المبحث الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي للصحراء الكبرى

أ- مظاهر السطح والمناخ

ب- التركيبة السكانية في الصحراء الكبرى

ج- التطور التاريخي للصحراء الكبرى

- المبحث الثاني: الإطار الجغرافي والتاريخي لغرب إفريقيا

أ- الموقع والخصائص الجغرافية

ب- التركيبة السكانية لغرب إفريقيا

ج- التطور التاريخي لغرب إفريقيا

- خلاصة الفصل

- تمهيد:

بما أن الدراسة تؤرخ لقبيلة تجكانت ودورها الحضاري في الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فإن استكمال الرؤية التاريخية لابد أن يتم في إطار إعطاء صورة موجزة عن خلفيتين جغرافية وتاريخية عن المجال الجغرافي الذي انتشرت فيه هذه القبيلة.

وعليه، رأى هذا الفصل أن يستهل دراسته بخلفية جغرافية لكل من الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا بمناطقها وواحاتها وسكانها مع تبيان انعكاس العامل الجغرافي على مسار تحركات أفراد هذه القبيلة وتطورها. كما اهتم أيضاً بإعطاء خلفية تاريخية موجزة عن أهم الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا (بلاد السودان الغربي).

المبحث الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي للصحراء الكبرى.

(أ) مظاهر السطح والمناخ:

تُعدُّ الصحراء الكبرى ثاني أكبر صحارى العالم، وتشمل قفراً من السهول الحجرية والجبال والهضاب الصخرية والبحور الهائلة من الرمل. وفي هذا السياق يقول أحد الباحثين: "الصحراء الكبرى بحر واسع من الرمال، وحدودها غير واضحة المعالم؛ فهي بالتقريب تمتد من نهر النيل شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وتصل الحدود الشمالية للصحراء الكبرى إلى الهضبة الليبية، وجبال نفوسة وجبال الأطلس الصحراوي ووادي درعة، أما الحدود الجنوبية للصحراء؛ فتمر تقريباً بمصب نهر السنغال وأعلى منعطف نهر النيجر، وتضم بذلك هضبة إنيدي لتصل ثانية نهر النيل عند دائرة عرض 16 شمالاً"¹. بمساحة تفوق الـ 09 ملايين كم مربعاً، وتشمل

¹ - حماد الله ولد السالم : الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى؛ دراسات ومراجعات ، جامعة نواكشوط ، موريتانيا، د.ت. ن، ص06.

سلاسل جبلية وهضاب صخرية، ومساحات شاسعة من الأراضي السهلية التي تغطيها الحصباء والكتبان الرملية؛ يقدر طول الصحراء الكبرى حوالي 5600 كلم ، ويصل عرضها من الشمال إلى الجنوب 1930 كلم، وتقع معظمها بين دائرتي عرض 30.15 جنوب وشمال خط الاستواء¹.

ورغم قساوتها؛ لم تشكل عائقا للتواصل بين ضفتيها، بل كانت حلقة تواصل بين حواضر بلدان المغرب الكبير شمالا وحواضر إفريقيا جنوبا، كما كان لها دور مهم في تقوية هذا التواصل، خاصة في جانبه الاقتصادي².

- المناخ:

يتميز مناخ الصحراء الكبرى بوجود فصلين متباينين؛ فالأول حار وجاف، ويمتد من جوان إلى سبتمبر ويتراوح متوسط الحرارة فيه ما بين 26-40 درجة مئوية، والثاني معتدل ممطر، ويمتد من نوفمبر إلى مارس ويتراوح متوسط الحرارة فيه ما بين 15-30 درجة مئوية، وتبلغ درجة الحرارة أعلاها في شهر أوت حيث تصل إلى 50 درجة مئوية، وتكون أدنى درجاتها في شهر يناير حيث تصل إلى 04 درجة مئوية ، ومعدل سقوط الأمطار متذبذب بين شمال الصحراء وجنوبها ، فيكون معدل سقوط الأمطار في الشمال ما بين 107مم- 274 مم، وفي الجنوب أكثر من هذا المعدل، وقد لا يهطل المطر تماما خلال سنة أو اثنين³.

¹ - ريمون فيرون : الصحراء الكبرى ، تر: جمال الدين الدناصوري، مر: نصري شكري، مؤسسة سجل العرب القاهرة، 1963 ص ص 19-22.

² - تايدور ليفتسكي : دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب ، مقال ضمن تاريخ إفريقيا العام ، منشورات اليونسكو، باريس 1994م، ج3 ، ص 309. عبد القادر حليمي: جغرافية الجزائر، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1968م، ص ص 76-77.

³ - مُجَّد سعيد القشاش: صحراء العرب الكبرى، دار الرواد، طرابلس، ليبيا ، ط1، 1994م، ص 16.

والعوامل التي جعلت هذه الرقعة الجغرافية من الأرض المحاذية لخط الاستواء تتميز بهذا المناخ الحار والجاف؛ هو أن المنطقة الواقعة بين دائرتي عرض 15 و53 درجة شمال وجنوب خط الاستواء ؛ هي مناطق ذات ضغط جوي مرتفع؛ فالهواء الدافئ ينبعث من خط الاستواء ويهب شمالا وجنوبا ، وكلما ارتفع الهواء قلت درجة حرارته وتتساقط منه قطرات الرطوبة فوق المناطق المجاورة لخط الاستواء، فإذا بلغ مستوى 15 درجة يأخذ في الهبوط ويسخن من جديد ، وهكذا تتكون حالات الجفاف في الصحراء¹.

وتنتشر الواحات على امتداد الصحراء الكبرى، وتمتاز بخصوبة تربتها، وتستمد مياهها من الآبار والينابيع، وتنتشر القرى حول هذه الواحات ، كما تحوي الصحراء في باطن الأرض العديد من الثروات الطاقوية والمعدنية².

- الغطاء النباتي:

تقل النباتات في الصحراء الكبرى مقارنة بغيرها من الصحاري، وتتأقلم الحشائش والأعشاب والشجيرات على قلة مع الظروف المناخية الجافة والقاسية، وبعض النباتات التي تنمو، وتعمر لفترات قصيرة، لكن بذورها تبقى لفترات قصيرة في باطن الأرض في انتظار موسم الأمطار لتنمو، وعند هطول المطر تنمو الحشائش بسرعة عالية مشكلة مراعي خضراء، ثم ما تلبث أن تموت خلال شهرين أو ثلاث، أما النباتات التي تعمر أكثر من عام؛ فتستمد مياهها من باطن الأرض، حيث تتميز بجذور طويلة تضرب في عمق التربة لتمتص الرطوبة اللازمة لبقائها حية³.

¹ - جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 9م/11م، منشورات بلوتو، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011م، ص13.

² - مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1419هـ/1999م، ج15، ص62. ينظر: اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص117.

³ - المرجع نفسه، 117-118.

كما تعيش في الصحراء الكبرى أنواع عديدة من الحيوانات، منها ما هو أليف كالجمال، ومنها ما هو بري كالغزلان، والمهامة، وأنواع من الوعل، كما توجد بعض الزواحف الأخرى؛ كالثعابين والسحالي، واليرابيع، وبعض الثعالب الصغيرة التي تسمى بالفنك، ومعظم هذه الحيوانات تبقى في ملاجئها وجحورها خلال النهار تفاديا لحرارة الطقس القاسية وتخرج في الليل بحثا عن الغذاء¹.

- الأنهار:

- نهر النيل:

يعتبر من أطول نهر في العالم، ويتدفق على امتداد 6671 كلم في اتجاه الشمال الشرقي للقارة الإفريقية، وينبع من المرتفعات القريبة من خط الاستواء، وتصب مياهه في البحر الأبيض المتوسط، يسقي نهر النيل حوالي 7.4 مليون هكتار من الأراضي الزراعية بين كل من بلدان شرق إفريقيا، ومصر، ويصب النيل شمال القارة في البحر المتوسط، ويعتبر نهر النيل ودلتاه من أخصب الأراضي الزراعية في العالم، ويجري نهر النيل عبر مساره الطويل في اتجاه الشمال². وتعتبر بحيرة فيكتوريا من أكبر المصادر المغذية الأساسية؛ هي ونهر روفرونز الواقع في بورندي، ويحمل نهر النيل اسم النيل الأبيض في المنطقة الواقعة ما بين منطقة السدود والخرطوم، وفي الخرطوم يلتقي النيل الأزرق الذي ينبع من إثيوبيا مع النيل الأبيض، ومن الخرطوم شمالا يحمل النهر مسمى النيل فقط، إلى أن يصل إلى مصر فينقسم شمال القاهرة إلى فرعين رئيسيين مكونا بذلك دلتا النيل، وتنتشر داخلها بعض المستنقعات والبحيرات، كما توجد بالدلتا مناطق تمتاز بتربة عالية الخصوبة³.

¹ - مجموعة من المؤلفين: المرجع السابق، ج15، ص 64. ينظر: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 01.

² - المرجع نفسه، ص 64.

³ - مجموعة من المؤلفين: المرجع السابق، ج25، ص 637-639.

- نهر شاري:

وهو نهر صغير بالمقارنة مع نهر النيل، يبلغ طوله 1200 كلم بين التوجو وتشاد، ويتجه نحو الغرب ليصب في بحيرة تشاد ويغذي نهر الشاري بحيرة تشاد بنسبة 90 بالمائة، كما يشكل هذا النهر مورد اقتصادي مهم للثروة السمكية¹.

- البحيرات والسبخات:

توجد بالصحراء الكبرى بعض البحيرات، والكثير من السبخات التي تصبح بحيرات عند سقوط الأمطار، وتجف في فصل الصيف مكونة الملح الذي يحظى بأهمية وقيمة كبيرة في تجارة القوافل، ومن هذه البحيرات:

- بحيرة ابن عيشة :

أي بحيرة مكان عيشة، وتقع حدود موريتانيا ومالي، وهي بحيرة صغيرة، ومياهها عذبة.

- بحيرة تشاد:

كان اسمها التاريخي بحيرة ليبيا، وهي بحيرة كبيرة يصب فيها نهر شاري، بها ثروة سمكية²، تبلغ مساحتها 16300 كيلومتر مربع، وتزداد مياهها في موسم الأمطار، وتنقص عند الجفاف، ولا يزيد عمق البحيرة على ثمانية أمتار³.

- بحيرة الدوادة:

وهي بحيرة صغيرة أو واحة مياه مالحة تقع في الصحراء الكبرى جنوب ليبيا، توجد في منطقة قبر عون، وهي منطقة قريبة من أوباري، تغذيها ينابيع المياه الجوفية. من صفاتها أنه لم يسجل حالات غرق بها، لأن كل شيء يطفو على سطحها بسبب الملوحة الشديدة.

¹ - مُجد سعيد القشاش: المرجع السابق، ص 17.

² - المرجع نفسه، ص 18.

³ - مجموعة من المؤلفين: المرجع السابق، ج6، ص305. ينظر: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 01.

كما تنتشر بالصحراء الكبرى كذلك مجموعة من السبخات، منها :

- سبخة الجل:

تقع في شمال شنقيط، ويستخرج منها المواطنون الملح، وكانت تسيطر عليها قبيلة الأغلال، التي تحتكر تجارة الملح.

- سبخة تغازة:

وتقع شمال مالي بالأزواد قرب الحدود الجنوبية الجزائرية، استولى عليها المغاربة أيام المنصور الذهبي واحتكروا تجارة الملح واستخراجه بهذه السبخة.

- سبخة تاودني:

تقع شمال مالي بمنطقة الأزواد قرب الحدود مع موريتانيا، وتستغلها قبيلة البرايش منذ عدة قرون يستخرجون منها الملح ويتاجرون به.

- سبخة بالما:

وتوجد بشمال النيجر، بحيث تعتبر المصدر الأساسي للملح في جمهورية النيجر، وقد كان يستغلها بعض قبائل الطوارق¹.

- مظاهر السطح (التضاريس):

يتميز مظهر سطح الأرض بالصحراء الكبرى عموما بالانبساط الذي تتخلله الهضاب، والأراضي الجرداء، وكثبان الرمال، والجبال المتسلسلة أحيانا والمتقطعة أحيانا أخرى، وأهم المناطق الجبلية من غرب الصحراء الكبرى إلى شرقها؛ هي²:

- جبال آدرار: أصل الكلمة أمازيغي بمتغير طارقي؛ وتعني الجبل، وتقع هذه الجبال في شمال موريتانيا، وتمتد إلى الأزواد حيث تسمى (أدغاغ)، أين تتواجد منطقة كيدال موطن قبيلة إيفوغاس الطارقية.

¹ - مُجَّد سعيد القشاط : المرجع السابق ، ص 18-19.

² - المرجع نفسه، ص 22 .

- **جبال الطاسيلي والهقار** : تقع هذه السلسلة جنوب شرق الجزائر ، وتنقسم إلى قسمين طاسيلي ناخر بمنطقة إيزي وجانت ، وطاسيلي ناهقار بمنطقة تامنغست ، أين توجد أعلى قمة بالجزائر التي تُعرف بقمة طاهات أتكور بمرتفعات أسكرم تقدر بـ3003م، كما تضم جبال الهقار والطاسيلي عدّة رسومات منقوشة تعود إلى الإنسان في العصر القديم؛ دالة على أنشطته اليومية، كما تحتوي على رسومات صخرية، تدل على رطوبة واعتدال مناخ الصحراء سابقا. كما وجد علماء الآثار بقايا هياكل عظمية للأسماك وأدوات الصيد، مما يؤكّد قدم تواجد الإنسان بهاته المنطقة، فجبال الطاسيلي والهقار، تعتبر متحفا مفتوحا للرسومات والنقوش الصخرية التي تؤرخ للحقب القديمة بالمنطقة¹.

- **جبال أكاكوس**: تقع هذه الجبال في منطقة غات جنوب ليبيا وفيها كهوف ، ونقوش أثرية ووجدت فيها أقدم مومياء بشرية .

- **جبال الهروج** : وتسمى الجبال السوداء ، وهي مخلفات بركانية تقع في جنوب صحراء سرت تتخللها أودية تكثر فيها أشجار الطلح .

- **جبال آير**: تقع بالأزواد شمال النيجر.

- **جبال تبستي**: تقع على الحدود بين ليبيا وتشاد وتوطنها قبائل التبو².

ب - التركيبة السكانية في الصحراء الكبرى:

- القبائل الأمازيغية:

- **إيموهاغ (الطوارق)** : ينتمي قبائل إيموهاغ (الطوارق) إلى صنهاجة أهل اللثام؛ التي تنقسم بدورها إلى ثلاث قبائل رئيسية: وهي جدالة ، وملتونة ، ومسوفة ؛ فتتواجد قبيلة جدالة في منطقة أدرار موريتانيا، وهي بذلك تجاور مواقع غانة والسنغاي، وقبيلة ملتونة أهم هذه القبائل

¹ - مُجّد السعيد بن سعد: المعممون والملثمون يجاورون الصحراء (الهقار وتديكلت نموذجاً)، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، تصدر عن جامعة غرداية ، الجزائر ، عدد 15، المطبعة العربية ، غرداية، الجزائر، 2006م، ص207-208

² - مُجّد سعيد القشاش: المرجع السابق، ص 22-23.

وفيهم بطون كثيرة، منهم بنو ورتنطق ، وبنو صولان، وبنو ناسجة، وتعتبر منطقة أودغشت موطنهم الأول، وأما قبيلة مسوفة فتركزت مواطنهم جنوب غرب الصحراء الكبرى، يعتمدون في معاشهم على الإبل يشربون ألبانها ويأكلون لحومها المجففة (لحم القديد) ، وينتمي إليهم قبائل الطوارق (إيموهاغ)¹.

يقول المؤرخ الجزائري أمبارك الميلي: " إن صنهاجة تتشعب إلى شعبين عظيمين بقي إحداهما في الجزائر و استوطن الآخر الصحراء وهم المثلثون"²

وينتشر الطوارق في الصحراء الكبرى، ما بين الحدود الشمالية الغربية لمالي مع موريتانيا، إلى حدود السودان؛ مرورا بشمال مالي، وشمال النيجر، وشمال تشاد، وجنوب غربي ليبيا، وجنوب شرق الجزائر³.

كما تنتشر مجموعات، منهم في بوركينافاسو ونيجيريا، وفي مدينتي غدامس وغات بأقصى جنوب غرب ليبيا، وفي منطقة الهقار (تامنغست) ومنطقة الطاسيلي أزجر بجانت بأقصى الجنوب الشرقي للجزائر، وينتشرون أيضا في بعض مناطق إقليم توات، وفي تيمياوين شمال منطقة الأزواد على حدود الجزائر مع مالي، ويتواجدون أيضا في مدينة تنبكتو بمالي وفي طاوة بالنيجر وانيفيمي على بحيرة تشاد⁴.

ويبدو أنه هذا المجال الذي ينتشرون في أغلبه اليوم لم يكن موطن الطوارق الأصلي، فقد تزحزح الطوارق من الشمال إلى الجنوب، موغلين في الصحراء، إما هربا بحريتهم من الجيوش التي

1 - نبيلة حسن مُجّد : تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2013م، ص95.

2 - مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تح: مُجّد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت)، ج2، ص 215-216.

3 - مُجّد سعيد القشاطر: المرجع السابق، ص 17.

4 - المرجع نفسه ، ص 17-18.

كانت تهاجم في الشمال من الرومان والوندال، وإما اندفاعا نحو إفريقيا؛ لنشر الإسلام والاستيلاء على الممالك والسيطرة عليها¹.

وينتسب الطوارق إلى قبيلة صنهاجة أحد بطون البربر الأمازيغ. وقد اختلفت الروايات في أصل تسميتهم؛ فبعض الروايات تقول سمو بالطوارق، لأنهم طرّقوا الصحراء وتوغلوا فيها، والبعض يرجع ذلك لانتساب البعض منهم إلى طارق بن زياد (قائد الجيش الفاتح للأندلس). وهناك رواية أخرى تقول: أنهم سمو (التوارك - التوارق)؛ لأنهم تركوا الوثنية إلى الإسلام، وذلك عند أول عهدهم بالإسلام، وهذا الاسم حُرّف؛ وأصبح يقال لهم (طوارق)².

وهناك من ذهب إلى القول بأن اسم الطوارق؛ نسبة إلى اسم المنطقة التي تسكن بالقرب منها قبائل المثلثين الغربية من العواصم المغربية في الشمال، وهو وادي ورغة جنوب مراكش (تاركا/Targa). وتوجد أيضا في ليبيا (جمعها توارك)، وكلمة (تاركا/Targa) أو (تارجا/Tarja) معروفة عند جميع الأمازيغ؛ وتعني الأرض المستقيمة الخصبة، والطوارق لا يطلقون هذا الاسم على قبائلهم، بل إنهم (كل تماشق)، أو (كل تماهق)، أو (كل تماجق)، وتعني أهل تماشق، وتماشق في اللغة الطارقية؛ تعني الناطقين بالأمازيغية. وهناك اختلاف في نطق الحرف قبل الأخير في كلمة تماشق؛ حيث تنطق على شكل (ج) في النيجر وعلى شكل (ش) في مالي، وعلى شكل (ه) في ليبيا والجزائر³.

وسموا أيضا بالمثلثين؛ لأنهم يضعون اللثام على الرأس والوجه، فهو إضافة إلى أنه وقاية من حرارة الصحراء وعواصفها الرملية؛ يُعتبر ضرورة، وتقليد اجتماعي راسخ توارثته الأجيال منذ

¹-المرجع نفسه، ص 20. ينظر: محمد السعيد بن سعد: المرجع السابق، ص 207-208. ينظر: ملحق الخرائط، الخريطة 02.

² - أكتاته ولد النقره: الطوارق من الهوية إلى القضية، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، موريتانيا، 2014م، ص 33.

³ - التنبكي: الطوارق، منشورات منظمة تاماينوت، د.م.ن، دت، ص 20-21. ينظر: أكتاته ولد النقره، المرجع السابق، ص 33-34.

آلاف السنين، وهو رمز الرجولة والأنفة والشجاعة عند الطوارق؛ لذلك أُطلق عليهم المثلثون وتلك عادتهم يتوارثونها خلفا عن سلف¹.

يتكلم الطوارق لغتهم التارقية التي تُعرف عندهم باسم (التماشق - التماشق) من أصل أمازيغي، والتي تعود أصولها إلى اللغة الليبية القديمة، وتكتب بحروف تسمى تيفيناغ (Tifinagh)، مؤلفة من أربع وعشرين حرفا، تنقش على الحجارة. وتكتب من اليمين إلى اليسار ومن فوق إلى تحت غالبا. كما ينقسم الطوارق إلى قبائل أساسية تنتشر في الصحراء أبير، طوارق إيفوغاس، طوارق أوليميدان².

فلغة تماشق كانت ولا تزال تتسم بتراث غني ومتنوع؛ ضارب في أعماق التاريخ، وتتصل بالمخزون الفكري والإبداعي لإيموهاغ، وهي مكون أساسي لهويتهم ابتداء من كتابة تيفيناغ التي تعود لفترة ما قبل الميلاد، فهي كلمة أمازيغية بتماشق؛ تعني الكتابة، ولها مدلول آخر بمعنى اختراعنا أو اكتشافنا³، وحروفها ذات شكل هندسي بسيط، غير متواصل وكانت تكتب في جميع الاتجاهات، وقد ظهرت حروف التيفيناغ بشمال إفريقيا، وهو ما تدله النقوش الصخرية بالجبال والصحاري حوالي 5000 آلاف سنة قبل الميلاد أو يزيد، وبذلك تعتبر أقدم الأبجديات في التاريخ، كما تبين من خلال أبحاث العالمين الأركيولوجيين " ماثيوس " و " ديكا " من خلال تحليل النقوشات الصخرية بالحمض الكربوني، خاصة بموقع الطاسيلي بالجزائر⁴.

¹ - التبنكي: المرجع السابق، ص21.

² - محمد السعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث، د.م.ن، ط2، 1989م، ص17-18.

³ - محمد الهادي حارش: مملكة نوميديا، دار هوم، الجزائر، 2003م، ص219.

⁴ - تتمثل هذه الدراسات باكتشاف صخرة في نهاية جبال الأطلسي موحدة بين المغرب والجزائر تتضمن رسم جداري لرجل موشم تيفيناغ وعثر على مقبرة منه على رمح برونزي مع العلم ان ظهور البرونز يعود لحوالي 1500 سنة ق.م بينما الأبجدية الفينيقية ظهرت حوالي 1200 ق.م؛ أي أن ظهور الكتابة الفينيقية متأخر بقرون عن نقوش تيفيناغ التي عثر عليها. ينظر: مدونة عبد الرحمن الحرمي:

ويعزز ذلك، تلك الفحوصات التي أجرتها عالمة الآثار الجزائرية "مليكة حشيد" على التيفيناغ المنقوشة بجمال الطاسيلي، وتبين أنها تعود إلى ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد، وهو ما يرجح أن تكون التيفيناغ من أقدم الكتابات الصوتية التي عرفها الإنسان، واللوحة الحاملة لحروف تيفيناغ هي أحد اللوحات المرافقة لعربات الحصان، وهذا النوع من العربات ظهر في العصر ما بين ألف سنة وألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد¹.

وقبل ظهور كتابة التيفيناغ، كان الأمازيغ يعتمدون على النقوشات الحيوانية وبعض الرموز كرسائل مشفرة، إما للتواصل أو للطقوس الدينية، أو كتعبير عن البيئة التي يعيشون فيها وعن كل ما يتواجد ويتعايش مع محيطهم البيئي. وبعد ظهور حروف التيفيناغ حلت محل الرسومات الحيوانية وانتشرت بكل ربوع الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا²، حيث كانت تستعمل كرسائل، ولوحات توجيهية تشير وتدل على أماكن وجود الماء والكأ والصيد، وغير ذلك.

وتشير المصادر الإغريقية وبعض الحفريات إلى أن الكتابة بحروف تيفيناغ واللغة الأمازيغية كانت حاضرة وبقوة ولا يعرف الأمازيغ غيرها، إلا أنه بعد تمدد قرطاج على طول الساحل المتوسطي ظهرت اللغة البونيقية وانتشرت³.

وبعد غزو الرومان، والوندال، والبيزنطيين؛ قاربت الكتابة الأمازيغية على الاختفاء وحلت محلها البونيقية و اللاتينية، وانحصر استعمالها خاصة في الشمال، وفي الصحراء حافظ التوارق (إيموهاغ) على لغتهم وحروف التيفيناغ.

¹ - ينظر <https://www.marefa.org> ، أخذ يوم 30 مارس 2018م.

² - إبراهيم العيد بشي : البعد العسكري في تاريخ بلدان المغرب القديم من خلال رسومات تاسيلي ناجر والمؤرخين القدامى ، دار زاد الطالب ، د.ت.ن، ص 6-7.

³ - محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي ، دار هومو ، الجزائر، 2014م، ص 31-32.

وينقسم الطوارق اجتماعيا إلى طبقتين فقط، وهما: طبقة السادة والنبلاء، وطبقة الموالين والعييد. وللمرأة عند الطوارق قدر كبير من الكرامة والاحترام، بحيث تساهم في الحياة العامة، ومجلس القبيلة. كما تقوم بتعليم الأطفال؛ إلى جانب ذلك تحملت المرأة الطارقية أعباء أسرته لغياب الرجل المتكرر أشهرا و أعواما؛ بسبب تجارة القوافل، أو بحثا عن المراعي الوافرة الكلاً، كل هذا أعطى مكانة مرموقة للمرأة الطارقية¹. وقد لاحظ ذلك الرحالة ابن بطوطة وذهل عن الحرية التي منحها الطوارق لنسائهم².

يشغل الطوارق منذ القديم بتربية الحيوانات، خاصة الإبل والماعز، وأنواع من الضأن تخص المنطقة ليس لها أصواف، ولها ذيل طويل وأجسامها مغطاة بشعر قصير. ويتخذ الطوارق من ألبان الإبل والماعز ولحومها طعامهم الرئيسي، كما أن الطوارق دائمي التنقل في الصحراء بحثا على المناطق الممطرة الوافرة العشب والكلاً لرعي مواشيهم³.

- مكانة المرأة في مجتمع الطوارق (إيموهاغ):

تحتل المرأة مكانة اجتماعية محترمة جدا في مجتمع الطوارق، سمحت لها أن تبسط نفوذها وسيطرتها في مجالات عدة، وتفرض إرادتها وطريقة حياتها بحرية أكثر، تفوق نظيراتها في المجتمعات الصحراوية، ويظهر ذلك من خلال المكانة الاجتماعية للأولاد حسب المكانة التي تحتلها الأم، كما تتمتع المرأة بحرية تامة؛ فهي لا تحتجب إلا في مواضع الاحترام، كما يحق لها الذهاب بكل حرية لزيارة أهلها⁴.

1 - مُجَّد السعيد بن سعد: المرجع السابق، 208.

2 - مُجَّد بن عبد الله ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غريب الأمصار و عجائب الأسفار، تح: مُجَّد عبد المنعم العريان، راجعه مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1987 م، ج2، ص709.

3 - التنبكي: المرجع السابق، ص35.

4 - أكنانه ولد النقرة: المرجع السابق، ص51.

وقد نجحت المرأة الطارقية في فرض مبدأ الزوجة الواحدة، وهو عرف عند الطوارق، كما أن للزوجة أملاكها الخاصة بها، والمستقلة عن الزوج مثل: الأغنام، والإبل التي تحمل علامة مختلفة عن علامة زوجها، ولا يمكن للزوج إرغامها على القيام بالأعباء المنزلية وتمتلك النيبلات منهن عدة خادמות يقمن بشؤون البيت، ويمكن للزوجة طلب الطلاق (أمزي)، ولها الحق في حضانة أولادها، إلا أن الطلاق يندر في مجتمع الطوارق، ولا يقدم الزوج على تطليق زوجته إلا إذا رأى منها عيباً جسيماً كالخيانة أو ما شابهها¹.

والمرأة في مجتمع الطوارق أكثر ثقافة من الرجل، فهي تجيد قراءة وكتابة التيفيناغ أحرف لغة التماشق، وهي عازفة الإمزاد، وهي آلة موسيقية شبيهة بالكمان ذات وتر واحد، تختص النساء فقط بعزفها، وهي مفضّلة عند الطوارق².

وأثناء غياب الرجل الطويل؛ بسبب انشغاله بالتجارة والسفر، كانت المرأة سيّدة البيت والراعية لشؤونه، وخاصة ما تعلق بتربية الأولاد وتعليمهم حروف التيفيناغ قراءة وكتابة، وأول ما تعلمهم إياه؛ جملتان جامعتان لجل حروف تيفيناغ، هما: " فاضيماته ولت أوغنيس إيلمينيت ورتتوضيس تقالتنيت ماراو إيسان أدسيضيس"³. والجملة الثانية هي: " تلوكت تقاظت تلقيت تترام تعزيت"⁴.

¹ - ابراهيم بتقه: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية لدى قبائل الطوارق خلال القرن 19م، مقال ضمن كتاب الملتقى الوطني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، 24-25 يناير 2012م، منشورات المركز الجامعي بالوادى، مطبعة منصور، 2012م، ص 275-276. ينظر: ابراهيم العيد بشي: الطاسيلي ناجر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع التارقي قديماً وحديثاً، ط1، منشورات الخبر، الجزائر، 2009، ص 110.

² - عبد السلام بوشارب: الهقار أمجاد وأنجاد، ط1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995م، ص 65.

³ - ترجمتها بالعربية: فاطمة بنت أوغنيس عزيزة شريفة مهرها 16 حصاناً.

⁴ - ترجمتها بالعربية: العجّلة تمضغ العشب وهي تمشي في الواد.

وتعتبر هذه المرحلة الأولى في التعليم بعد أن يتعلم الطفل جميع الحروف، يتبارى مع أقرانه أو إخوانه في جلسات مسائية بعد انتهاء الرعي وجلب الماء، وعند العودة للديار يقوم المتعلم بكتابه رسائل قصيرة أو كلمات مركبة، تكون الأم هي الحكم بينهم والمشرفة على ذلك، والخط غالبا ما يكون على الرمل إلى أن يتمكن من الكتابة ويتقنها. ويكتب على الجلود، وينقشها على بعض الصخور القابلة لذلك؛ مستعيناً بأدوات أغلبها من الحجارة الصلبة والمسامة بـ (تيمشي)¹.

ومما ساهم أيضا في بقاء اللغة؛ هو ممارسة أماهغ (الطارقي) منذ القدم مختلف الصناعات التقليدية من صناعة الحلبي والخشب وصناعة الجلود، فقد تفنن الطوارق في صنع كل احتياجاتهم اليومية، كما أن هناك فرق بين ما تصنعه المرأة وما يصنعه الرجل، ويرجع ذلك إلى الاختلاف في الذوق الفني والإبداعي، ومن خلال هذه الحرف يتبين ثراء الموروث وتنوعه فنيا وثقافيا، ويظهر ذلك جليا في تلك الزخارف والنقوش، وبعض حروف التيفيناغ التي ترسم وتنقش على مختلف المنتوجات والصنائع، والتي استوحاها الحرفي من حياته ونمط معيشته².

- جوانب من الواقع الثقافي عند إيموهاغ (الطوارق):

من المعروف أن العلوم والفنون والآداب هي وليدة البيئة التي نتواجد فيها، وإذا تأملنا الظروف الطبيعية والاجتماعية المميزة للبيئة الصحراوية؛ نجد أنها تتصف بخصائص تختلف عن غيرها من البيئات الأخرى، فالصحراء معروفة بحياتها القاسية وعوارضها الطبيعية الطارئة، زيادة

¹ - تيمشي : هي نوع من الحجارة حادة الحواف، كانت تستخدم عند التوارق قديما في نزع الشعر من الجلد وفي أعمال الدباغة عموما، لأنها حادة الحواف . مقابلة أجراها الباحث مع الأستاذ حمزة محمد فوفو، في مدينة تامنغست، الجزائر يوم: 17 نوفمبر 2019م.

² - ابراهيم بنقه: المرجع السابق، 283. ينظر: عبد الوهاب بوغرودة، موسيقى الأهقار من الشفهية إلى التدوين، دار الأنير، الجزائر، 2020م، ص 37.

على ذلك ما يميز المجتمعات قديما من حروب، وغارات، وترحال دائم في طلب الماء والكلأ¹. وهذه العوامل وغيرها تركت آثارا واضحة على الفنون والآداب الصحراوية ، وزودت أهالي الصحراء بالذكاء الحاد والاستعداد الفطري لتلقي الإلهام؛ وهو ما يتجلى في الآثار، والإبداعات الفنية، والأدبية التي تفتقت عليها القريحة الطارقية، منذ القدم في شتى مجالات الآداب والفنون.

والثقافة الطارقية شأنها شأن أي ثقافة في العالم مرت بمراحل متباينة من الإبداع، فقد ازدهرت أحيانا وتراجعت أحيانا أخرى، كما عرفت عدة تأثيرات خارجية ترجع أساسا إلى عامل الاختلاط، والاحتكاك بثقافة الشعوب الأخرى مما جعل الثقافة الطارقية تتأثر بها. وبما أن الأدب الشفهي يعتمد على الذاكرة والتناقل بالسماع، فإن أهالي الطوارق لم يدخروا جهدا في الحفاظ على تراثهم الزاهر بشتى ألوان الأدب الشعبي والحكم، والمواعظ التي قيلت في شتى المجالات حول الكرم والشجاعة والحب والحنين، وهم يتناقلونها بكثرة، ويتغنون بها في الأفراح، أو يرددونها تحت ضوء القمر، وموقد النار ليلا خاصة في الشتاء؛ كأفضل صورة جمالية يجذبونها ويشربون عليها الشاي².

ويتميز الأدب الطارقي منذ القدم عن غيره، حيث أن أموهاغ (الطوارق) يبدعون في التأليف و لا يعيدون أو يقلدون، ويشكل الشعر (تيسيواي)، والأمثال (انهيثن)، والقصص والحكايات (وتينقاس) أو (تينفوسين)، والغناء (أوساهغ) ملامح الأدب الطارقي وفنونه المتنوعة. وقد لا يُحْفَى المستمع والمتناول لهذا الأدب انبهاره ودهشته من ضروب القصص العجيبة التي تدور أحداثها بين الحقيقة والسحر، وتجد التنوع في أبطال هذا الموروث الأدبي،

¹ - عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص 57.

² - المرجع نفسه، ص 58-59.

حيث يضم الكائنات كلها والإنس والجن، والطير و الدواب، والرياح و السراب وغيرها¹. وقد ساهمت المنطقة الجغرافية التي سكنها الطوارق في الصحراء في جعلهم بعيدين عن الصراعات وتوسعات الأمم والحضارات القوية عبر التاريخ، فحافظوا على لغتهم من الذوبان في اللغات الأخرى، إضافة إلى أن حروف التيفيناغ كانت تُكتب بها العقود التجارية، والتقاييد المهمة؛ بسبب سيطرة الطوارق على تجارة القوافل الصحراوية، خاصة في المسالك التي تقطع أراضيهم كمنطقة الهقار، منطقة التاسيلي، ومنطقة الأزواد، باتجاه تنبكتو .

يضاف إلى ذلك مساهمة المرأة الطارقية في الحفاظ على حروف تيفيناغ، وتعليمها لأبنائها. وهذه الحروف أهمية حضارية كذلك ؛ كونها تنم عن حضارة شعب كان ولا زال موجود بالصحراء الكبرى، كما تكشف حروف تيفيناغ أسرار الكتابة الليبية القديمة التي تواجدت بالصحراء عبر تاريخها المتجذّر في القدم؛ ومنه فإن استقراء هاته الخطوط والكشف عن ظروف اختطاطها؛ سيجيب عن العديد من الإشكاليات التاريخية، التي تخص مرحلة مهمة من تاريخ الصحراء الكبرى .

- قبائل زناته:

ينتسب قبائل زناته حسب ابن خلدون إلى جانا بن يحيى بن صولات بن ورمك بن ضري بن رحيل بن مدغيس بن بربر². وأصل كلمة زناته هو صيغة من جانا التي هي اسم الأب الأصل لزناته، وهو جانا بن يحيى، وعند تعميم الكلمة على الجنس نقول جانان ، ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب، فهي أقرب للزاي فصارت زنانات لفظا دالا على

¹ - عبد الله كروم: المرأة في مجتمع الطوارق خلال القرن 19م منطقة الهقار عينة، مقال ضمن كتاب الملتقى الوطني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، 24-25 يناير 2012م، منشورات المركز الجامعي بالوادى، مطبعة منصور، 2012م، ص 136-137.

² - عبد الرحمن بن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وما عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر، تح:خليل شحادة وسهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ج7، ص04.

الجنس ثم ألحقوا به هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي تخفيفاً¹.
وقد انتشرت قبائل زناته في واحات الصحراء الكبرى مشكّلة تجمّعات بشرية في جبال نفوسة، وفي وادي ميزاب (الإباضيين)، كما ينتشرون في الجنوب الغربي للجزائر، وأغلب سكان دياره من زناته²، وفي واحات توات³.
وفي هذا السياق؛ يقول ابن خلدون: "تعد قبائل زناته من أقدم سكان الصحراء، ويتركز موطن زناته في وسط الصحراء بين غدامس إلى السوس الأقصى، وأكثرهم بصحراء المغرب الأوسط، حيث أصبحت تعرف أماكنهم بمواطن زناته، ومنهم أيضاً قبائل جنوب المغرب الأقصى"⁴.

وتشير المصادر التاريخية إلى قدم تواجد قبائل زناته بوسط الصحراء كبرى بإقليم توات بالجزائر، حيث يذكر ابن خلدون: "... بأنهم هم من شيدوا حصون سجلماسة، وقصور توات، وتيجورارين وفجيج"⁵، وهو ما ذهب إليه أيضاً صاحب (مخطوط درة الأقلام)؛ بقوله: "بأن زناته بعد أن انكسرت دولتهم بالمغرب، فروا إلى الصحراء و نزلوا عند وادي قير و شيدوا قصورهم على شفير مجرى الوادي واتخذوا البساتين و نحتوا الفقاير، وبنوا القصور، مثل قصور غرميانو، أقبور، الشارف، تيط"⁶.

¹ - المصدر نفسه، ج7، ص 10-11.

² - حماد الله ولد السالم: تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية، مقتطف من كتاب العبر لابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ج1، ص51.

³ - نبيلة حسن مُجّد: المرجع السابق، ص92.

⁴ - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص04.

⁵ - المصدر نفسه، ج6، ص136.

⁶ - مُجّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكرية، تمنيط، أدرار، الجزائر، الورقة 5 و.

ومن الفروع الزناتية التي جاءت إلى إقليم توات؛ أولاد عبد الجليل، ذكوان، آخروم، أولاد عليش وغيرهم، واستمر توافدهم إلى غاية القرن الثالث عشر للميلاد¹. وما يدل على قدم نزوح الأمازيغ إلى الإقليم، هو بقاء لغتهم متداولة على الرغم من التعريب الذي لحق بالمنطقة بعد انتشار الإسلام، خاصة في منطقة تيجوارين (قورارة)، أسماء القصور الأمازيغية، مثل: تمنطيط، تيط، فنوغيل، تيطاف وغيرها².

- القبائل العربية :

عرف بلاد المغرب الإسلامي توافد الجنس العربي، سواء من الأشراف أو غيرهم بداية من عهد الفتوحات الإسلامية؛ خاصة الفاتحين الأوائل الذين قدموا مع عقبة بن نافع الفهري في منتصف القرن الأول الهجري؛ والذين لم يكن عددهم كثير، بحيث لم يؤثروا كثيرا على سكان المغرب الكبير من البربر(الأمازيغ)، ولم يتعربوا إلا مع هجرة قبائل بني هلال وبني سليم سنة 444هـ/1052م³، وهو ما يؤكد ابن خلدون في قوله: "... العرب لم يكن المغرب لهم في الأيام السابقة بوطن، وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الخامسة أفاريق من بني هلال وسليم اختلطوا في الدول هناك فكانت أخبارهم من أخبارها"⁴.

كما عرف بلاد المغرب الإسلامي توافد كبير لقبائل بني هلال وبني سليم العربيتين، حيث كانت هذه الهجرة من المشرق العربي إلى مصر، ثم انطلقت من شرق صحراء النيل إلى بلاد المغرب، وانتشروا في ربوعه، ثم توجهوا نحو الصحراء، وامتزجوا بالسكان الأصليين، فكثرت عددهم وأصبحوا جزء من النسيج الاجتماعي. وتشتمل هذه القبائل العربية على فروع قبيلة بني

¹ - المصدر نفسه، الورقة 5 و.

² - Louis Voinot: Le Tidikelt , étude sur la géographie, l'histoire et les Mœurs du pays, Ed Jacques Gandini, 1995, p204-206.

³ - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص 190 - 135.

⁴ - عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون...، المصدر السابق، ج6، ص 6.

هلال ابن عامر وهم: معقل، أثبج، جوشم، رياح، زغبة، كما تشتمل هذه القبائل العربية أيضا على فروع قبيلة بني سليم ابن منصور الذين تنتسب لهم قبائل ذياب، وهيب، وزغب، وعوف¹.
وعرب المعقل هم ثلاثة بطون: بنو عبيد الله، وبنو منصور، وبنو حسان؛ فبنو عبيد الله موطنهم في الشمال بتلمسان، وبنو منصور ينتشرون من تاوريت بشمال المغرب إلى درعة وملوية، ويصلون إلى غاية سجلماسة وأرض السوس، كما يذكر ابن خلدون أن بني حسان ينتجعون في مواطن المثلثين من جدالة، ومسوفة، وملتونة².

ويضيف ابن خلدون كذلك بأن: "المعقلين لهذا العهد من أوفى العرب ومواطنهم بقفار المغرب الأقصى مجاورون لبني عامر من زغبة بقبلة تلمسان، وينتهون إلى البحر المحيط من جانب الغرب، وهم ثلاثة بطون: ذوي عبد الله وذوي منصور وذوي حسان... ومواطن ذوي حسان من درعة إلى البحر المحيط، وينزل شيوخهم بلاد نون قاعدة السوس فيستولون على السوس الأقصى وما إليه، وينتجعون كلهم في الرمال إلى مواطن المثلثين من كدالة ومسوفة وملتونة"³
وبالجملة، فإن عرب المعقل قد أقاموا في القفار وتفردوا في الصحراء فموا وتكاثر عددهم حتى استحوذوا على قصور الصحراء التي اختطتها زناته. وفي ذلك يقول ابن خلدون يقول ابن خلدون: "...هؤلاء المعقل ملكوا قصور الصحراء التي اختطتها زناته بالقفر، مثل قصور سوس غربا ثم توات، ثم جودة تامنطيط، ثم وركلان ثم تاسبيت، ثم تيكورارين شرقا"⁴.
ومن هذه القبائل العربية نذكر:

- الأشراف:

الأشراف هم المنتسبون لبيت النبوة من نسل فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يمثلون قمة

¹ - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 2001م، ص 29-30.

² - ابن خلدون: كتاب العبر، المصدر السابق، ج6، ص78.

³ - المصدر نفسه، ص77.

⁴ - المصدر نفسه، ص78.

الهرم في المجتمع، ويحظون بمكانة محترمة ومحبة كبيرة في المجتمع، انطلاقاً من حبهم لرسول الله ﷺ وآل بيته الطاهرين الطيبين، وبهذا فهم يمثلون أعلى الهرم الاجتماعي، ويُعد عرش أولاد سيدي حمو بلحاج من الأعراس المنتشرة في غرب الصحراء عامة¹.

وقد كان انتشارهم انطلاقاً من توات، حيث دخل جد هؤلاء الأشراف سنة 1010هـ/1601م لمنطقة توات وأقام تاجراً في عريان الرأس (إحدى قرى تساييت)، ثم تنقل بين قصور توات باتجاه تنبكتو، وتوفي هناك سنة 1042هـ/1636م تاركاً ميراثاً عظيماً، مما استدعى من أبنائه السفر إلى تنبكتو لاقتسام الميراث، وفي طريق عودتهم اختاروا الاستقرار بأرض توات. وأهم فروعهم بتوات؛ أبناء مولاي أمجد الحاج، وأبناء مولاي عبد المالك، وأبناء مولاي عبد الكريم، وأبناء مولاي الزين، وأبناء مولاي عبد الله، وأبناء مولاي أحمد، وتتوزع هذه الفروع عبر توات من تساييت إلى رقان². كما يوجد بتوات فروع أخرى من الشرفاء؛ مثل أبناء الشريف مولاي علي، وأبناء مولاي عبد الله الرقاني، وأبناء مولاي هيبية. وكذلك أبناء مولاي سليمان بن علي بأولاد أوشن⁽³⁾، والشيوخ القاضي عبد الله العصنوني⁽⁴⁾.

¹ - يراجع كتاب الباحث: مهدي ولد مولاي الحسن: من تافيلالت إلى الحوض الشرقي السلالة الصحراوية لأولاد سيدي حمو بلحاج، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، المغرب، ط1، 2002م.

² - عبد الرحمن بعثمان: القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17-18م، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بله وهران 01، السنة الجامعية 2015-2016م، ص 86-87.

³ - مولاي التهامي غيتاوي: سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، 2005م، ج1، ص 60-65.

⁴ - هو أبو عبد الله بن أبي بكر العصنوني ولد بتلمسان، قديم إلى تنظيم بتوات سنة 863هـ/1459م، ودرس على شيخها يحيى بن يدير. ترأس أحد أطراف السجال الفقهي في نازلة اليهود، مع المغيلي، لم أعر في المصادر التي اطلعت عليها تاريخ ميلاده ووفاته رحمه الله. ينظر. إبراهيم بلبالي: التأثير الثقافي لحاضرة تلمسان على توات في القرن 9هـ/15م من خلال نوازل الونشريسي، مقال ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار: 14-15 أبريل 2009م، ص 227.

وقد قدم معظمهم من بلاد المغرب الأقصى بشكل فردي، ومنهم من جاء فارا إلى توات من النزاعات الداخلية على الملك⁽¹⁾. وكذلك عرف المجال البيضاوي بغرب الصحراء الكبرى وبلاد شنقيط انتشار قبائل الشرفاء ، وهم كما يأتي:

– أبناء عبد الله بن إدريس:

ومنهم بنو عبد المؤمن شرفاء تشيت، وفروعهم أهل الشريف حمى الله، وأبناء الشريف أحمد، وأبناء مُحَمَّد بن الإمام، وأبناء بوبة الشريف، وأبناء الإمام من آل زيني، وآل أحمد بن فاضل، وآل عبد المؤمن ، وأبناء فاضل الممثلون في آل المختار الشريف، وآل انبويه الشريف، وآل الإمام أحمد، وأبناء الشريف مُحَمَّد، وآل الشريف بن أحمد². كما ينسب إلى عبد الله بن إدريس شرفاء ولاته المنحدرين من توات من أبناء سيدي حمو بن الحاج، الذين هاجروا من توات إلى ولاته في القرن 18م³.

– أبناء عمر بن إدريس:

وهم آل مولاي الزين؛ وفروعهم أبناء مُحَمَّد بن مولاي أحمد، وأبناء عبد الرحمن القاسم في شنقيط، وأهل سيدي جعفر، وأهل سيدي عالي، وأهل سيدي الشريف في ماسنة⁴.

– أبناء مُحَمَّد بن إدريس:

أشهرهم القلاقمة؛ ومنهم: أبناء الطالب عبد الفتاح، وأبناء الطالب مختار، وأبناء اجيه المختار، وأبناء احمدن هيبه، وأبناء أرح الله، وأبناء الطالب الحسين، وأبناء أرشق، وأبناء الرسول،

¹ – مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين إقليم توات والسودان الغربي ... ، المرجع السابق، ص 42.

² – المختار ولد حامد: حياة موريتانيا (الجغرافيا)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1414هـ/1994م، ص 67.

³ – الحسين حديدي: الحياة الفكرية والروحية بالمجال البيضاوي خلال القرنين 18 و19م، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط ، المغرب ، 2014م، ص 80.

⁴ – المختار ولد حامد: حياة موريتانيا (الجغرافيا)، المصدر السابق، ص 67.

وأبناء الطالب مختار القلقمي، وأبناء الطالب سيدي أحمد وأبناء عمهم من النوازير وأبناء يامر، وأبناء أجمان، وأبناء سيدي نحام¹.

- أبناء سليمان بن عبد الله الكامل:

قبيلة إيداو علي²، وهما فرعان إداو علي البيض في تجكجة، وإداو علي الكحل في شنقيط والركيز، ومنهم أمكاريج الذين ينحدر منهم أهل الشيخ مُجَّد الحافظ العلوي التجاني³. وتنتسب كذلك قبيلة أيد اشفاغة من تشمشة إلى سليمان بن عبد الكامل⁴.

- أبناء أحمد بن إدريس:

وهم آل تنواجيو ومنهم؛ أيد بدهس واحبابركه، وأولاد يوسف الكبير، وأولاد المهاجري، وأولاد يوسف الكبير، وأولاد المهاجري وإيدابلحسن في الركيز⁵.

- أبناء القاسم بن إدريس:

وهم شرفاء تكانت في وادي الناقة وفروعهم؛ أولاد المولود، أولاد بوخطار، أولاد عبد الرحمن.

كما يُنسب للأشراف الأدارسة في المجال البيضاني أهل الشريف المكي في أغلال تامسكط، وأهل الشريف هاشم، وأهل مولاي الحبيب، وأهل عبد الله بن حامد، وأهل احمدن

¹ - المصدر نفسه، ص 68.

² - إداو علي: قبيلة عريقة في العلم، والمكانة يتصل نسبهم إلى يحيى بن علي الذي تفرع من ولديه أبيجه بن يحيى جد إيداو علي الكحل، وأحمد بن يحيى جد إيداو علي البيض، ومعظم إيداو علي البيض في تجكجة قاعدة منطقة تكانت، أما الكحل ففي شنقيط والركيز، وتيجكجه، وقد اشتهرت هذه القبيلة بعلمائها المنتشرين في العالم الإسلامي. ينظر: أحمد بن طوير الجنة الحاجي الوداني : تاريخ ابن طوير الجنة، تح: سيد أحمد سالم، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1995م، ص 44.

³ - الحسين حديدي: المرجع السابق، ص 81.

⁴ - المختار ولد حامد: حياة موريتانيا (الجغرافيا)، المصدر السابق، ص 83.

⁵ - المصدر نفسه، ص 76.

الله، أهل مودي مالك، وأهل الشريف سيدي مُجَّد بن القاسم¹.

- الشرفاء العلويون :

وهم من أولاد مولاي علي الشريف السلجماسي، وأهل البخاري الشريف، وأهل المرتجي، وأهل السالك بن سيدي مُجَّد بن مولاي الطايغ، والعمارمة في أولاد علوش، وأهل مولاي صالح بن مولاي الشريف².

- الشرفاء آل السماليل:

وهما فرعان: أهل عبد الرحمان وأهل بابا وينسبون إلى الحسين بن علي كرم الله وجهه. ومن الشرفاء كذلك بغرب الصحراء الكبرى والأزواد ممن ينتسبون إلى الحسين بن علي أهل مولاي ابراهيم وفروعهم أهل البخاري، وأهل مولاي الحسن، وأهل مولاي البشير، وأهل مولاي عمار، وأهل مولاي إدريس، وأهل المبارك، وأهل احمدن الله³.

- أبناء الإمام الحضرمي:

وهم إيدوكج شالله من ايدابلحسن، أهل اشفاغا الحمد من تاكنيت، أهل جدو، وأهل اعليه بن عينينا، أهل حبيباننا، وأهل المختار بن محم⁴. ومن قبائل الشرفاء بالمجال البيضاني نجد أيضا:

- أولاد أبي السباع:

ومنهم أولاد النومر، وأولاد عمران الذين هاجروا من ناحية مراكش إلى تيرس بالساقية الحمراء، والترارزة، وآدرار.

1 - المصدر نفسه، ص 80-81.

2 - المختار ولد حامد: حياة موريتانيا (الجغرافيا)، المصدر السابق، ص 81.

3 - المصدر نفسه، ص 83. للتوسع ينظر: الشريف غالي الحسني: مذكرة في نسب قبيلة الشرفاء السماليل في موريتانيا، مطابع البركاتي، مكة المكرمة، السعودية، ط1، 2005م، ص 2-6.

4 - المختار ولد حامد حياة موريتانيا (الجغرافيا)، المصدر السابق، ص 84-85.

- شرفاء فالالة:

ينتسبون إلى أحمد بن مولاي علي الشريف؛ انتقل جدهم إلى الصحراء في زمن سلطان المغرب المولى إسماعيل العلوي(1672-1727م)، وتمركزوا في وادي نون، وكانوا أصحاب علم ويتبعون الطريقة القادرية في تصوفهم، اشتهرت منهم أسرة آل سيدي بوبكر.

- شرفاء توبالت:

ينسبون إلى الولي الصالح سيدي وسيدي دفين تارودانت في منطقة سوس، وينتشرون في أماكن أخرى في غرب الصحراء الكبرى، منهم أسرة في بوتلميت بأرض شنقيط، ويستقر معظمهم بمحاذاة سواحل المحيط الأطلسي، اشتهرت منهم أسرة آل الليلي¹.

- الشرفاء العروسيون:

نسبة للشريف الشيخ سيدي أحمد العروسي الذي قدم من مراكش، واستقر بالساقية الحمراء، ودُفن قرب السمارة، وأسهمت هذه القبيلة في توطيد أركان إمارة الترارزة في أحمد بن دمان الذي ساعده سيدي أحمد أوسيدي ابراهيم العروسي في حربه التي قضى بها على أولاد رزق عام 1040هـ/1630م، كما ساهمت فروع هذه القبيلة التي انتشرت في عدة أماكن من المجال البيضاني في تقوية الصلات الروحية والثقافية بين المغرب الأقصى ومجال البيضان، واشتهر شرفاء العروسيين كغيرهم من قبائل الزوايا بالعلوم الشرعية واللغوية².

- الشرفاء الرقيبات:

ينتهي نسبهم إلى إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل، بن الحسين المثني، بن الحسن السبط، بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، ويعتبر

¹ - الحسين حديدي: المرجع السابق، ص 84-85

² - المرجع نفسه، ص 82-83.

الشيخ عبد السلام بن مشيش أحد أقطاب التصوف في المغرب الإسلامي، وهو الجد الثالث والعشرون للشيخ سيدي أحمد الرقيبي¹.

ويتفرع الرقيبات إلى ثلاثة فروع رئيسية وهم: أولاد علي بن سيدي أحمد الرقيبي، وهم: أولاد موسى، والسواعد، وأولاد داود، وأولاد اعمر ومنهم: أولاد الطالب، والتاهلات، والقواسم ومنهم لبيهاث، وأولاد داود بن القاسم، والفقراء، وسلام.

وينتشر أولاد داود بن القاسم في تندوف، وأولاد ابراهيم بن داود، وأهل احمدين داود، والجنحة، وأولاد يحيى بن ابراهيم، وأهل سيدي علال، وأهل الخريف، وأهل عبد الصمد، والسلالكة، وأهل سيدي احمد والحميدانات، وأهل اباعلي بن القاسم بن ابراهيم. ومن الفقراء؛ أهل أحمد بن الحسين، والصدادفة، والبريكات، والرمة، وأهل الأجد، والتوشلت ومن سلام؛ لميسات، وأهل الشيخ علي، وأهل احمده وأهل سويلم².

ويتطرق محمد بن لحبيب في كتابه (جوامع المهمات في أمور الرقيبات) إلى انتظام هذه القبيلة، وتعاونهم فيما بينهم من أجل تحقيق أمنهم في غرب الصحراء الكبرى، ومجابهة ظروف الحياة الصعبة، حيث يقول: " إن الرقيبات لما تناسلوا وكثر ما لهم وانتشروا وصاروا قبائل شتى، وناشبتهم أطراف الرماح اجتمعوا، وتشاوروا في أمرهم، فاتفق رأيهم أنهم إذا نزل بهم أمر مهم كالخوف يجتمعون في مكان واحد ويختارون رجل من أعيانهم معروف بالشجاعة وحسن الرأي، ويكون معه رجال اختارهم من القبيلة، والجماعة يسمونها أيت أربعين، والرجل يسمونه المقدم." ³

¹ - مبارك جعفري: مقالات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2018م، ص 186-187.

² - المختار ولد حامد: حياة موريتانيا (الجغرافيا)، المصدر السابق، ص 74-76.

³ - محمد السالم بن لحبيب بن الحسين بن عبد الحي: جوامع المهمات في أمور الرقيبات، تح: مصطفى ناعمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 1992م، ص 76.

أما عن ادعاء النسب الشريف ورفعه للرقبيات مع كثير من البطون إلى أحمد ابن ادريس، فعن الشرف بصفة عامة قال المختار ولد حامد في كتابه (الحياة الجغرافية لشنقيط) ما مضمونه: " إن ادعاء النسب الشريف لا سبيل إلى رفع كثير منه إلى النبي ﷺ كما لا يمكن تكذيبه، لذلك فلدينا أدلة ظنية ترجح لا محالة على ادعاءات المكذّبين لأنهم نافون والمثبت مصدق على النافي، قال المختار " الشهادة على النفي غير مقبولة"، ثم قال بأن لكل قبيلة عدولها وهم أدري بنسبها¹.

- القبائل العربية:

- قبائل الشعانية:

تنحدر قبائل الشعانية من علاف بن عوف بن سليم بن منصور، وهي قبيلة عربية عدنانية استقرت بدايةً بطرابلس الغرب (ليبيا) جنوب المغرب الأدنى، ثم انتشروا في باقي بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) والصحراء، ويعتبر إقليم متليلي المكان الأول الذي استقروا فيه في صحراء المغرب الأوسط في حدود سنة 751هـ/1350م².

وبعد استقرارهم بها مدة من الزمن، اشتد الضغط السكاني بها وعرفت تزاخما كبيرا على الموارد المائية والمراعي، مما دفع بالعديد من بطونها إلى الهجرة نحو مناطق أخرى من الصحراء، كالمنيعة (بطن المواضي)، و ورقلة (بطن يوربة)، و وادي سوف وضواحي العرق الغربي الكبير خاصة في تميمون وبني عباس. وكانت قبيلة يوربة الشعانية من أكبر القبائل البدوية بورقلة (وارجلان)، من حيث العدد. والتي يتفرع منها كل من: أولاد سعيد، أولاد زايد، أولاد

¹ - المختار ولد حامد: حياة موريتانيا (الجغرافيا)، المصدر السابق، ص 66.

² - محمد حوتية: توات والأزواد؛ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرنين 18-19م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج1، ص72.

إسماعيل، أولاد فرج، وأولاد أبو بكرودري. وكانت تخضع قبيلة الشعانبة لسلطة شيخين ؛ الأول من أولاد إسماعيل، والثاني من أولاد منصور¹.

- بنو حسان²:

يرجع نسبهم إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وقد انطلقت هجرتهم من صعيد مصر في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي نحو بلاد المغرب الإسلامي، ثم نزحت قبائل منهم من المغرب الأقصى خلال العهد المريني نحو جنوب غرب الصحراء الكبرى باتجاه بلاد شنقيط، ووقعت بينهم وبين سكان تلك البلاد صراعات آلت إلى تغلب بني حسان وتقسيمهم البلاد إلى إمارات؛ أهمها: إمارة أولاد مبارك في الحوض، إمارة أحياء بني عثمان في آدرار، إمارة البراكنة في وسط البلاد، إمارة التراززة في القبلة، ورئاسة أولاد الناصر، وأولاد داود بالحوض³.

ومنهم البراييش، وأولاد دليم، وأولاد رزك، والمغافرة، وأولاد عروك، وأولاد اعمر بن حسان. فمن البراييش أولاد عبد الرحمان، وأولاد عمران، والمحافظ، ويقال لهم عرب القبلة، وأولاد ادريس، وأولاد احصيب، وأولاد غنام، وأولاد عكرمة ، ويقال لهم بطن الجمل، ويضاف إليهم أولاد سعيد، وأولاد عامر. وتتفرع قبائل البراييش كذلك في تنبكتو وأروان ، ومنهم أولاد جلول،

¹ - ينظر: إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص163- 170 . نفيسة بلخضر : مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة غرداية، السنة الجامعية 2015- 2016م ، ص22.

² - بن سليمان القاضي يبيّ : موريتانيا ، الوقائع والوفيات وذكر الحروب والإغارات ، تحقيق: مُجدّ سعد بوه (ولد) حمّاه الله حمود (ولد) سليمان ، لعيون ، موريتانيا ، ط1، 2001م، ص20. ينظر أيضا: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 04

³ - أحمد بن طوير الجنة الحاجي الوداني: تاريخ ابن طوير الجنة ، تح:سيد أحمد بن أحمد السالم ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، 1995م، ص49.

والخطورات، والنهارات، وأولاد النضير، والغميرات وأولاد الشبيل، وأولاد عثمان، كما يدخل في البرابيش السكاكنة، وأرقان والكوانين من تكانت¹.

– أولاد دليم:

وهم طائفتان؛ الطائفة الأولى هم أولاد دليم الشرق وأولاد سنان، وبطونهم أولاد المولاة؛ وهم أولاد السلطان بن سنان بن مولاة، وفروعهم أولاد احمدو ابن بله أولاد بوكريزية، وأولاد بوهنده، وأولاد شاكر، وأولاد الشبلاوي، وأولاد العاطفي، وأولاد الدرعي بن سنان. أما الطائفة الثانية فهم أولاد امعرف، وهم دليم الساحل، وبطونهم أولاد الشويخ، وأولاد الرميته².

– أولاد رزك (رزق):

وينتمون إلى أدي بن حسان بن المختار بن عاقل ابن معقل. وقد استقرت هذه القبيلة في المنطقة الغربية الجنوبية وأسست أول إمارة في بلاد شنقيط. فمنهم أولاد بوعللي، وأولاد خليفة، والكتيبات، وأولاد عابد، والكتيبات، وأولاد عابد، والعساكره وأولاد عبد الواحد، وأولاد رحمون، وأولاد عطية³.

– المغافرة :

هم مجموعة هامة من بني حسان، ويمثلون آخر هذه الدفعات الوافدة على المنطقة من بني حسان، ويرجع نسبهم إلى مغفر بن أدي بن حسان بن معقل وقد استقرت منهما مجموعتان في الناحية الغربية الجنوبية هما: أولاد الزناكية (الترارزة والبراكنة) وأولاد العربية (أولاد مبارك وإخوانهم). ولمغفر أربعة أبناء؛ عثمان ومنه أولاد مبارك بن أمجد بن عثمان، وأولاد داود بن

¹ – المختار ولد حامد: حياة موريتانيا (الجغرافيا)، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1994م، ص 85-86.

² – أمجد صالح عبد الوهاب: الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية، تح: الحسن ولد ابراهيم ولد صالح الرشيد، الزاوية العلمية والثقافية للعلامة أمجد الصالح ولد عبد الوهاب، د.م.ن، ط1، 1993م، ص 40.

³ – Paul Marty, Etudes sur l'islam et les tribus Maures, les Brakna,

Editions Ernest Leroux, Paris 1921, p 9 – 13.

المُجَّد¹، وأولاد يحيى بن عثمان ، ومن عمران بن عثمان تفرعت داودات، والبراكنة، والترارزة ؛ لأن بركني وتروز هما: ابنا هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر، وثاني أبناء مغفر ناصر جد أولاد الناصر، وثالثهم أرميث جد أرميثات، والرحاحلة، ولييدات، والرابع هو الخليفة الذي لم نعثر إلى من ينتسبون إليه².

- البراكنة :

تشتق تسمية البراكنة في الأصل من مجموعة قبلية تنتسب إلى بركني بن هداج ابن عمران بن عثمان بن مغفر بن أودي بن حسان³. وتتكون من المجموعات الآتية:

- أهل مُجَّد بن خونا ، بيت القيادة والرئاسة في الإمارة .

- الأنباط وهم أصحاب الشوكة والحراة قبل قدوم بني حسان.

- أولاد أعل أنتفه ، ويمثلون أهم مجموعات إيدوعيش من الناحية الحربية.

- تقدة.

- سارة ، وهي مجموعة من بني حسان.

- قبيلتي ، أولاد طلحة ولقوانيط المغفريتين.

- قبيلة لعويسات: وهي من الحسانيين

- الترارزة :

تشغل المنطقة الجنوبية الغربية من الأراضي الموريتانية الحالية والجزء الغربي من منطقة القبلة التي أصبحت منذ القرن الثامن عشر الميلادي تحمل كمرادف لها اسم الترارزة ؛ نسبة إلى

¹ - مُجَّد صالح عبد الوهاب: المصدر السابق، ص 44.

² - أحمد بن طوير الجنة الحاجي الوداني : تاريخ ابن طوير الجنة ، المصدر السابق، ص 49.

³ - مُجَّد فال بن بابة العلوي: كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة ، تح: الأستاذ أحمد ولد الحسن ، منشورات بيت الحكمة ، تونس، 1986م، ص 30.

تروز بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر بن أدّي (وترد أحياناً : أودي) ابن حسان، جد المجموعة الحسانية التي ظهرت بوادر سيطرتها على هذه المنطقة كقوة سياسية مستقلة منذ بداية الثلث الأول من القرن السابع عشر الميلادي مع أحمد بن دامن بن عزوز بن مسعود بن موسى بن تروز كزعيم سياسي وقائد عسكري في حرب أنتيتام عام 1630م¹. وتتكون العناصر التروزية من ثلاث قبائل كبرى، وهي: هم أولاد دامن (المجموعة الدامانية)، وأولاد البوعليه، والعلب².

- إيدوالحاج:

وهما فرعان؛ لوتيدات ومنهم؛ أهل عبيد سيدي، وأهل حما ميلود، وأهل أحمد هنيدي، والفرع الثاني ايدويج ومنهم؛ أهل سيدي محمود وأهل باحمد، وأهل أمانة ، وأهل ابن صباره، وأهل احمد الأمين³.

- البرابيش:

تنتسب إلى حمو بن حسان⁴، وكان استقرارهم بمنطقة الأزواد، حيث سيطروا على تجارة الملح بين تاودني وتينبكتو؛ ومن بطونهم أولاد عبدالرحمان، والمحافظ، وأولاد عمران وأولاد يعيش وأولاد بوخصيب، وأولاد إدريس وأولاد غنام، عرفت حاضرة ولاته استقرار بعض قبائل البرابيش قادمين من تينبكتو تحت تأثير الباشا يحيى بن محمد الغرناطيف، الذي قتل إبراهيم بن عبد الرحمان

1 - محمد اليدالي: شيم الزوايا، مخطوط رقم 590، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، موريتانيا، الورقة 08.

2 - المختار ولد حامد: حياة موريتانيا (الجغرافيا) ، المصدر السابق، ص 87-90.

- Paul Marty: L'émirat des Trarzas, Editions Ernest Leroux, Paris, 1919, p14 - 15 .

3 - المختار ولد حامد: المصدر نفسه، ص 48.

4 - محمد صالح عبد الوهاب: المصدر السابق، ص 40.

الشبلي البربوشي، كما صاحب دخول البرابيش لولائه صراعات عنيفة مع القبائل التي كانت تستقر بها، وكانت زعامة البرابيش في تلك الفترة في عهد الحاج مُجَّد بن سليمان¹.

- قبائل كنتة:

هي إحدى القبائل العربية الأكثر انتشارا في منطقة الصحراء، قدموا من الشمال نحو توات وبلاد السودان الغربي، على فترات متقطعة، ينتهي نسبها إلى عقبة بن نافع الفهري، مؤسس القيروان².

استقرت هذه القبيلة في الصحراء خلال القرنين السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، بعد أن أصبحت الأوضاع غير ملائمة في الشمال، وفي هذه الفترة رحل أحد أحفاد عقبة إلى واحة عزي من قرى توات، وهو عثمان بن يهس³، الذي أقام بها مرشدا ومربيا تؤخذ عنه فنون العلم إلى أن مات وقبره مشهور بها، ثم خلفه ابنه يحيى وكان علامة حافظا ورعا زاهدا مربيا، تخرج على يديه جماعة فرقه في القرى والمدن للإرشاد والتربية عاش في توات وسط عدد كبير من التلاميذ ومات ودفن فيها، ثم خلفه ابنه علي الذي كان كثير التردد على الصحراء، أين تزوج بنت مُجَّد بن آلم بن كنت بن زم ابن إبدو⁴ واسمها (أهُو)، التي أنجب منها ولده مُجَّد الكنتي، ورجع أبوه إلى توات، أين كان يقوم بمهمة التعليم بقصر عزي، وترى مُجَّد الكنتي في الصحراء؛ أين تعلم القرآن وحفظه وبرع في سائر العلوم اللغوية والدينية، وتلقى دروسه على يد جماعة من المشايخ.

¹ - أحمد بن طوير الجنة الحاجي الوداني: تاريخ ابن طوير الجنة، المصدر السابق، ص 51.

² - مُجَّد حوتية: توات والأزواد...، المرجع السابق، ج1، ص 66.

³ - وهو عثمان بن يهس بن دومان بن ورد بن العاقب بن عقبة بن نافع فاتح إقليم إفريقيا، ينظر: مُجَّد الخليفة الكنتي:

الرسالة الغلاوية، تح: حماد الله ولد السالم، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007 م، ص 134.

⁴ - وهي قبيلة صنهاجية تنتمي إلى صنهاجة الصحراء من لتونة والتي أسست إمارة لها، تسمى إمارة إبدوكل لتونة. ينظر

حماد الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2007 م، ص 79.

تزوج مُجَّد الكنتي بامرأة جكانية، ورزق منها بولد هو أحمد الذي عاش من نهاية 15م إلى بداية القرن 16م، كان رجلا صالحا عالما يقصده الناس، استقر بولائه من أرض شنقيط وتوفي بها¹، يرجع له الفضل في جعل كنته من دعاة الإسلام بين الأفارقة، وكان له الفضل أيضا في نشر الطريقة القادرية في ربوع إفريقيا بعد الشيخ المغيلي، تزوج هو كذلك من امرأة جكانية، ورزق منها بثلاثة أولاد هم مُجَّد الكنتي الصغير وأبو بكر الحاج وعمر الشيخ، وقد تفرعت قبيلة كنته من هؤلاء الثلاثة²، واستقروا في حواضر على طول خط القوافل التجارية الرابطة بين توات وبلاد السودان الغربي. وأشهر هذه الحواضر، نذكر³:

- زاوية كنته :

وهي المحطة التي استقر بها أحمد بن مُجَّد الرقاد العائد من أرض التكرور، وأسس بها زاويته سنة 1591م/999هـ، وخرج من هذه الزاوية أحمد بن علي الرقاد إلى بلاد التكرور وأسهم في نشر الإسلام والعلوم الشرعية الإسلامية⁴.

¹ - مُجَّد بن أبي بكر البرتلي الولاقي: فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تح. مُجَّد إبراهيم الكتاني و مُجَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1981م، ص 30.

² - أحمد شلي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، د.ت، ص 212.

³ - عزيز عقباوي بن بوبكر الهاملي الكنتي: النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، مطبعة عزي، د.م.ن، د.ت، ص 29. ينظر: عبدالله مقلاتي: علاقات إقليم توات بحواضر السودان الغربي العلاقات الثقافية و أبعادها الحضارية ، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت ، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي ، أدرار ، 14-15 أبريل 2009م، ص 215.

⁴ - مُجَّد حوتية: توات والأزواد...، المرجع السابق، ج1، ص 242-243.

- أقبلي :

التي أسس زاويتها الشيخ مُجَّد بن أبي نعامه بن عبد الرحمان¹ (ت. 1163هـ/1750م)، وذلك في سنة 1130هـ/1718م، عند قدومه من بلاد الأزواد، وكانت منطلقا لركب الحج، سواء من توات أو من بلاد السودان الغربي².

- ولآته:

في بلاد شنقيط، وهي المحطة التي انتقل منها سيد أحمد البكاي وأبناءؤه الذين اتخذوا من بلاد التكرور منطلقا لدعوتهم، ونشر الإسلام دون أن تنقطع صلاتهم بتوات، ومن ولآته انتشر الكنتيون في غرب إفريقيا عن طريق ولآته تنبكتو وحوض نهر السنغال³.

كما اشتهر الكنتيون في أقبلي باهتمامهم وقيادتهم لركب الحجيج، فبوصول قوافل حجاج غرب إفريقيا إلى تديكلت يجدون في استقبالهم الكنتيين بزواوية أقبلي في ساحة الحجاج، ويلحق بهم حجاج تيجورارين، وهم يحملون الراية الخضراء، وبعد اجتماعهم في أقبلي، يتولى شيخ الركب أبو نعامه الكنتي قيادة الرحلة الحجية، فيقطع الركب منطقة تديكلت مروراً بقصر

¹ - الشيخ أبو نعامه: هو سيدي أمجد أبو نعامه بن عبد الرحمن بن أمجد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الحاج بن سيدي احمد البكاي بودمعة بن سيدي أمجد الكنتي العقباوي ، ولد سنة 1060 هـ بمدينة سجلماسة ، أخذ العلم على مجموعة من المشايخ سيد احمد اللمطي بتفالت ، وسيد أحمد الخليفة بن عمر بن الشيخ سيد أحمد الفيوم بتنبكتو ، وفيما بعد الحاج أبو بكر بن عمر الوافي بالمبروك ، استقر بداية بصحراء مالي وتزوج بها ، ثم تنتقل إلى منطقة والن بتنزوفت، وحفر بها بئر لعابري السبيل من القوافل التجارية، وبعدها انتقل إلى تيمادانين، بغبني بها مسجدا ودرّس بها، وكانت نهاية رحلته بأقبلي أين أسس زاويته العلمية والصوفية القادرية سنة 1130 هـ/1718 م ، توفي رحمه الله يوم 19 رمضان 1163 هـ. ترك بعده خزانة مخطوطات في شتى فنون العلم تضم أزيد من 200 مخطوط. ينظر: مُجَّد حوتية: المرجع السابق، ج1، ص 235. عبد المجيد قدي: صفحات من تاريخ منطقة آولف ، دار أبحاث ، الجزائر، ط2، 2007، ص 185.

² - المرجع نفسه، 186.

³ - صالح بوسليم: جهود الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي في نشر الطريقة القادرية بالساحل والغرب الإفريقي خلال القرنين 18-19م، في مجلة الحوار المتوسطي، مج5، ع02، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر 2014م، ص 13-158.

تيط وقصر عين صالح ويدخلون جنوب ليبيا، ويمرون بمدينة مرزق بإقليم فزان، ويستمر سيرهم إلى أن يصل الركب البقاع المقدسة¹.

وقد وصف سيدي أمجد ولد سيد الحاج بن أمجد الكنتاوي⁽²⁾ طريق ركب الحجيج من أقبلي إلى البقاع المقدسة مروراً بليبيا ومصر في رحلته الشوقية المشهورة في الحواضر الصحراوية³. كما تعتبر كذلك زاوية أقبلي الكنتية بوابة الطريقة القادرية إلى إفريقيا جنوب الصحراء؛ وزاد في تثبيت هذه الطريقة في نفوس مرديها بإفريقيا جنوب الصحراء، حيث انتسب بعض السلاطين والأمراء إليها⁴، وظهر حكام ومصلحين تشبّعوا بأفكارها، فقاموا بإصلاح سياسي وديني، مثل الشيخ عثمان دان فودي، والشيخ أحمدو، والشيخ أحمد⁵، وعبد الله ابن فودي أخ عثمان دان فودي الذي يشهد له بأنه تأثر في أفكاره السياسية بالشيخ

¹ - عبد المجيد قدي: المرجع السابق، ص 151.

² - ولد سيد الحاج الكنتي: هو سيدي أمجد بن احمد بن أمجد الحاج بن سيدي أمجد أبي نعامة بن عبد الرحمان الهاملي الكنتي، المعروف بولد سيد الحاج ولد عام 1170هـ/1824م بأقبلي، نشأ في الزاوية الكنتية بأقبلي، وتعلم العقيدة والفقهاء وعلوم الدين والتصوف، وكان مجيدا للشعر وفنونه؛ فكثيرا ما مدح الرسول عليه الصلاة والسلام في شعره، اشتهر بقصيدة من الشعر الشعبي؛ والتي هي عبارة عن رحلة شوقية إلى البقاع المقدسة؛ حيث ذكر فيها جميع المحطات التي يعبرها الحجيج في قافلة الحج، وذكر كيفية أداء المناسك ثم رجع بالرحلة من نقطة انطلاقها بأقبلي، وكل هذا دون أن يحج بل فقط من اجل استماعه للحجاج وشوقه للحج وزيارة البقاع المقدسة. توفي رحمه الله عام 1253هـ/1837م. ينظر: عقباوي عزيز: المرجع السابق، ص 147-148. عبد الله كروم: الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بإقليم توات، منشورات دحل، الجزائر، 2007م، ص 65.

³ - أمحمد ولد سيد الحاج: قصيدة ركب الحجيج، مخطوط بخزانة أبي نعامة الكنتية، أقبلي، أدرار، الجزائر. ينظر: يحيى ولد سيد أحمد: ديوان الصحراء الكبرى، المدرسة الكنتية والقصائد النبرات، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 69.

⁴ - نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، مطبعة الجزائر، د. ت، ص 85.

⁵ - عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988م، ص 111.

المغلي، وكذا بالمختار الكنتي الكبير¹.

ج - التطور التاريخي للصحراء الكبرى:

أثبتت دراسات علماء الآثار بأن المناخ الرطب الذي سبق الجفاف والتصحر الذي تعرفه الصحراء حالياً؛ هو تلك المستحاثات، والرسومات التي عثر عليها لحيوانات كالكركدن، والتمساح، والفيلة وفرس النهر، والزرافة والجاموس، إلى جانب نباتات مختلفة، حيث استمرت الغابات تميز الصحراء خاصة المرتفعات، مثل جبال الهقار والطاسيلي حتى الألف الثانية قبل الميلاد²، مع العلم أن الفنون الصخرية سجلت لنا سجلا حافلا عن تاريخ الصحراء من خلال النقوش، والرسوم التي دونها سكان الصحراء القدماء عن حياتهم اليومية، فقد ظهرت لوحاتهم في أغلبها واقعية منسجمة مع تاريخ حياتهم لأن عنايتهم بالتدوين كانت قليلة، وكل الرسومات تدل على أن المنطقة كانت رطبة، وأنها لم تكن صحراء في تلك الفترة التي ظهرت فيها هذه الفنون والرسومات الصخرية³.

ومن الشواهد التي تؤكد الوضعية المناخية الرطبة بعض البحيرات الكبرى؛ حيث دلت الدراسات الحديثة أن شط الجريد الواقع جنوب تونس تحول إلى بحيرة مرتين عبر التاريخ؛ الأولى حوالي 140 ألف سنة قبل الميلاد؛ أي بعد نهاية دور جليد ريس وبداية الفترة الفاصلة بين دور جليد ريس، ودور جليد قورم، والبحيرة الثانية حوالي 90 ألف سنة قبل الميلاد؛ أي خلال الربع الأول من دور جليد قورم، ونفس الشيء بالنسبة لبحيرة تشاد، التي عرفت اتساعا في حجمها خلال عصور ما قبل التاريخ ما بين 40 و20 ألف سنة قبل الميلاد؛ أي خلال المرحلة

¹ - عبد الله مقلاتي: علاقات إقليم توات بحواضر السودان الغربي، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار في: 14-15 أبريل 2009م، ص 217.

² - مبارك جعفري: مقالات وأبحاث في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 116.

³ - إبراهيم العيد بشي: تاسيلي ناجر الأزمنة الجيولوجية والمؤشرات الحضارية، والعوامل الطبيعية المكونة للمنطقة، ط1، منشورات الحبر، الجزائر، 2008م، ج2، ص28.

الأخيرة من دور جليد قورم، حيث بلغت مساحة بحيرة تشاد آنذاك ما يناهز 16 مرة مساحتها الحالية، وتجاوز عمقها 50 متر، وخلال العشرين ألف سنة الأخيرة شهدت الصحراء الكبرى فترات من الجفاف¹.

ومنذ ما يقرب من ثلاث آلاف سنة ق.م ، بدأت الأحوال المناخية تتغير في الصحراء الكبرى ، وبدأ معها الجفاف والتصحر تدريجيا وبدأت الصحراء تتوسع على حساب الأقاليم المجاورة، وتؤرخ النقوش والرسومات الصخرية المتواجدة في صحراء الجزائر بجمال الطاسيلي والهقار قدم تواجد الإنسان بالصحراء بحث يحدد علماء الآثار أن صور الصيد تواجدت في الفترة الزمنية من 5000 سنة ق.م إلى 3500 سنة ق.م ، وصور الرعي المنقوشة من 3500 سنة ق.م إلى 1000 سنة ق.م ، وصور الحصان تؤرخ للفترة ما بين 1500 سنة إلى 1000 سنة قبل الميلاد ، وصور الجمل ذو السنام الواحد تؤرخ لفترة قريبة نوعا ما مقارنة بما سبقها، وهي فترة 100 سنة ق.م، ووجد إلى جانب هذه الصور المنقوشة حروف التيفناغ، وقد عرفت الأجزاء الشمالية من الصحراء الكبرى توسع الإمبراطورية الرومانية التي بلغت أوج قوتها واتساعها ما بين (40-235م)، كما ساهم الرومان في بناء عديد المدن وإدخال نظم عديدة في زراعة الأرض².

وخلال القرن السابع الميلادي، بدأت الهجرات العربية الإسلامية إلى شمال إفريقيا، حاملين معهم لواء الدعوة إلى الإسلام، ومع بداية القرن 10م، انتشر الإسلام حتى وصل الحدود الجنوبية من الصحراء الكبرى، وانتشرت معه اللغة العربية، ودخلت أجزاء كبيرة من الصحراء ضمن الدويلات الإسلامية التي قامت في المغرب ، وكان من أبرزها دولة المرابطين التي تأسست

¹ - مبارك جعفري: مقالات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق ، ص120-121. ينظر: مُجد الصغير غانم: موقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003م، ص 110.

² - مجموعة من المؤلفين ، المرجع السابق، ج15، ص65.

على نهر السنغال وتوسعت لتعم المغرب تقريبا، وتصل إلى الأندلس¹. ومع بداية القرن 18م، تعرضت حواضر الصحراء الكبرى للاحتلال الأوروبي، الذي كان له أثر سلبي في جميع المجالات بالنسبة لسكان الصحراء، خاصة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وخلال عقد الستينيات من القرن الـ 20م، انتزعت تلك البلدان التي احتلتها القوى الاستعمارية الأوروبية استقلالها؛ باستثناء الصحراء الغربية التي لم تنل استقلالها من إسبانيا حتى سنة 1975م².

- المبحث الثاني: الإطار الجغرافي والتاريخي لغرب إفريقيا.

أ) - الموقع والخصائص الجغرافية:

وضع المؤرخون والرحالة العرب تحديدا جغرافيا منذ العصور الوسطى لمنطقة السودان، بحيث حددها الإصطخري (ت. 430هـ) بقوله: "... فإن بلاد السودان الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ليس بينه و بين شيء من الممالك اتصال، غير أن حدا له ينتهي إلى البحر المحيط، وحدا له بينه وبين أرض المغرب وحدا له بينه و بين أرض مصر على ظهر الواحات، وحدا له ينتهي إلى برية"³.

ومع بداية العصر الحديث في القرن 16م حددها الحسن الوزان بقوله: "أرض السودان فيبتدئ شرقا بمملكة كاوكة، ويمتد غربا إلى مملكة ولاته ويتاخم في الشمال صحراء ليبيا، وينتهي جنوبا إلى البحر المحيط في مواقع لا نعرف عنها إلا ما يرويه التجار الذين يأتون إلى مملكة

¹ - حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ت.ن، ص 261 - 265.

² - مجموعة من المؤلفين: المرجع السابق، ج15، المرجع السابق، ص65.

³ - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي (الإصطخري): المسالك و الممالك، تح. محمد جابر عبد العالي الحسني، دار القلم، مصر، 1961م، ص 10 - 11.

تنبكتو، و هو كثير"¹.

وحدده القلقشندي (756-821هـ/1355-1418م) ب: "أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط، ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء، و من الشرق بحر القلزم مما يقابل بلاد اليمن ومن الشمال براري تمتد ما بين مصر و برقة و بلاد البربر، من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط"².

ومن خلال أقوال المؤرخين و الرحالة العرب، يتضح لنا حدود منطقة السودان التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، ومن الهامش الجنوبي للصحراء الإفريقية الكبرى شمالا حتى المنطقة الاستوائية جنوبا.

وتقسم بلاد السودان إلى ثلاثة أقسام: السودان الشرقي الذي يشمل مناطق النيل وروافده جنوب بلاد النوبة، والسودان الأوسط الذي يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، والقسم الثالث السودان الغربي الذي يشمل حوض السنغال وغامبيا، وبوركنا فاسو (فلتا العليا)، والنيجر الأوسط"³.

وهذا القسم الأخير هو موضع الدراسة، ويسمى أيضا غرب إفريقيا وبلاد التكرور، ويحدد موقعه الفلكي ما بين دائرتي عرض: 4⁰ و 16⁰ درجة شمال خط الاستواء في الجنوب وخطي طول: 13⁰ و 17⁰ درجة غرب خطي غرينتش، ويحدها جغرافيا من الشمال الصحراء الكبرى، و من الشرق الكامرون و بحيرة تشاد، و من الجنوب خليج غينيا بالمحيط الأطلسي،

¹ -الحسن الوزان: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج1، ص29.

² - أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج5، د.ت، ص 273.

³ - عبد القادر زبدي: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م، ص 11.

ومن الغرب المحيط الأطلسي¹.

- التضاريس:

تتميز تضاريس غرب إفريقيا بمظهر الأودية و المرتفعات الجبلية ممتدة من غرب نيجيريا شرقا إلى سواحل الأطلسي غربا، و تنقسم هذه التضاريس من الشمال إلى الجنوب كما يلي:

- المنطقة الشمالية:

تمتد أطرافها إلى الصحراء الكبرى شمالا، وإلى وادي النيجر الأوسط جنوبا، وتتخلله الهضاب التالية: هضبة التيبسي شرقا، وهضبة الإيفوغاس والأهير في الوسط، وهضاب موريتانيا غربا، وكذلك تعتبر منطقة صحراوية في أغلب مساحتها، وتتخللها بعض الأودية والواحات الصغيرة المتناثرة².

- المنطقة الوسطى:

تمتد من غربي بحيرة تشاد شرقا إلى منطقة فوتاتورو السنغالية غربا، تحدها موريتانيا من الشمال، ومن الجنوب فوتا جالون، وتكون أجزاءها الشمالية شريطا زراعيًا من أخصب الأراضي في غرب إفريقيا، ويبلغ متوسط عرضه من الشمال إلى الجنوب حوالي 12 كلم، و يعد من أكثف المناطق سكانية في غرب إفريقيا، ويشغل 70% من سكانه بالزراعة وتربية المواشي والصيد. والمنطقة الوسطى من منطقة فوتاتورو بالسنغال؛ هي عبارة عن سهول تتخللها بعض المرتفعات، وتقل فيها نسبة الأمطار كلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب، حيث تصل كمية الأمطار في أقصى شرق الإقليم إلى 800 ملم سنويا، بينما لا يتجاوز 330 ملم سنويا غربا، و يعد هذا الإقليم زراعيًا بالدرجة

¹ - مُجَّد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007م، ص 19-20.

² - نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، د.م.ن، د.ت، ص 02.

الأولى ورعويا بالدرجة الثانية، ويتكون الجزء الجنوبي من فوتاتورو من الإستبس والمراعي، وفي فترة الجفاف ينتقل الرعاة بمواشيهم في اتجاه النهر لممارسة نشاطهم¹.

- المنطقة الجنوبية:

وهي المشرفة على خليج غينيا المطل على الأطلس، وتضم كتل جبلية عالية منها كتلة فولتاجالون التي يبلغ ارتفاعها 1752 متر، أيضا تضم الهضاب الليبيرية، و هضاب شمال نيجيريا، ثم الأطراف الغربية من سلسلة جبال الآدمووا في الكاميرون². و ينحصر بين مرتفعات نيجيريا شرقا و هضبة فوتا جالون غربا، ويوجد في أقصى جنوب هذا الإقليم سهل ساحلي ضيق تتخلله بعض البحيرات الممتدة من جزيرة شيربرو (Sherbro) في سيراليون غربا إلى دلتا نهر النيجر شرقا³.

تعتبر كتلة الفوتاجالون مصدرا رئيسا للمياه في غرب إفريقيا، نظرا لكثرة أمطارها، ولطبيعة تركيبها الجيولوجي الذي يسمح بتخزين المياه، وهناك الهضبة الغينية الليبيرية التي تعتبر الجزء الجنوبي من الفوتاجالون.

- الأنهار:

من المناطق الجبلية من كتلة الفوتاجالون تنبع أكثر انهار السودان الغربي⁴، المتمثلة في:

- نهر النيجر:

يعتبر نهر النيجر ثالث انهار إفريقيا بعد النيل، والكونغو، وهو يمتد في غرب إفريقيا على

¹ - حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي، مذكرة ماجستير في الشريعة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011م، ص 15.

² - المرجع نفسه، ص 15.

³ - محمد عبد الغاني سعودي: إفريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004م، ص 222.

⁴ - نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، المرجع السابق، ص 16.

شكل قوس يبلغ طوله 4200 كيلومتر¹. وينبع من السفوح الشمالية لهضبة الفوتاجالون في أقصى الجنوب الغربي، ويتجه إلى الشمال، ثم إلى الشمال الشرقي حتى تنبكتو، ثم ينحرف إلى الشرق و قبل (جاو) بقليل ينحرف إلى الجنوب والجنوب الشرقي حتى حدود نيجيريا، فيتجه إلى الجنوب ثم إلى الشرق أين يتصل بجميع روافده ليصب في المحيط الأطلسي بدلتا شاسعة عديدة الفروع².

ويبتدئ نهر النيجر فيضانه في منتصف جوان و يدوم ثمانين يوما، سواء في الارتفاع أو الانخفاض، ويعمر عند فيضانه سطح الأرض، بما فيها من سهول و وديان، فتمتلئ به وينتقل السكان من طرف إلى طرف بواسطة الزوارق³. يعتبر نهر النيجر شريانا من شرايين الحياة، والعمران، والمواصلات في غرب إفريقيا ، ولا يفصله عن الأنهار الأخرى كنهر السنغال، مرتفعات شاهقة مما سهل على الفرنسيين التوغل في غرب إفريقيا⁴.

ومنذ أواخر القرن 12 هـ/18م، بدأت محاولات وصول الأوروبيين إلى النيجر، واستمرت هذه المحاولات حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي 19م، وفي عام 1828م وصل ملاح فرنسي يدعى رونيه كايي (René caillé) إلى تنبكتو قادما من غينيا الفرنسية، ونجح بعد ذلك في اختراق الصحراء ، فحققت رحلته نصرا للجمعية الجغرافية الفرنسية⁵.

1 - المرجع نفسه، ص 07.

2 - مُجَّد رياض وكوثر عبد الرسول: إفريقيا دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م، ص 131.

3 - مارمول كرنجال: إفريقيا، تر: مُجَّد حجي و آخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984م، ج1، ص 55.

4 - جمال الدين الداناصوري: جغرافية العالم دراسة إقليمية (إفريقيا وإستراليا)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971م، ج2، ص 318.

5 - René Caillié: Journal d'un voyage à Temboctou et à Jenné dans l'Afrique centrale, l'imprimerie royale, Paris, 1830, T1, p 229-230.

وفي سنة 1854م قام ليرد (Laird) بتكليف من القنصل البريطاني بيكرافت (Beekroft) بمحاولة لاكتشاف منطقة النيجر الأدنى، و أراد ليرد (Laird) التأكد من أن نهر (بنوي) هو أقوى و أهم فروع نهر النيجر، وأنه صالح للملاحة والتجارة وطريق هام للمناطق الداخلية¹.

- نهر السنغال:

ينبع من هضبة الفوتاجالون في وسط غينيا، ويتجه شمالا ثم غربا نحو المحيط الأطلسي، ليصب عند مدينة (سان لويس) السنغالية يبلغ طوله 1700 كيلومتر²، وهو سادس الأنهار الإفريقية طولاً وخامسها من حيث مساحة حوضه، يمتاز مجراه التدريجي في المنطقة المستوية الساحلية، وهو قليل العمق إذ لا يتجاوز عمقه ثلاثة أمتار، ويعتبر القسم الأوسط من هذا النهر صالح للملاحة و هو المصدر الخصب للأراضي التي يمر بها وينتهي مسار النهر بمصبه في المحيط الأطلسي³.

- نهر غامبيا:

من أهم طرق المواصلات في المنطقة في حدود دولة غامبيا بمسافة 470 كلم، وعرضه 24 كلم⁴، تقع القرى بعيدة عن مجراه للسبب كثرة المستنقعات والغابات على ضفافه، وهو مدخل رئيسي للسودان الغربي؛ نظرا لاختراقه منطقة السفانا. تُستغلّ السهول الخصبة الخصبة المحيطة بمجرى نهر غامبيا في زراعة الفول السوداني، ويصب في المحيط الأطلسي⁵.

¹ - De champ H :Histoire générale de l'Afrique noir, paris, 1975, T 2, P 2.

² - نعيم قداح ، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، المرجع السابق، ص 06.

³ - محمد فاضل باري وسعيد إبراهيم: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007م، ص22. ينظر: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 01.

⁴ - محمد عبد الغني سعودي: إفريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004م، ص 255.

⁵ - الهام محمد علي ذهني: جهاد المماليك في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850هـ/ 1914م)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988م، ص 24.

- المناخ:

يندرج مناخ غرب إفريقيا ضمن مناخ الإقليم الشبه استوائي؛ الذي يمتاز بارتفاع عام في الحرارة وزيادة معتبرة في نسبة الرطوبة، نتيجة لوقوعه ما بين خط الاستواء جنوبا ومدار السرطان شمالا، وتزداد درجة الحرارة ارتفاعا كلما اتجهنا نحو الداخل و الشمال خاصة في فصل الصيف. وبذلك يمكن تمييز مناخ السودان الغربي فيما يلي:

- المناخ الصحراوي:

الذي يسود المناطق الشمالية المتاخمة للصحراء الكبرى يمتد إلى صحاري كل من النيجر، ومالي، السنغال، و يمتاز هذا الإقليم بشدة الحرارة، وقلة المياه وندرة الأمطار.

- المناخ المداري:

ويمتاز بارتفاع متوسط حرارته تصل إلى 28⁰، وله فصلان ممطران وبينهما فصل جاف، ويمتاز بغزارة أمطاره، ويمتد هذا المناخ من غينيا إلى نيجيريا، كما يشمل السواحل الموريتانية والسنغالية نظرا لتأثير المحيط الأطلسي.

- مناخ المرتفعات:

ويسود في المناطق الجبلية المرتفعة ومرتفعات الفوتجالون، ويميل نسبيا إلى البرودة و غزارة الأمطار¹.

(ب)- التركيبة السكانية في غرب إفريقيا:

- قبائل الفولان:

يوجد اختلاف في لفظ كلمة (فلان) عند قبائل غرب إفريقيا ، وعند العرب، وهناك من غير لفظها تماما إلى لفظ آخر، مثل: التكارير، والتكارن ، كما جاء في موسوعة - قبائل العرب - لعبد الحكيم الواتلي، إلا أن المتبع هذا الاختلاف يتضح له بأنه ما هو إلا اختلاف لفظي

¹ - حاج احمد نور الدين: المرجع السابق، ص 17.

وشكلي؛ ذلك لأن اختلاف التسمية وارد نتيجة اختلاف اللهجات؛ ففي مالي مثلا: تأخذ عدة تسميات، مثل: فولبي (Fulbe)، بوللو (Pollo)، تكرور (Tkrur)، فلايني (Fulani)، فالليت (Falalit)، فولا (Fula)، فالانتقا (Falatanga)، فالاتا (Falata).

أما عن أصل تسميتهم، فيذكر عبد الله فودي أن مصطلح (الفلاتة) الذي يطلق على الفلّان والفلّانيون هو مصطلح عربي مشتق من الجذر العربي (فلت) فهم قوم يفلتون فينجون بأنفسهم عندما يرون ما يسوؤهم¹.

وذهبت المؤرخة الهام مُجّد علي ذهني في حديثها عن خصائص الفلّان إلى القول: " بأنهم يتشكلون من عدّة قبائل متناثرة تحي حياة رعوية اشتهروا بعدم الخضوع لأي ملك من ملوك البلاد التي يقيمون بها رغم أنهم يعيشون في أراضي أولئك الملوك، و ذلك إذا أسيء إليهم هدموا منازلهم وارتحلوا إلى منطقة أخرى². ويربط الضابط الفرنسي (جادن) الذي عمل بإفريقيا في أواخر القرن الماضي ما بين (فولا) و (التشتت)³ ذلك أنه لاحظ بأن من خصائص الفلّان العناية بماشيتهم وحبهم الشديد إلى حد الهوس بها، لذا ربط بين لفظ (الفلّان) الذي يدل على الصحراء والتنقل ومهنة الرعي التي اشتهر بها شعب الفلّان عبر تاريخه⁴.

كما اختلف الباحثون في أصل الفلّان، فمنهم من ربطهم ببلاد النوبة، ومنهم من يرى بأنهم عنصر من الأمازيغ استقروا في منطقة آدرار في أعالي السنغال⁵، وهناك من يقول أنهم من عرب حمير، وهناك من روايات تقول أنهم نتيجة احتكاك الزنوج والحاميين بالعرب والأمازيغ (البربر)

¹ - عبد الحكيم الوائلي: موسوعة قبائل العرب ، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2002م، ط1، ج4، ص 1709.

² - الخليل النحوي: إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، دار العرب الإسلامي، بيروت ، ط1، 1993م، ص 38.

³ - الهام مُجّد علي ذهني: المرجع السابق، ص 27.

⁴ - كافلام مادهوربا نيكار: الوثنية والإسلام، تاريخ الإمبراطورية الزنجية في داعرز بإفريقيا، تر. وتح. أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م، ط2، ج1، ص 67.

⁵ - مُجّد فاضل باري و سعيد ابراهيم: المرجع السابق، ص 25.

والطوارق أدّت إلى تميز (الفولاني) كجنس له خصائص مجتمعة من كل جنس داخل في تكوينه¹.

استطاع الفولان ما بين عامي 1776م و1786م أن يؤسّسوا ثلاث دويلات دينية، وهي: فوتاتورو، فوتاجالون، خاسيو، وتتسم هذه الدويلات بالتمسك الصارم بتعاليم الدين الإسلامي². وتقطن أغلب قبائل الفولاني في المنطقة الواقعة في أعالي النيجر، والسنغال. وفي سنة 1810م، دعم الفولانيون في سائر ولايات الهاوسا، وفي أواخر القرن 19م اتسع نفوذهم في التسرب شرقا حتى وصلوا إلى منطقة برنو و الكامرون³.

يشكّل الفولاني أكبر تجمع مسلم في غرب إفريقيا ، وقد عُرفوا عبر تاريخهم بأنهم الشعب الداعي للإسلام، فقد حملوا الإسلام في موطنهم فوتاجالون وفوتاتورو على سواحل المحيط الأطلسي، واتجهوا به شرقا حتى بحيرة تشاد⁽⁴⁾. وقد استطاع الشيخ عثمان دان فودي أن يجمعهم وينشر الإسلام الصحيح بينهم، وأن يكون مملكة إسلامية شاسعة حتى قضى عليها الاستعمار الأوروبي⁵.

¹ - حسن عيسى عبد الظاهر : الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلاني ، مطبعة دار الهلال، الرياض، 1981م، ص65.

² - كولين مفدي: أطلس التاريخ الإفريقي، تر: مختار السويقي، الهيئة المغربية العامة للكتاب، مصر، 1987 م، ص 151.

³ - فيج. جي. دي: تاريخ غرب إفريقيا، تر: السيد يوسف نصرو، و بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ط2، ص 30.

⁴ - أحمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، ط1، دار المريخ، الرياض، 1981م، ص 201- 202.

⁵ - شوقي عطالله الجمل وعبد الرزاق ابراهيم: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م، ص 101.

- شعب الهوسا:

ينتشر هذا الشعب بين الصحراء الكبرى شمالاً، وبين نهر بنوي جنوباً، وتنتشر لغة هذا الشعب من تشاد إلى أعالي الفولتا¹. فكلمة الهوسا تدل على اللغة والناس المتحدثين بها، والولايات التي يتركز فيها الشطر الأكبر من الشعوب الناطقة بتلك اللغة، وهناك رأي آخر؛ إلى أن مدلولها الأصلي جغرافي، وأنها اسم للضفة اليسرى لنهر النيجر فهي اسم للمكان، ثم صار ذا دلالة لغوية أكثر منها إثنية، وهذا هو الأقرب للصواب؛ لأنه كان يُظن أنها جنساً قائم بذاته²، لكن تبين أن الهاوسا اصطلاح يعني اللغة والسكان والمكان، فهم يمثلون خليطاً من شعوب تنتمي إلى أصول مختلفة جمعتهم لغة واحدة، اجتمعوا في صعيد واحد تقاربوا دينياً وثقافياً، فهم يشكلون بهذا التقارب أكبر مجموعة لغوية وحضارية، فهم يسودون من الناحية الاجتماعية والثقافية غرب إفريقيا⁽³⁾.

كان للهاوسا سبع إمارات و هي: إمارة دورا (Daura)، زازاو (Zazaw)، زجزج (Zegzeg)، جووير (Gobir)، كاتسينا (Katsina)، بيرام (Biram)، رانو (Rano)⁴. دخل مجتمع الهوسا منذ البدايات الأولى لدخول الإسلام إلى السودان الغربي في العصر الوسيط وساهمت الحركة الإصلاحية التي قادها عثمان دان فودي الفلاني 1786م⁵، إلى اتساع رقعة الإسلام في المجتمع الهوساوي، وأصبح يشكل أكبر مجموعة مسلمة متماسكة شمال نيجيريا،

1 - نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، المرجع السابق، ص 15.

2 - حسن عيسى عبد الظاهر: المرجع السابق، ص 61.

3 - المرجع نفسه، ص 61.

4 - الهام مُجَّد علي ذهني: المرجع السابق، ص 42.

5 - المرجع نفسه، ص 42.

وتنتشر لغتهم الهاوسا في شمال نيجيريا والنيجر. و تعتبر من أكبر اللغات انتشارا بغرب إفريقيا¹.

- قبائل الديولا:

وتدل كلمة الديولا على معنى التجار، وهم من أصل زنجي اشتهروا بالتجارة، ينتشرون في رقعة كبيرة من السنغال إلى نيجيريا، وبين القرن 14 و17م، هاجروا هجرة عكسية باتجاه تشاد، تاركين على طول الطريق جماعات منهم استقرت بين الزوج. يجتمع الديولا في جاليات صغيرة، في ثنية النيجر، وفولتا العليا، وساحل الذهب، وقد اعتنقوا الإسلام منذ وقت مبكر، ومنهم من بقي على وثنيته، و يمتاز هذا العنصر بالملامح الزنجية الصرفة، و يقوم مجتمعهم على نظام الانتساب إلى الأم (مجتمع أموي)².

- قبائل المانديج :

ينتشرون في السنغال و النيجر الأعلى، وجمهورية غينيا، والأقسام الشمالية من سيراليون وليبيريا، وساحل العاج، وقد أسس هذا الشعب قديما مملكة مالي؛ التي سيطرت خلال عدة قرون من العصر الوسيط³. وصفهم الحسن الوزان؛ بأنهم أكثر ذكاء واعتبارا من بين جميع السود، وهم أغنياء بفضل تجارتهم؛ إذ يزودون المناطق المجاورة بكثير من المنتجات، ولهم مساجد كثيرة و أيمة⁴. ويعتمد نظام المانديج السياسي على قاعدة الشورى، حيث يتأس السلطة السياسية والمعنوية مجلس من الكبار، ومن زعمائهم ساموري توري الذي حارب الفرنسيين، وكون دولة تمتد من سيراليون إلى النيجر الأعلى⁵.

¹ - مُجَّد عدنان مراد: المجتمعات الإفريقية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.م.ن، 1995م، ص 113.

² - نبيلة مُجَّد حسن: تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، 2013م، ص 110-111.

³ - نعيم قداح: المرجع السابق، ص 15.

⁴ - الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 164-165.

⁵ - نبيلة مُجَّد حسن: المرجع السابق، ص 112.

- قبائل البامبرا:

ينتشر شعب البامبرا في السنغال، ومملكة مالي، وأعالي النيجر، و يكثرون على الساحل، وكثير منهم يمارس الزراعة¹، ويعيشون في قرى صغيرة؛ تتألف من أسرة واحدة، ومنازلهم عبارة عن أكواخ مستديرة الشكل تسقف بالقش، ويتأسهم شخص يتولى السلطة السياسية والدينية، وهذا الشخص ينتخب من أفراد القبيلة².

تمسك البامبرا بوثنيتهم، وأسسوا مملكة تسمى سيقو (Ségaou)، الواقعة في أواسط حوض نهر النيجر، وكانت مملكة وثنية قوية في بدايتها، ولما دبّ الضعف في مملكة سيقو (Ségaou)، قضت عليها الإمارات الإسلامية في حوض النيجر، واستوطنوا عاصمتهم قرابة قرن ونصف، حتى احتلهم الاستعمار الفرنسي سنة 1893م³.

ج (التطور التاريخي لغرب إفريقيا:

قامت في غرب إفريقيا عدة ممالك إسلامية، ساهمت بشكل كبير في نشر الإسلام، وتوطيده بالمنطقة، كما كان لها دور كبير في ربط العلاقات بين دول شمال إفريقيا.

- مملكة غانا:

تُعد من أقدم الممالك في إفريقيا جنوب الصحراء، تأسست حوالي ثلاثمائة ميلادي، وقد ساهمت مجموعة من القبائل الأمازيغية وشعوب السنونكي الزنجية في تأسيس مملكة غانا خلال القرن الثاني الميلادي، وفرضت سيطرتها السياسية عليها من منحى نهر النيجر شرقا إلى سواحل

1 - المرجع نفسه، ص 110.

2 - مُجّد فاضل باري و سعيد ابراهيم: المرجع السابق، ص 89.

3 - مُجّد سعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، المرجع السابق، ص 18.

المحيط الأطلسي غرباً¹، واعتمد اقتصادها على التجارة الصحراوية وعلى استغلال مناجم الذهب في بامبوك وبوري فالجنوب، ومناجم الملح في الشمال، ساهم في توسع مملكة غانا وحماية حدودها جيش دائم². وقد دخل الإسلام إلى مملكة غانة منذ زمن مبكر³، وكما كان للمرابطين دور في نشر الإسلام في هذه المملكة بعد أن أخضعوها لحكم الإسلام وأصبح ملوك غانة مسلمين⁴، وقد سقطت مملكة غانة على يد قبائل الصوصو في القرن 7هـ/13م⁵.

- مملكة مالي (1225 - 1488م) :

تقع مملكة مالي ما بين بلاد برنو شرقاً، والمحيط الأطلسي غرباً والصحراء الكبرى وبلاد المغرب شمالاً. سكانها بدو رحل دخلوا إلى الإسلام خلال القرن الحادي عشر الميلادي⁶، وتتألف من خمسة أقاليم وهي: إقليم مالي يتوسط الإمبراطورية وقاعدته بانبي اومبامبي، وإقليم صوصو إلى الغرب من مالي في كانياجا، وإقليم غانا غرب صوصو وبه مناجم الذهب التي يقصدها تجار سجلماسة وبلدان المغرب الشمالية، وكذلك إقليم كوكيا شرق إقليم مالي، وقاعدته كوكيا التي تبعد مسافة شهر ونصف من غرب نيجيريا الحالية، وإقليم التكرور غرب

¹ يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م، ص 19.

² عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 13.

³ مهدي رزق الله أحمد: التجارة والإسلام والتعليم في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1998م، ص 169.

⁴ إبراهيم علي طرخان: الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1969م، ص 53.

⁵ مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 178.

⁶ عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي...، المرجع السابق، ص 16.

إقليم كوكيا وقاعدته التكرور¹.

قامت مملكة المالي على يد شعب الماندي، وهم من أوائل الشعوب في المنطقة التي اعتنقت الإسلام، حيث تصدت لقبائل الصوصو الوثنية التي قضت على مملكة غانا²، وبلغت مملكة مالي ذروتها في القوة والسلطان في عهد السلطان منسى موسى (1307م-1332م)³، الذي ربط علاقات مع عدّة جهات خارجية، أشهرها إقليم توات ومصر، خاصة بعد رحلته الحجية المشهورة سنة 724هـ/1324م، حيث سلك الطريق الذي يمر على منطقة توات⁴.

وقد ظهرت مملكة مالي؛ كأبرز مركز تجاري في السودان الغربي، وأخذ التجار يفتدون إليها من الشمال الإفريقي وكل الجهات الأخرى؛ خاصة خلال القرن 8هـ/14م عندما بلغ اتساعها مناجم ملح تغازة⁵. ويذكر معظم المؤرخين بأن سكان مالي من أكثر زنوج إفريقيا رقياً، وذكاء، وأشهرهم في الصناعات التقليدية، وأشدهم تمسكاً بالإسلام، والأمانة، والعدل، والعفة، ونظافة القرى، ويحرصون على أداء صلاة الجمعة، يلبسون الثياب البيضاء، معتنين بحفظ القرآن الكريم صغاراً وكباراً⁶.

دخلت مملكة مالي مرحلة الضعف بعد وفاة منسى موسى فاستقلت (جاو) وسيطر الطوارق على مدن أروان، ولاتيه، وتبكتو، واستولى (الولف) على المناطق الغربية، واستولى (الموشي) على المناطق الجنوبية، وأصبحت في منتصف القرن 17م مجرد مملكة صغيرة في

¹ - يحي بوعزيز: المرجع السابق: ص27.

² - نبيلة حسن مجّ: المرجع السابق، ص203.

³ - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص28.

⁴ - مجّ فاضل علي باري: المرجع السابق، ص83.

⁵ - مهدي رزق الله: المرجع السابق، ص207.

⁶ - يحي بوعزيز: المرجع سابق، ص29.

كانياجا، فورثتها مملكة السنغاي وخلفتها في بسط نفوذها على المنطقة¹.

- مملكة سنغاي:

تأسست مملكة سنغاي أو الصنغاي في القرن 7هـ/13م على ضفة نهر النيجر، بفضل أسرة أسرة (ديا)، وكانت مدينة كوكيا عاصمة لهم في البداية ، ثم تحولت إلى جاو². وقد استقلت مملكة السنغاي عن مملكة مالي في القرن 9 هـ / 15م. واتخذ ملوكها لقب (سني)³.

شهدت مملكة السنغاي توسعا وازدهارا كبيرا في حكم أسرة الأسكيا، التي خلفت أسرة سني خاصة في عهد الأسكيا الحاج مُجَّد سنة 898هـ/ 1493م الذي ربط علاقات كبيرة مع الأقطار المغربية، واشتهر بحب الإسلام وتقديره للعلم والعلماء؛ ومنهم الشيخ مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي الذي قربه وكان مستشاره ، وعرض عليه العديد من المسائل الدينية يستفيد منها، وكان الإمام المغيلي حريصا على أن تكون فتواه وفق الكتاب والسنة وألّف في ذلك مؤلفا سَمّا أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي. كما أدخل الأسقيا الحاج مُجَّد عدّة إصلاحات سياسية وعسكرية، على درجة عالية من التنظيم والقدرة على الإدارة⁴.

جاء بعد الأسقيا مُجَّد توري ملوك تنافسوا على حكم الدولة، مما أدى إلى ضعف الدولة ما عرضها للأطماع الخارجية. وفي سنة 1591م غزاها سلطان المغرب المولى أحمد المنصور الذهبي(1578-1603م)، حيث أرسل حملة بقيادة ضابطه (جودر) للسيطرة على مناجم

¹ - جوزيف جوان، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر: مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ت، ص81.

² - مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص207.

³ - المرجع نفسه، ص40.

⁴ - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص86- 96.

الذهب، ومناجم الملح في تغازة وتاوديني، فدخلت الجيوش المغربية إلى مدينة تنبكتو واستولت عليها، ونصب حكم البشوات العسكري المغربي على مملكة السنغاي، واقتيد بعض العلماء إلى مراكش؛ فكان أبرزهم العالم والمؤرخ أحمد بابا التنبكتي. وتعتبر نهاية حكم آل السنغاي؛ بداية مرحلة الضعف في كل بلدان غرب إفريقيا¹.

- مملكة البرنو:

تدخل هذه المملكة ضمن جغرافية السودان الأوسط، ونوردها لعلاقتها التاريخية مع ممالك السودان الغربي. تقع مملكة البرنو بين بحيرة تشاد ونهر الكانوري، والتي تشمل اليوم جمهورية تشاد وقسما من شمال نيجيريا².

وقد تألفت هذه المملكة من عدة قبائل، أهمها: الكانوري، والكري، والكرنية، والمندره، والبولالا، والعرب الذين استقروا في هذا الإقليم نازحين من الشمال، ويطلق عليهم اسم الشوا، ويبدو أن منطقة الكانوري وبحيرة تشاد كانت منذ القديم ملتقى امتزاج سكاني، وأصبحوا يتكلمون بلغة الكانوري؛ التي تعتبر أوسع اللغات انتشارا في هذا الإقليم. وقد وصل الإسلام إلى برنو خلال القرن الأول الهجري، السابع الميلادي، وانتشرت معه اللغة العربية³.

كما دخلت مملكة البرنو فترة التوسع والقوة في أيام السلطان عبد الجليل سيما (1221-1259م)، ثم واصل ابنه من بعده روناما الأول (1221-1259م) فامتد نفوذه إلى كل من فزان بليبيا، وبعد فترة من الاضطرابات نتيجة التنافس على الحكم بين أفراد الأسرة المالكة

¹ - محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص 122.

² - جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، مصر، 1999م، ص 40.

³ - عثمان براهما بارد، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة والنشر، مصر، ط 1، 2000م، ص 80.

ومناوئيتها، خاصة في عهد السلطان إدريس علومه (1571- 1603م) الذي استطاع أن يثبت الحكم ويربط علاقات مع الدول المجاورة خاصة الدولة العثمانية، والدولة السعدية بالمغرب الأقصى.

كما ازدهرت الحركة التجارية الواردة والصادرة من وإلى مملكة برنو، وقام بتنظيم السلطات والفصل بينها في المملكة؛ مما جعلها تعرف أزهى فترات حكمها، كما أعطى للفقهاء مكانة هامة في الدولة وبنى المساجد الكبيرة في ربوع مملكة البرنو، وحتى في البقاع المقدسة بنى مقرا لحجاج برنو¹.

وبعد وفاة إدريس علومه خلفه ابنه مُجَّد لمدة ستة عشر عاما، وسار على نفس سياسة والده، ثم تلاه السلطان ابراهيم، ثم الحاج عمر، وكلاهما أبناء إدريس علومه فسارت الأمور في عهدهم سيرا طبيعيا، ومنتظما.

ولم يجل القرن 19م حتى عجزت برنو عن صد الاعتداءات الخارجية، خاصة من طرف شعب الفولاني، بزعامة الشيخ عثمان بن الفودي؛ الذي توسع على حساب بلاد الهوسا والبرنو عام 1808م، ولم ينقذهم سوى ظهور الشيخ مُجَّد الكانمي الذي أعلن الحرب ضد الفولاني واستعاد منهم برنو، وقام ببناء مدينة كوكيا عام 1821م واتخذها عاصمة له، وأرجع للمملكة هبتها ومكانتها، وحدث نوع من التفاهم مع مملكة الفولاني مما جعل مملكة البرنو تعيش استقرارا سياسيا. توفي الشيخ مُجَّد الأمين الكانمي عام 1835م، خلفه ملوك أقل قوة منه لم يستطيعوا أن يحافظوا على قوة المملكة، إلى أن داهمها الاحتلال الفرنسي عام 1849م كان منطلقا لإشعاعها الحضاري الذي وصل فيما بعد إلى أوروبا، والمشرق العربي انطلاقا من إفريقيا؛ ويتضح لنا جليا عوامل التأثير والتأثر لتجكانت مع محيطها، خاصة وأنها كانت ضمن عدة

¹ - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 149.

قبائل أخرى تمثل أساس التركيبة البشرية لهذا الوسط الجغرافي؛ لذلك تطرقنا إلى انتشار هذه القبائل وتوزعها في الحواضر الصحراوية، كما عرّفنا ببعض الجوانب الحضارية لبعضها كقبيلة الطوارق، وهو ما يسمح لنا بأخذ رؤية واضحة وشاملة عن هذا الوسط بشقيه الجغرافي والبشري، مما يسهل علينا فهم طبيعة العلاقات بين هذه القبائل الصحراوية المتجاورة.

وخلاصة القول، فإن هذا الفصل قد تناول جملة من الموضوعات التي تتعلق بالجغرافيا الطبيعية والبشرية والخلفية التاريخية عن مجال البحث، كمدخل لمعرفة المقومات التي ساهمت في إنعاش الواقع الاقتصادي، وربط العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الحواضر الصحراوية.

هذا، بالإضافة إلى تتبع الخلفية التاريخية لغرب إفريقيا؛ وهو ما يساعد في فهم الواقع السياسي، والعوامل التي ساهمت في تشكيل الدول والممالك السياسية خاصة بغرب إفريقيا. وعليه يركّز الفصل الثاني؛ بالتعريف بأصول قبيلة تجكانت وفروعها وحواضرها في الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا .

- الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها

- المبحث الأول: أصل قبيلة تجكانت وفروعها وتطورها بالصحراء الكبرى وغرب

إفريقيا

أ- أصل قبيلة تجكانت

ب- تجكانت وفروعها بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا

- المبحث الثاني: حواضر تجكانت وفنّها المعماري

أ- حواضر تجكانت

ب- الفن المعماري لتجكانت

- خلاصة الفصل

- تمهيد:

لقد شكّلت قبائل الصحراء الكبرى تداخلا بين مختلف سكان قبائل الجنوب الجزائري وغيرهم من مختلف قبائل بلاد البيضان التي استقرت على الضفة الشمالية للنهر الفاصل بين موريتانيا والسينغال، وهو ما ساهم في هذا الاندماج الحاصل بين سكان الصحراء الكبرى. وفي هذا الفصل؛ نرى أنه من الواجب علينا رسم صورة توضّح الخريطة العامة لقبيلة تجكانت التي شكّلت أهمية بالغة خاصة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. كما سيحاول الباحث الوقوف عند مختلف الآراء لتحديد أصول هذه القبيلة وفروعها والتعريف بأهم حواضرها ومخلفاتها العمرانية بحاضرة تجكانت تندوف كأ نموذج. ولمعرفة الحقيقة لا بد أن نتقصى ذلك في أمهات مصادر التاريخ.

- المبحث الأول: أصل قبيلة تجكانت وفروعها وتطورها بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا.

أ- أصل قبيلة تجكانت:

تعود أصول قبيلة تجكانت إلى قبيلة لمتونة الصنهاجية باتفاق النسابة والمؤرخين¹؛ وقد عرفت استقرارا بحواضر الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا بعد نهاية دولة المرابطين خلال القرن 6هـ/12م، وتسمية تجكانت كلمة صنهاجية؛ تعني القُوَاد أو أدوات القيادة².

وتتوزع فروع تجكانت عموما بالصحراء الكبرى وإفريقيا، ويتواجدون حاليا بالجزائر والمغرب، والصحراء الغربية، وموريتانيا، ومالي والنيجر، والسنغال، وقليل منهم رحل إلى أرض الحجاز واستقر هناك.

¹ - حماد الله ولد السالم : تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، مطبعة النجاح الجديدة ومنشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2011م، ص 62. ينظر أيضا: إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 195.

² - موسى كمر، تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، تح: حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 2009م، ص81.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

وتحمل المصادر التاريخية خلافا في أصول صنهاجة ونسبتها للأمازيغ أو حمير من عرب اليمن، وبحكم أن بلاد المغرب الكبير استقبل هجرات من الشرق والغرب خلال الحقب التاريخية الماضية؛ فقد أثر ذلك على تكوينه السلالي، وقد اختلفت آراء المؤرخين في تحديد أصول البربر (الأمازيغ)¹. ويتجلى ذلك في ما يأتي:

1-الأصل الحامي :

اختلف المؤرخون كذلك في من هو جد الأمازيغ من أبناء حام؛ فالصولي يذكر أنهم من ولد بربر بن كسلوجيم بن مصرائيم بن حام، وابن عبد البر(ت.463هـ/1070م) يرجح أنهم من ولد قبط بن حام، حيث يقول: "وأما البربر فالاختلاف فيهم كثير، وأثبت ما قيل فيهم أنهم من ولد قبط بن حام، وقد انتسب بعضهم في حمير وأنكر ذلك أكثر الناس"². والأكثر على أنهم من ولد مازيغ بن كنعان بن حام، وقد حرف اليهود الأنساب الواردة في التوراة بهدف إقصاء الكنعانيين من النسب السامي الذي ينتمون إليه، ونسبوهم للنسب الحامي لعداوة بينهم مع علمهم أنهم أبناء عمهم.

2-الأصل السامي :

ذهبت طائفة أخرى أنهم ساميون، لكنهم اختلفوا في أصولهم المتصلة بسام الذي ينتمون إليه، فقد نقل ابن خلدون قول الطبري الذي يرى أن أحد أجيالهم من ولد يقشان بن إبراهيم، وعند غيره أنهم من العرب العاربة أو المستعربة، وذكروا نسبتهم لحمير وغسان، ولخم، وجزام، ومضر، وقريش، ومنهم من قال أنهم من ولد جالوت³.

¹ - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1968م، ج1، ص 271-277.

² - يوسف بن عبد البر النمري القرطبي: القصد والأمم في التعريف بأصول العرب والعجم، مكتبة القدسي، مطبعة القاهرة، مصر 1350هـ، ص 24.

³ - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1388هـ/1968م، ج1، ص 265-

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

و يروي بن عبد البر تفاصيل هجرت الأمازيغ من المشرق إلى المغرب؛ فهو يقول أنهم من ولد النعمان بن حمير بن سبأ؛ الذي كان ملك زمانه وقد جمع بنيه للتوجه للمغرب لإعمارها فبعث منهم ملت أبو لتونة، وماسوف أبو ماسوفة، ومزطار أبو مزطارة، وسكور أبو هسكورة، وصناك أبو صنهاجة، ولمط أبو لمطة وإيلان أبو هيلانة، وتوزعوا في المغرب شمالا وجنوبا مكونين القبائل الأمازيغية المشهورة¹.

كما ترى طائفة من المؤرخين بأن الأمازيغ هم أخلاط شعوب وقبائل كثيرة من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش²، وعن هانئ بن بكور الضريسي، وسابق بن سلمان المطمطي، وكهلان بن أبي لؤي، وأيوب بن أبي زيد وغيرهم من نسابة البربر أنهم فرقتان: البربر البتر ساميون من ذرية بربر قيس علان المضري، والبربر البرانس حاميون من ولد مازيغ بن كنعان بن حام، وقال الطبري كذلك أنهم أخلاط من كنعان والعماليق، وسبب هجرتهم أن إفريقيش غزى بهم إفريقية، ولما رجع من غزوته تركهم بالمغرب وهم أصل قبيلة صنهاجة وكتامة³.

وقد انتقد ابن خلدون كل هذه الأقوال في كتابه حين قال: "والحق الذي لا ينبغي التعديل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح، ... وان اسم أبيهم مازيغ وإخوتهم أريكش وفلسطين إخوانهم بن كسلوجيم بن مصرائيم بن حام وملكهم جالوت سمّة معروفة وكانت بين فلسطين هؤلاء وبين بني إسرائيل بالشام حروب مذكورة، وكان بنو كنعان وأريكش شيعا لفلسطين فلا يقعن في وهمك غير هذا فهو الصحيح الذي لا يعدل عنه"⁴، وينفي كذلك نسبة الأمازيغ إلى جالوت والعماليق وحمير، ولا يقول بهجرتهم إلى المغرب، حيث

¹ - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 122.

² - عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، ج1، ص 277.

³ - موسى أحمد كامره: زهور البساتين في تاريخ السوداين مدونة شعوب غرب إفريقيا والأنساب والأنتروبولوجيا، تح: ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010م، ص 139-141. ينظر: عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، ج1، ص 268.

⁴ - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق ج6، ص 127.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

يقول: "... لأن مثل هذه الأمة المشتمة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض لا تكون متنقلة من جانب إلى آخر وقطر محصور، البربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم متحيزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام"¹

كما تطرق أبو العباس الناصري كذلك في كتابه (الاستقصا) إلى الخلاف الذي دار حول أصل الأمازيغ مرجحا عدم انتسابهم للعرب، وأن مكان تواجدهم بسبب هجرة قديمة لأبناء نوح، وبمرور الزمن كانت لهم خصوصيتهم في إفريقيا، حيث يقول: " واعلم أن الخلاف في نسب البربر طويل، وقد تركنا جله اختصارا وأشبه هذه الأقوال بالصحة ما نقلناه أولا، مما يدل على أن جيل البربر من ولد حام وأنهم جيل قديم قد سكن المغرب عندما تناسلت ذرية نوح عليه السلام وانتشرت الخليقة على وجه الأرض ثم تلاحقت بهم بقية بني كنعان من الشام عندما أجلاهم يوشع بن نون عليه السلام أولا، ثم داوود عليه السلام ثانيا"².

وقد ذكر الطبري أن البربر من كنعان والعماليق وغيرهم فلما قتل داوود جالوت تفرقوا في البلاد³، كما ينفي ابن حزم (ت.456هـ) تماما الأصل العربي الحميري للأمازيغ، حين تطرق لنسب الأمازيغ في كتابه (جمهرة أنساب العرب)؛ بقوله: "... قال قوم أنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام، وادعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس بن عيلان، وهذا باطل لاشك فيه، وما علم النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه بر أصلا، ولا كان

¹ - المصدر نفسه، ص 127.

² - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح. جعفر الناصري ومُجد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ج1، ص 119-120.

³ - للتوسع ينظر: مُجد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري: تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، المملكة العربية السعودية، د.ت.ن، ص 156-158.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

لحمير طريق إلى بلاد البربر ، إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن¹. ونفى ابن عبد البر أيضا أن يكون لقيس بن عيلان ابن يسمى بر، بل يرى أن الأمازيغ من ولد جالوت الذي قتله نبي الله داود عليه السلام، وجالوت من ولد بربر بن قبط بن حام ابن نوح عليه السلام².

وبعد كل ذلك الخلاف التاريخي القديم حول أصل الأمازيغ؛ اختلف النسابون والمؤرخون كذلك في نسب صنهاجة، فالنسابة والمؤرخون العرب يقولون أنهم عرب من حمير وأبوهم صنهاج بن يصوصكان بن ميسور بن الفند بن إفريقيش بن قيس. وفي رواية أخرى أن صنهاج بن المثنى بن المنصور بن المصباح بن يحصب بن مالك بن عامر بن حمير الأصغر³.

أما نسابة الأمازيغ؛ فيذكرون أن صنهاج بن عامل، بن رعزاع، بن كيمتا، بن سدر، بن مولان، بن يصلين، بن يبرين، بن مكسيطة، بن دهيوس، بن حلحال، بن شرو، بن مصرائيم بن حام، ويقولون أن جزول وملط وهسكور أخوة صنهاج. كما يؤكد ابن خلكان في وفيات الأعيان الأصل العربي الحميري لصنهاجة، وذلك من خلال تطرقه لنسب باديس الصنهاجي حيث يذكر أنه " أبو مناد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي"⁴.

وقد ذكر كذلك ابن عذاري عند تطرقه لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين إلى حميرية صنهاجة؛ حيث يقول أن " يوسف بن تاشفين بن ترجوت بن ورتانطن بن منصور بن ميصالة

¹ - علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب ، تح: عبد السلام مُجد هارون ، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط5، 1982م، ج2، ص 495.

² - يوسف بن عبد البر النمري القرطبي: القصد والأمم في التعريف بأصول العرب والعجم، مكتبة القدسي، مطبعة القاهرة، مصر، 1350هـ، ص 26.

³ - أبو العباس أحمد بن مُجد بن إبراهيم ابن أبي بكر خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1998م، ج 1 ، ص 209.

⁴ - المصدر نفسه، ص 209.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

بن أمية بن وانمالي الصنهاجي، وقد ذكر الهمذاني في كتابه (الإكليل) أن صنهاجة من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، واجتمعت الروايات أن صنهاجة من حمير¹.

وقد تطرق أحمد الأمين الشنقيطي كذلك للخلاف الذي في أصل لمتونة الصنهاجية مع ترجيحه لعروبيتها وحميريتها، حيث يقول: "قبيلة لمتونة حفظ لها التاريخ أصلها والخلف في لمتونة بين المؤرخين قديم فالأكثر أنهم من حمير ودخلوا بلاد المغرب في الجاهلية ... وقد ذكر بعض العلماء أنهم من البربر، والأول أصح، إذ يقال أنهم خرجوا من زمن التبابعة من اليمن واستوطنوا المغرب الأقصى"².

وخالفهم ابن خلدون حين ذكر في تاريخه العبر؛ أن نسابة العرب يجمعون أن صنهاجة وكتامة من بقايا القبائل اليمنية التي انزلها إفريقيش لما غزا بهم المغرب، وقولهم مرجوح عنده، بحيث يؤكد أن صنهاجة وكتامة من إخوانهم أبناء مازيغ بن كنعان بن نوح. وبهذا فهو يخالف نسابة العرب في حميرية صنهاجة وكتامة ويؤكد أنهم من أبناء مازيغ بن كنعان بن نوح³.

إن المتتبع لأقوال المؤرخين والنسابة في نسب صنهاجة يلاحظ أن الخلاف في ذلك قديم، وإن كان علماء تجكانت يكادون يجمعون على نسبهم الحميري العربي استنادا إلى أقوال عديدة تقول بالأصل العربي الحميري لصنهاجة، والناس مصدقون في أنسابهم.

لكن في المقابل، هناك من يخالفهم في ذلك من مؤرخين ونسابة، إلا أن مسؤولية البحث العلمي تستدعي عدم حسم الباحث في القضايا النسبية التي لا يزال الكثير من معلوماتها

¹ - ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، ط2، 1983م، ج4، ص46.

² - أحمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم شنقيط، المطبعة الجمالية، مصر، ط1، 1339هـ، ص 456-457.

³ - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 127-128.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

مطوية، وبحاجة للبحث المستمر لتتضح جميع معطياتها، والمجازفة في القطع في هذا الموضوع سيثير مشاكل اجتماعية ليست من أهداف البحث العلمي، لأن مثل هذه الدراسات الاجتماعية التاريخية يحكمها المنطق النسبي عند كل القبائل، خاصة القبائل القديمة التي كانت تزهّد في تدوين أنسابها، فعلماء تجكانت كتبوا تقريبا في جميع فنون العلوم الشرعية واللغوية، ولم أعثر لهم على مؤلف واحد لهم في الأنساب عدا بعض الوثائق التي تحمل توثيق لبعض أجداد فروع تجكانت، مما يدل على زهدهم في ذلك وتجنب الآثار الاجتماعية السلبية التي تنجم عن ذلك، لكن يبقى الذي أوردناه في هذه الدراسة هو تجميع يقتضيه البحث العلمي لمختلف الآراء التي لها علاقة بأصول تجكانت.

بالإضافة إلى ما تقدّم؛ تتوزع قبائل صنهاجة في بلدان المغرب الكبير والصحراء الكبرى، حيث يتمركزون في المنطقة الواقعة بين بجاية والمسيلة، ومليانة، والمدية، والبحر المتوسط من المغرب الأوسط. والمنطقة الواقعة بين نهر كرت، وبلاد غمارة، والبحر المتوسط من المغرب الأقصى، وفي المنطقة الواقعة بين المحيط الأطلسي وواد درعة والسفوح الخلفية لجبال الأطلس، ويتواجدون كذلك بالصحراء الكبرى من غدامس إلى المحيط الأطلسي مرورا بالأزواد وغرب إفريقيا¹.

وأهم قبائل صنهاجة؛ هي بجاية، بطوية، تاركة، تلكانة، جزولة بنو جعد، بنو حميد، بنو خليل، بنو دركون، بنو زروال، زناكة أو ازناكن، رغاوة، جدالة، ملتونة، لمطة، لمدية، متتان، بنو مزكدة مزغنة، ملوانة، مليانة، مسوفة، صنهاجة، وصنهاجة مصباح الذين ينقسمون بدورهم إلى صنهاجة الشمس، وصنهاجة الظل، صنهاجة غدو، صنهاجة السراير بنو عمران، فشتالة².

¹ - عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، ج1، ص 328-329.

² - المرجع نفسه، ص 332-334 .

ب- تجكانت وفروعها بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا:

يُعتبر جاكَن أو جاكِر الأبر الجَد الأكبر لقبيلة تجكانت¹، وهو جاكَن الأبر بن اعلي بن شَرول بن سَكسك بن أولد بن اعلي بن يهدكر بن لمتون بن النعمان بن تبع بن صنهاج؛ وبذلك قبيلة تجكانت لمتونية صنهاجية²، وكان جدها المؤسس قائدا في جيش المرابطين في عهد الأمير يوسف بن تاشفين، وقد كانت له جهود كبيرة في الدور الأول من تاريخ دولة المرابطين، عاش حياته خلال القرن 5هـ/11م³.

وجاكَن الأبر هو نفسه القائد المرابطي مدرك التلكاني، حيث يشير المؤرخ حماد الله ولد السالم أنه قد حرّفت اسم قبيلته من تجكانت إلى تيلكانت، وقد كان المدرك التلكاني أومزدي بن تليوكان قائدا في دولة المرابطين، تولى إمارة تلمسان وكان يقود ربع جيش المرابطين⁴، وهو من أشار إليه ابن خلدون بقوله: "أغزى يوسف بن تاشفين إلى المغرب الأوسط سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قائده مزدي بن تليكان بن مُجَّد بن وركوت من عشيرة في عساكر لمتونة"⁵.

وقد كانت لجاكَن الأبر علاقة جيدة مع أمير المرابطين يوسف بن تاشفين الذي كان يستشيريه ويأخذ برأيه، ومثال ذلك ما بينه المؤرخ السينغالي الشيخ موسى كمر (ت.1945م): "إذ سرعان ما سيطر يوسف بن تاشفين، فنفر في جمع كثير من لمتونة، ونزل أغمات لكن الأمير مزدي بن تيلكان أو تيجكان نصحه بالعدول عن الفكرة"⁶. وتوفي رحمه الله شهيدا في

¹ - المختار بن حامد: حياة موريتانيا، ج6 تجكانت، تح. يحي ولد البراء وآخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2009م، ص 14.

² - موسى كمر، تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، المصدر السابق، ص 81 - 82

³ - حماد الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا....، المرجع السابق، ص 62.

⁴ - المرجع نفسه، ص 62.

⁵ - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 185-186. ينظر: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 02.

⁶ - موسى كمر: تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، المصدر السابق، ص 35.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

إحدى معارك المرابطين في بداية فتوحاتها . وقد خلف جاكن الأبر اثني عشر ولدا، تفرعت منها فروع تجكانت الاثنا عشر، وهو التقسيم الاثنا عشري المشهور المعبر لفروع قبيلة تجكانت الذي نظمه العلامة مُجَدُّ المختار بن بونا(ت.1220هـ / 1805م)¹.

ومع مرور الزمن اشتهرت فروع أخرى أضيفت إلى التقسيم الاثنا عشري المشهور لتجكانت، وهم بالجملة : يوسف جد فرع إيديشف، اعمر اقلال(أقلال) جد فرع لقواليل، رمضان أو رمضان جد فرع الرماضين، ابراهيم جد فرع أولاد ابراهيم، يعقوب جد فرع إيديقوب، اتفاغ جد فرع اتفغات، موسان جد فرع أولاد موساني، زلماط جد فرع الزلامطة، ابن جد فرع ادبين، دوشر جد بقية إيدوشر، ناصر جد بقية اناصر، ابيجه جد قبيلة اد ابيجه، يلب أو ديلب جد إيدلبه، وقد نظم ذلك العلامة المختار بن بونا حين قال:

أبناءُ جاكَنَ الأبرِ اثنا من بَعْدِ عَشْرَ فلهم نَظْمًا.

يوسفُ اعمر كِلَالُ رمظانُ ابراهيمُ يعقوبُ اتفاغُ مُوسانُ.

بِيعَجِ وابنِ زَلْمَطِ وناصرِ دوشِرُ لذاكِ قَرري وحَرري.²

وقد استدرِك مُجَدُّ عبد الله بن الصديق بطن إيدلبه بقوله:

وآل يلبِ الألى بالحوضِ مَنزِهِمُ من جاكِنِ حصنِهِمُ أوقى من اليلبِ

وَفَضْلُهُمُ ظَاهِرٌ وَالْعِلْمُ مُنْتَشِرٌ فِيهِمْ وَنَسَبُهُمُ مَن أَثْبَتِ النَّسَبِ³

¹ - المصدر نفسه، ص86. ينظر: محمود خونا الجكني وآخرون، بطاقة تعريفية حول شخصية المجاهد والشهيد جاكن الأبر، مداخلة ضمن أعمال ملتقى جاكن الأبر، تندوف الجزائر، 2016م، غير منشور، نسخة بحوزة الباحث.

² - وسلم بن مُجَدُّ الهادي: موريتانيا عبر العصور، د.دن، موريتانيا، د.ت.ن، ص63.

³ - السالم بن ديد عبود: الدرر المرجاني في نسب وتاريخ أهل أعمر أبابك من أولاد موساني، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ط1، 2020م، ص 75-76 .

- الرماضين:

هم بنو رمضان بن أكرير بن علي بن جاكرا الأبر، وتوزعوا بعد خراب تينقي في تكبه، والترارزة، وتندوف، وقد خلف رمضان موسى، ويحي؛ فموسى جد الرماضين الكحل، والقاضي يحي جد الرماضين البيض والزلامطة، وأما موسى فلم يعقب سوى سيدي أبوبك جد أهل الجاك، وأهل الطالب محم، وأهل مُجَّد الصالح، وأهل شيخ افكاريش ، وأهل الطالب اعمر، وأهل اشفاغا أوبك، وأهل سيدي يحي، وأولاد بوفاتنا، وعلى كل هؤلاء يطلق عليهم الرماضين الكحل¹.

وأما القاضي يحي فيتصل به أهل أبا احمد، وأهل أحمد بن اشفاغا، وأهل أبا كريم ؛ ويقال أن أصلهم من مدلش ، ويتصل به كذلك أهل أباه، وأهل صايم، وأهل احمدادو، وأهل الخلاط، وأهل محمود، وأهل أعمير وبنو عمهم من أهل أعمر بن يوسف، وأهل العبد في تندوف، وأهل عبد الحميد في ايداوعللي في تجكجكة، وأهل الاخطري، والمرزيق، وكل هؤلاء يقال لهم الرماضين البيض².

وقد كتب سيدي أحمد بن مُجَّد بن الصالح بن بارك الله الشانعي الجكني رحمه الله شجرة نسب في فرع الرماضين لقبيلة تجكانت، حيث تعد شجرة دقيقة جدا تشمل جميع من يضمهم فرع الرماضين الذي ينتمي إليه في مختلف الحواضر الجكنية بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، كما توضح لنا هذه الشجرة عناية تجكانت بتقيد أنسابها وتتبع فروعها³.

¹ - المرجع نفسه، ص76.

² - المختار بن حامد: حياة موريتانيا، تجكانت، المصدر السابق، ج6، ص17.

³ - سيدي أحمد بن مُجَّد بن الصالح بن بارك الله الشانعي الجكني: شجرة فرع الرماضين لقبيلة تجكانت ، وثيقة مخطوطة بخزانة أهل العبد، تندوف، الجزائر، الورقة 01و. ينظر: ملحق صور المخطوطات، الوثيقة رقم 6.

- الزلامطة:

ينتمي هذا البطن إلى العلامة زلماط الجكني الذي اشتهرت علومه في تينيقي؛ خلف زلماط المستحي من الله الذي من أبنائه تفرع هذا البطن، فمنهم أهل بونا، وأهل أحمد مزيد، وأهل أحمد سلطان، وأهل احريمو، وأهل المعزوز، وأهل سيدي بن الطالب، وأهل عميري، وأهل الشريف، وأهل بوتهليل¹، وادراوة في زمور وتندوف².

- أشفاغات:

يشتمل بطن اشفاغات على الفروع التالية: أهل مود، أهل اعمر، أهل بايعدي، أهل عيسى أحمد، أهل احمدن عيسى³.

- إيديشف:

وهم بنو يوسف بن أكرير بن علي بن جاكن الأبر، اشتهر من هذا الفرع أهل الطالب عبد الرحمان بن اعمر بن اعجي وينتهي نسبهم إلى الحسن بن يوسف⁴، معروفين بأهل الشرق في بتندوف حيث يقول فيهم مُجَّد محمود الأرواني "... وأهل الشرق إيديشف فهذه القبائل والأفخاذ المعروفة لتجكانت، فلم يزالوا كذلك في عمارتهم وسكانهم فيما بين تودن، والساحل في أكيد، والحنك، وأركشاش، ولكلاب يتبعون الكلاء والمراعي حتى صاروا يغيبون للتجارة في السودان"⁵.

¹ - المصدر نفسه، ص18.

² - مُجَّد محمود الأرواني: تاريخ الصحراء والسودان وبلد تبكتو شنقيط وأروان في جميع البلدان، تح: الهادي المبروك الدالي، دار الكتب الوطنية، وبنغازي، ط1، 2009م، ص 325.

³ - المختار بن حامد: حياة موريتانيا، تجكانت، المصدر السابق، ج6، ص 103.

⁴ - المصدر نفسه، ص 151.

⁵ - مُجَّد محمود الأرواني: تاريخ الصحراء والسودان ...، المصدر السابق، ص 325.

- لمخاطر:

نسبة إلى الطالب محظرة الذي كان له ولدان، وهما: أحمد جار الله جد أهل المختار بن سيدي الأمين ، وأهل الطالب زيدان، وأهل الطالب بن اعمر. والولد الثاني هو الأمين جد أهل مُجَّد بن الحاج ، وأهل سيدي الوافي¹.

- أولاد ابراهيم:

من ينتسب لأهل ابراهيم على حسب المؤرخ المختار بن حامد؛ أهل بابا بن الطالب هند عبد الله بن همد برك بن ابراهيم ، ويشمل هذا الفرع البيوت التالية من تجكانت: بيت أهل أيد الأمين، وبيت أهل الحاج الحايب، وأهل باشا، وأهل اعبيدي²، ولوجارات³.

- لكواليل⁴:

وهم بنو اعمر أكلال بن اعلي بن اكرير بن اعلي بن جاكن الأبر؛ وقد خلف أعمر أكلال ثلاثة أولاد، أحدهم جد الشواوفة، والثاني جد إديليليه، والثالث جد أولاد الحاج، وأولاد أحمد، ويرتبطون مع لعثمانة، ولوساسكة، وكلهم يجتمعون في اعلي بن أعمر أكلال، منهم أولاد سيدي علي بتندوف⁵.

- إيديقوب:

يتصل نسب فرع إيديقوب الجكني بالوافي بن يعقوب بن جاكن الأبر، وقد خلف الوافي

¹ - المختار بن حامد: حياة موريتانيا، تجكانت، المصدر السابق، ج6، ص 103.

² - المصدر نفسه ، ص209.

³ - مُجَّد محمود الأرواني: تاريخ الصحراء والسودان ...، المصدر السابق، ص 325.

⁴ - لكواليل بكاف معقودة تقرأ جيما مصرية.

⁵ - المصدر السابق نفسه، ص 325.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

بن يعقوب أربعة أولاد وهم : أكبر، والطالب آبوبك ، والطالب أعمار، وآب¹.

- إيديلبه:

في ولاته ومنهم لفكاكة²، وأهل ابديد، وأولاد فاضل، ولغفافة، ولهيوبات، وأولاد الزحاف، وأولاد بويحي ، وأولاد التايب، وأولاد اعجي³.

- إيديابجه:

فرع من فروع تجكانت ، ويضم: أهل محمود بن لحبيب، وأهل السوده، أهل عبد الجبار، وأهل ابراهيم بن مُجَّد الأمين، وأهل عبد الله بن آبوبك، وأهل ادَّ بن عبد القادر⁴.

- إيدوشر:

ينتسب هذا الفرع الجكني إلى آوشر بن جاكن الأبر، ويتصل نسبا بهذا البطن: أهل الطالب اعبيدي وأهل سعيد، أهل عمير (تصغير عمر)، أهل معلوم في إيديلبه، أهل اعلي بن بيه في أولاد الحاج، أهل مُجَّد ناجم بن الطالب الواني في كندام⁵.

- إيديبني:

وهم بنو بيني بن أحمد بن أكبر بن اعلي بن جاكن الأبر ويتفرع منهم؛ أولاد أحمد

¹ - المختار بن حامد: حياة موريتانيا، تجكانت، المصدر السابق، ج6، ص297.

² - تنطق الكاف معقودة جيما مصرية

³ - المصدر نفسه، ص297. للتوسع ينظر: بول مارتى: القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، تر: مُجَّد محمود ودّادي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2001م، ص62-65.

⁴ - المختار بن حامد: حياة موريتانيا، تجكانت، المصدر السابق، ج6، ص103.

⁵ - المصدر نفسه، 315.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

ومنهم أهل سيدي الأمين، وأولاد بوكي¹، وأولاد اندموكي²، والنهورات ، وأولاد إدبگد.

- أولاد موساني:

ومنهم أهل تنده، وأهل سيدي أحمد بن أبابك، وأهل الماح بن أبابك، وأهل يند محم، فمن أهل اعمر بن أبابك أهل اشفاغ محم، وأهل مُجَّد جبه، وأهل محنض أبهم، وأهل هميدي، فمن أهل أشفاغا محم أهل أحمد يكنه، وأهل الفالي ابن الطلبة (وهما في الركيذ)، ثم أهل بلعمش، وأهل السنهوري في تندوف، ومن أهل يند محم في الركيذ، وأهل أحمد شالله، وأهل المداح، وأهل خوننا، وأهل بوخيرة، وأهل عاشور³.

ومن بطن موساني كذلك أهل أحمد بن عيسى، وأهل حفوظ، وأهل الطالب مُجَّد، وأهل السنهوري وأهل ابريك وأولاد القاضي، وأولاد الشيخ، واجواكين الذين في إيتوسي⁴. أما أبناء أعمر بن أبابك بن أشفغ محم بن يعقوب بن اعل بن موسان بن جاكن الأبر فهم خمسة:

- القاضي سيد أحمد الملقب "أبابك" بن أعمر بن أبابك؛ وهو جد فخذ أهل أبابك وهم: أهل عبود، وأهل الطالب، وأهل ريومه وأهل ضيف الله وأهل مندار وأهل الطالب مختار وأهل أحمد بن حيبيل⁵.

- الفقيه أحمد الملقب "جب" بن أعمر بن أبابك. أهل محمذن بن جب وأهل أشفغ محم بن جب، فأما أهل محمذن بن جب بن اعمر بن أبابك ، وأما ذرية أشفغ محم بن جب بن أعمر

¹ - تقرأ الكاف معقودة كالجيم المصرية.

² - تقرأ الكاف معقودة كالجيم المصرية.

³ - المختار ولد حامد: حياة موريتانيا (الجغرافيا)، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، 1914م، ص 42.

⁴ - السالم بن ديد عبود، المرجع السابق، ص 76.

⁵ - المرجع نفسه، ص 76.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

بن أبابك فمنهم؛ أهل ميلود بن أحمد يكن بن أشفغ محم. ومنهم أهل عَيْدُ بن أحمد يكن بن أشفغ محم. ومنهم أهل بلعمش بن أشفغ محم¹ .

- أهل هُمَيْدِي "محمد" بن أعمر بن أبابك

- أهل محض أبهم بن عمر بن أبابك ومن أعلامهم الشيخ المختار بن أحمد يكن، والشاعر الكبير مُحَمَّدو السالم بن أحمدو بن شدو.

- أهل حبيب الله بن أعمر بن أبابك² .

- أولاد الناصر: أقل فروع تجكانت عددا وانتشارا وقد توزعوا في فروع تجكانت الأخرى حتى صعب تمييز فرعهم من باقي فروع تجكانت³ .

- تافلات أبناء عمومة تجكانت:

ينحدر تافلات من فالال أخ جاكنا الأبر، وبذلك هم وتجكانت أبناء عمومة، ويقطنون حاليا في ولاية الحوض الشرقي من بلاد شنقيط⁴ .

ومن بين فروع تافلات: أهل عبد الله بن الدي، كان يرأسهم الدي بن عبد الوهاب، أهل أحمد بن عثمان، كان يرأسهم مُحَمَّد المختار بن مُحَمَّد عثمان. إضافة إلى الحلة؛ ورئيسها هو سيدي المختار، أهل شراق كان يرأسهم هو مُحَمَّد الأمين بن سيدي أحمد، أهل الدين وكان يرأسهم مُحَمَّد الأمين بن الدين، أهل سعيد وكان يرأسهم أحمدتد بن عبد المالك. وكذلك أهل

¹ - المرجع نفسه، ص 76.

² - المرجع نفسه ، ص 75-76.

³ - الذي أوردناه هنا من أسر في فروع تجكانت هو ما استطعنا الوصول إليه واشتهر في المصادر والمراجع التي اعتمدها دون انتقاء أو إقصاء، لأنه لاشك أسر تجكانت أكبر بكثير مما تطرقنا إليه.

⁴ - حمه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنقيطي(موريتانيا)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص427.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

الطالب جدُّ الذين يرأسهم إبراهيم بن الطالب جدُّ، وأهل الشيخ مُجَّد ورئيسهم مُجَّد عبد الله¹ . وقد كان تأفلات أبناء عم تجكانت أغنياء لامتلاكهم قطعان البقر والغنم، وقليل من الإبل، ويرتحلون في فصل الشتاء بين النعمة وكمون، وعين رجاج، وفي فصل الصيف في سايلة وحاسي البكاي ، كما يملكون عدد كبير من المزارع يحرثها خدمهم في موقع كيرل ومصقولة، ويعتبر الشيخ مُجَّد الأمين بن عبد الوهاب بن الطالب الأمين صاحب مكانة واحترام كبيرين عند قبيلة تفالات لعلمه الغزير، وهو كذلك من مريدي الشيخ الكبير مُجَّد فاضل، الذي أخذ عنه التصوف بالوردين القادري والشاذلي² .

- المبحث الثاني: حواضر تجكانت وفنّها المعماري

أ- حواضر تجكانت: استقرت قبيلة تجكانت في عدة حواضر بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، نذكر من أهمّها:

- حاضرة توات:

تقع منطقة توات في الجنوب الغربي من الجزائر، وهو جزء من الصحراء الإفريقية الكبرى الممتدة على عرض إفريقيا الشمالية يضم ثلاث مقاطعات كبرى وهي: تيجورارين، توات، تيديكلت، و يحد الإقليم من الشمال الغربي العرق الغربي الكبير و واد الساورة، ومن الغرب عرق شاش و واد مسعود، ومن الجنوب صحراء تنزروفت وهضبة مويدر، ومن الشرق والشمال العرق الشرقي وهضبة تادمايت. أما فلكيا فيقع الإقليم بين خطي طول 1⁰ شرقا و3⁰ غربا، وبين دائرتي عرض 20⁰ إلى 30⁰ شمالا، وبالتالي فإن خط غرينتش ودائرة مدار السرطان

¹ - بول مارتى: المرجع السابق، ص 70.

² - المرجع نفسه، ص 70.

يتقاطعان بإقليم توات¹ .

- استقرار تجكانت بتوات:

بعد انهيار دولة المرابطين نزحت قبيلة تجكانت نحو توات وسكنوا بها حوالي سبعين عاما قبل أن يتوجهوا ليستقروا في مدينتهم الشهيرة تينيقي بآدرار موريتانيا حاليا، ويؤكد ذلك ماجاء في مخطوط القول البسيط: "... أول من نزل بها وبني القصر الأول، يقال أنهم من اللمتون أولاد الملك يوسف بن تجنفت (تاشفين) حيث انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس، فجاؤوها هارين وفارين إلى أن بلغوا أرض توات ووجدوا بها الحرب فعرفوا أنها أرض أمان، لأن الجند لا يطيق المقام بها ولا مطمع له فيها، فبنوا للسماء، وحفروا للماء، واستوطنوا وكان أول قصر بنوه تيلوت قصر قديم"² .

ويتضح لنا من خلال ما تطرق له صاحب هذا المخطوط أن الاستقرار الأول لتجكانت كان في حاضرة توات بعد سقوط دولة المرابطين، ثم بعد ذلك واصلوا نزوحهم نحو الجنوب أين استقر بهم المقام في منطقة آدرار حيث أسسوا تينيقي، كما تطرق الدكتور حماد الله ولد السالم في كتابه تاريخ موريتانيا إلى أن تجكانت كانت تمثل ربع جيش المرابطين، واسمهم حرفته المصادر إلى تيلكانت، ومنهم القائد المرابطي مدرك التلكاني الذي كان يقود ربع جيش المرابطين من قبيلته³ .

وهو من أشار إليه ابن خلدون بقوله: "أغزى يوسف بن تاشفين إلى المغرب الأوسط سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قائده مزدلي بن تيليكان بن محمد بن وركوت من عشيرة في عساكر

¹ - مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال ق 12هـ، المرجع السابق، ص 32. ينظر: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 03.

² - محمد الطيب بن عبد الرحيم : القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح. فرج محمود فرج، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977م، ص 16.

³ - المصدر نفسه، ص 62.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

لمتونة"¹. والجدير بالذكر أن أقدم وثيقة مخطوطة ذكر فيها اسم تجكانت عُثِرَ عليها في تديكلت سنة 793هـ/1391م، وهي عبارة عن عقد مودّة بين تجكانت وأعيان توات وتديكلت، عثر عليها مارتان (Martin) وأوردها في كتابه الواحات الصحراوية²، وهي إشارة مهمة على أن تواصل تجكانت مع حاضرة توات كان مستمرا بالرغم من رحيلهم عنها إلى تينقيتي بأرض شنقيط.

ومن الأسر الجكنية بإقليم توات وتنزروفت أهل بوفتانا³ أبناء مُجَّد الذي له ثلاثة أولاد وهم؛ مُجَّد المختار جد أولاد مُجَّد المختار، بَحْدُ جد أولاد بَحْدُ، ابراهيم جد أولاد ابراهيم. فمن أهل بوفتانا أبناء سيدي أحمد البكاي الجكني⁴ بأولف أقبلي وأخوه مُجَّد بوبّه دفين شنقيط إبننا مُجَّد بوبّه ولد بابا أحمد ولد بَحْدُ ولد مُجَّد ولد مُجَّد محمود ولد الطالب اعلي الجكني.

¹ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص185-186

² - Martin A.G.P: Les Oasis Sahariennes, Gourara-Touat-Tidikelt, Edition de l'imprimerie algérienne, Alger, 1908, p115.

³ - أولاد بوفتانا من الرماضين الكحل الجكنيين تنتمي إلى بوفتانا بن سيدي أبوبك بن موسى بن رمضان منها ثلاث فروع وهم : أهل البرينكي، وأهل الطالب اعلي، وأهل الكيحل . ينظر: المختار بن حامد، حياة موريتانيا، تجكانت، المصدر السابق، ج6، ص 23.

⁴ - الشيخ الفقيه رضاني سيدي أحمد البكاي بن مُجَّد بوبّه ولد بابا أحمد ولد بَحْدُ ولد مُجَّد ولد مُجَّد محمود ولد الطالب اعلي الجكني. من قبيلة تجكانت المشهورة بعلمائها في مختلف الأمصار، ولد العالم سيدي أحمد البكاي الجكني سنة 1940م، وتلمذ على يد العلامة الجليل سيدي حم (مُجَّد) بن بادي الكنتي(ت1388هـ/1968م) صاحب المؤلفات الكثيرة في فنون علوم الشريعة واللغة العربية، وقد لازمه مدة طويلة، ومنه أخذ مختلف العلوم الشرعية واللغوية، حتى تمكّن وتصدّر للتدريس في مدرسة شيخه، ثم انتقل بعدها لتوات والتقى بثلة من علمائها؛ الذين شهدوا له بالتضلع في العلم والمعرفة. وقد أشار له آنذاك الشيخ مولاي التوهامي شيخ زاوية تيويرين أن يرافق الحاج مُجَّد بن خليفة الأنصاري إلى المنصور بأقبلي، فمكث هناك -بأقبلي- ما يناهز أربعين سنة إماما ومفتيا ومدرسا للقرآن الكريم والفقهاء المالكي، فتخرج على يديه العديد من الطلبة، كما كانت له - رحمه الله- دراية كبيرة بتاريخ غرب الصحراء الكبرى وأعلامها وعلمائها وقبائلها خاصة منطقة الأزواد. عاش رحمه الله عالما عابدا زاهدا قانعا بعيدا عن الأضواء والشهرة ناصحا ومعلما للخير، أسلم الروح إلى بارئها يوم 6 شوال 1442هـ / 18 ماي 2021م. مقابلة أجراها الباحث مع الشيخ المرحوم سيدي أحمد البكاي الرضاني الجكني قصر المنصور بأقبلي، دائرة أولف ، ولاية أدرار، يوم 20 فيفري 2020م.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

وعند تطرق المؤرخ الجزائري اسماعيل العربي لحدود انتشار تجكانت، حيث جعل منطقة أولف بتديكلت حدودا جنوبية لانتشار القبيلة، وذلك قبل انتشار القبيلة جنوبا نحو حواضر الأزواد، حيث يقول: "والتجكانت موزعون هنا وهناك في المناطق الشاسعة التي تمتد بين جنوب المغرب الأقصى وغرب السودان، وجنوبا حتى أوليف (Aoulef)"¹.

كما يوجد بتوات أهل بحد، وأهل بناية؛ وهم أولاد سيدي محمد غيلي ولد بناية من فرع لكواليل، ومن فروع تجكانت المستقرة في توات كذلك أهل أبانا من الرماضين، ومنهم محمد المختار المعروف بتال، كما يوجد في توات، والحقار فرع من أهل الحاج من الرماضين يُسمون أولاد محمد الصغير، وفي تيمياوين يوجد أهل محمد المختار المعروف بتاو².

وقد استمر التواصل الجكني التواتي بعد تفرع القبيلة في حواضر الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، ويظهر ذلك من خلال القوافل الجكنية التي كانت تسلك طريق توات نحو أسواق إفريقيا جنوب الصحراء، وكذلك العلاقات العلمية بين علماء تجكانت وعلماء توات من خلال أسانيدهم العلمية وفتاويهم، ففي فهرسة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التتلائي³، تطرق لمحمد بن

¹ - اسماعيل العربي: المرجع السابق: ص 196.

² - سيدي أحمد البكاي الرماضي، المقابلة السابقة.

³ - الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر التتلائي: هو أحد علماء توات الذين انتهت إليهم الفتوى في عصره بتوات، كان كثير الارتحال في طلب العلم ونشره، فارتحل إلى سجلماسة، وبلاد التكرور، وأروان، ثم رحل إلى الحج، تخرج على يديه علماء أجلاء في توات، منهم ابنه محمد بن عبد الرحمان، والقاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري، والشيخ سيدي محمد بلعالم الزجاجاوي، توفي - رحمة الله عليه - بعد رجوعه من الحج يوم 29 صفر سنة 1189هـ/30 أبريل 1775م بمصر، فرثاه تلميذه محمد بن المبروك البداوي بقوله:

أَلَا يَا مِصْرُ قَدْ ازْدَدَتْ فِخْرًا بِحَبْرِ حَلِّ مَقْبَرَةِ الْمَنُوفِيِّ
بُعَيْدَ زِيَارَةِ الْهَادِي الْمُنْبَأِ مِنْ حَجِّ الْبَيْتِ حَقًّا بِالْوُقُوفِ.

ينظر: محمد باي بلعالم: الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التتلائي، ط1، دار هومه، الجزائر، 2004م، ص

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

المحجوب الجكني في سند إجازته لكتاب حرز الأمان¹.

كما اعتمد العلامة الزجاجاوي² التواتي في نوازه على أقوال وفتاوى سيدي يحي بن الوافي الجكني³. ويضاف لذلك اعتماد علماء توات على تدريس كتاب الجكنية في بيان المحذوف من حروف الكلمات القرآنية المشهور بنظم الجكني.

- حاضرة تينقي⁴:

تقع تينقي بين ودان وشنقيط، أسستها قبيلة تجكانت بعد سقوط دولة المرابطين في القرن 6هـ/12م، فهي بذلك حاضرة صنهاجية، تقع ضمن جبل بافور بأدرار موريتانيا حاليا . وتذكر الروايات التاريخية أنها كانت من أكثر الحواضر علما حتى قيل إن العلم جكني، كدلالة على ازدهارها العلمي والثقافي حيث قيل أن أكثر من مائتي فتاة كانت تحفظ موطأ مالك، ناهيك عن غيرها من أعلام هذه الحاضرة العلمية أمثال القاضي يحي بن رمضان، والقاضي يعقوب بن القاضي يحي ، والقاضي سيد أحمد الملقب بأبابك بن عمر أبابك ، والقاضي يرك بن مُجَّد بن الحسن بن يوسف وأبوه القاضي مُجَّد الحسن⁵.

¹ - عبد الرحمن بعثمان : تحقيق فهرسة عبد الرحمن بن عمر التلاني، مذكرة ماجستير في التاريخ العام، معهد الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة بشار، السنة الجامعية 2008-2009م، ص 103.

² - الزجاجاوي : مُجَّد بن عبد الرحمن بن أحمد الزجاجاوي و ينتهي نسبه إلى أبو أيوب الأنصاري درس على عدة شيوخ من أهمهم والده الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الزجاجاوي . رحل في طلب العلم كما كان له تلاميذ منهم الحسن بن بومدين التمنطي ، عبد الله بن بومدين بن بوبكر و غيرهم كثير ترك عدة مؤلفات من الوجيز في شرح مختصر خليل و ألفية في غريب القرآن، بالإضافة إلى نوازه في الفقه وهي التي اشتهر بها توفي 23 شوال عام 1212هـ/1797م. ينظر: عبد الحق حميش ومحفوظ بوكراع: موسوعة تراجم علماء الجزائر(علماء تلمسان وتوات)، دار زمورة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2011م، ص 426.

³ - مُجَّد بن عبد الرحمن بن أحمد الزجاجاوي: نوازل الزجاجاوي ، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، الجزائر.

⁴ - تنطق القاف في تينقي كafa معقودة كالجيم المصرية.

⁵ - حماد الله ولد السالم : المجتمع الأهلي الموريتاني، مدن القوافل (1091-1898م)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، د.ت.ن ، ص 185-186.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

عرفت تينيقي توسعا كبيرا وازدهارا في شتى المجالات خاصة من الناحية الاقتصادية، كونها تتمركز بطريق القوافل التجارية القادمة من أسواق الحواضر الشمالية والمتجهة نحو حواضر السودان الغربي ، خاصة الطريق الذي يمر بتاودني وتغازة نحو تنبكتو، ومع تزايد عدد أفراد القبيلة بدأت تظهر بعض الخلافات والاضطرابات بين بعض فروعها، كان من أبرزها الحرب التي وقعت بين بطون تجكانت في سنة 1062هـ/ 1652م، التي جعلت من هزم فيها يرحل نحو قرية نُقبة بإقليم أفله من بلاد الحوض¹.

ولعل سبب هذه الحرب هو أن فتى اعترض الطريق ذات يوم ومد رجله في باب السوق، وقال لا يمر أحد إلا من تحتها، فأرادت المرور لالة بنت سيدي مُجَّد الصغير بن سيدي أحمد البكاي بن سيدي المُجَّد الكبير جد جماعة كنته، وأمها من لكواليل، فطأطأت رأسها لتمر من تحت ساقيه فأنزلهما على عنقها حتى وقع فمها على الأرض وسقطت ثناياها ، فعلم خالها اعمر أكوك رئيس لعنامنة من لكواليل بالخبر، فأجهز على ساقى الفتى بضربة سيف حتى قطعهما؛ فاشتعلت الحرب بين لكواليل من جهة وسائر قبيلة تجكانت من جهة أخرى، ودامت الحرب سنة كاملة².

وبعد هذه الحرب خربت تينيقي وتفرقت بطون تجكانت في الحواضر المجاورة، فمنهم من نزل على العروسيين في نُقبة، ومنهم من استوطن بزمور؛ وهم من أسسوا حاضرة تندوف، ومنهم من استوطن في بوادي أزواد وهم الوسرة، ومنهم من يعرفون باسم باباوات الذين استوطنوا جنوب نهر السنغال ، ونزل أولاد موساني، وبعض الرماضين في بلاد الترازة ونزل معهم كذلك بعض الزلامطة، وأهل الحاج المختار، ومنهم من اختفى في القبائل، وقد نقل الشيخ سيدي بابا

¹ - المرجع نفسه، 186. ينظر: ملحق صور المخطوطات والوثائق، الوثيقة رقم 10.

² - المختار بن حامد حياة موريتانيا ، تجكانت، المصدر السابق، ج6، ص13.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

عن القاسم بن المختار بن ميلود أن أي جكني في أي مصر من الأمصار إلا خرج من تينيفي¹.

وقد ساهمت عوامل أخرى خاصة الطبيعية منها في جعل فروع تجكانت ترحل من تينيفي إلى أماكن وحواضر أخرى أكثر ملائمة للحياة ، وهذا دأب القبائل التي تستوطن الصحراء ؛ دائما في حل وترحال وفق الظروف الملائمة للاستقرار².

كانت حرب تينيفي على ما يبدو مرحلة أساسية في تاريخ المجتمع الأهلي؛ وذلك من خلال ارتباط استمرارية المدن الصحراوية بموارد المياه وعوائد التجارة، إضافة إلى تأثير البعد البشري ، وما قد يفض إليه الضغط السكاني من انفجار داخلي لهذا المجتمع الذي كان يعرف تلاحما قويا تربطه عصبية القبيلة وهي من أقوى الروابط الاجتماعية خاصة في الحواضر الصحراوية، وحرب تينيفي توضح لنا أيضا أن عدم تجانس ساكنة المدن وضعف جماعة الحل والعقد بفعل قوة النظام العصبي في المدينة، يؤدي إلى الانتقام والثأر بين أفراد القبيلة الواحدة³.

- حاضرة تُقبه⁴ :

تقع هذه القرية على بعد ثماني كليومترات من أودوغست في منطقة الركيذ الشرقي، وهي منطقة تمتاز بخصوبة أراضيها بالنسبة لما حولها، ويقول موسى كمر عن تقبه في كتابه تاريخ البيضان: " تقبه كلمة سنهاجية تعني الجديدة في لسان سنهاجة، وأصلها تكدة، وهي مدينة تقع في إقليم الركيذ، من شرق بلاد الحوض الغربي الحالي لموريتانيا، عمرتها قبيلة تجكانت بعد

¹ - المصدر نفسه، ص14.

² - Thomas Whitcomb:New evidence on the origins of the kunta, bulletin school of oriental and African studies, vol38,1975.

³ - حماد الله ولد السلام : المجتمع الأهلي الموريتاني، مدن القوافل (1091-1898م)، المرجع السابق، ص 188.

⁴ - تنطق القاف في تقبه كافا معقودة كالجيم المصرية.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

القرن 17م، وبعض الأفراد من قبيلة إيدويسات، وإجمان، وأولاد بوقائدة، والشرفاء العروسيون وغيرهم.¹

استقر بتقبة بداية في أواخر القرن 16م قبيلة إجمان، ثم لحقت بها قبيلة تجكانت بقيادة سيدي المحجوب الجكني بعد خراب تينقي، وقد كان لهجرة الجكنيين إليها أثرا إيجابيا ؛ حيث عرفت حاضرة تقبة بعد قدومهم واستقرارهم بها ازدهارا اقتصاديا وثقافيا كبيرا².

وقد تواجد بتقبة علماء جكنيون، كالشيخ مُحمَّد العاقب الجكني، والشيخ سيدي عبد الله بن سيدي المحجوب، والشيخ ابراهيم بن سيدي عبد الله، والشيخ عبد العزيز بن سيدي عبد الله، ومُحمَّد حبيب الله، وأخوه مُحمَّد الخضر أبناء ماياي؛ الذين هاجروا إلى المشرق بعد قدوم المستعمر الفرنسي إلى تقبه، كما يشير بعض الباحثين إلى وجود بقايا واحة النخيل، كان يجني منها التمر سنة 1906م، وهو العام الذي رحل فيه آخر سكان تقبه إلى منطقة (أطويل) بقرب تقبه وانتقلت معهم فروع من أسرة ماياي الجكنية، تضمنت آخر قضاة تقبة، وهو القاضي مُحمَّد فاضل بن سيدي عبد الله بن ماياي ، وبهذا أصبحت خالية من السكان ، بها آثار شامخة تدل على ازدهارها في الفترات الماضية³.

- حاضرة تندوف:

تقع حاضرة تندوف في أقصى الجنوب الغربي الجزائري على بُعد 1800 كلم من الجزائر العاصمة، تقع فلكيا ما بين خطي طول 06 درجة و 07 درجة غربا، وبين دائرتي عرض

¹ - موسى كمر: قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، المصدر السابق، ص 81.

² - مُحمَّد المحجوب ولد بيه :موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين للنشر والتوزيع ، نواكشوط، موريتانيا ، ط1، 2016م، ص 65-66.

³ - المرجع نفسه، ص 66. للتوسع ينظر: ولد مُحمَّد محمود إزيد بيه: الزوايا في بلاد شنقيط في مواجهة الاستعمار ، فصول في التاريخ الموريتاني الحديث، المطبعة الوطنية، موريتانيا، ط2، 2003م، ص 258-259. ينظراً يضا: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 03.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

27 و28 درجة شمالا، يحدها من الغرب الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية، ومن الشمال الغربي المملكة المغربية ، ومن الجنوب الجمهورية الإسلامية الموريتانية، ومن الشرق ولاية أدرار، ومن الشمال الشرقي ولاية بشار، بما فيها حمادة الداورة وتبلبالة وعرق الراوي، فتندوف منطقة حدودية تقدر مساحتها 158874 كيلومتر مربع، وترتبط الجزائر بالمملكة المغربية والصحراء الغربية وموريتانيا ومالي¹.

وبهذا تحتل تندوف موقعا استراتيجيا هاما، أهلها أن تتطور مع مرور الزمن، وتعاقب السنين، وأن تصبح من أهم المدن الجنوبية الغربية للجزائر، لأنها تتوسط الحمادة الممتدة من عين الصفراء شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن منطقة تافيلالت شمالا إلى تينبكتو جنوبا؛ الأمر الذي جعل منها محطة تجارية هامة بين هذه الأقاليم الصحراوية، ومركز عبور تمر من خلاله مختلف القوافل التجارية، ورحلات الحجيج القادمة من الغرب، خاصة من إقليم الساقية والزمور، ووادي باني اتجاه منطقة توات، ومنها نحو المشرق الإسلامي عبر خط توات، فزان، مصر، وهو طريق ركب الحجيج، إضافة إلى ذلك تعتبر حاضرة تندوف همزة وصل بين الشمال والجنوب، خاصة بين الأقاليم الشمالية الغربية للمغرب العربي والسودان الغربي².

يتوسط تندوف واد يقسمها إلى قسمين شمالا وجنوبا، ويغذي هذا الواد المياه الجوفية ويساهم في توفير الكأ الذي ترعى عليه الماشية، وتمتد حاضرة تندوف إلى هضبة الدرع العليا الواسعة والمستوية، تُعرف باسم هضبة الحمادة ، كما يتميز سطح حمادة تندوف بتكويناته الجيولوجية الصلبة المتشكلة خلال العصر الجيولوجي الثالث، حيث تصلبت بفعل وجود طبقة

¹ - مصطفى بن دهيبة: قطوف من تاريخ تيندوف، إصدار المجلس الأعلى للغة العربية، دار راجعي للنشر، الجزائر، 2010م، ص 07. ينظر: ملحق صور المخطوطات والوثائق، الوثيقة رقم 9.

² - عبد الحق معزوز: العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر، ط1، 2011م، ص 19-20. ينظر: ملحق صور المخطوطات، الوثيقة رقم 5.

كلسية فيها كثير من الحصى¹.

- التطور التاريخي لمدينة تندوف:

من خلال ما ذكره المؤرخ أبي عبيد الله، يتبين أن تندوف أصلها تندفس، وهي كلمة صنهاجية تعني الآبار التي كان يحفرها المسافرون وأصحاب القوافل التجارية، وما تلبث أن تدفنها الرمال بفعل الزوابع الرملية حيث قال: "... وأحسبه جبل درن المذكور قبل هذا الذي ينبعث من تحته وادي درعة فتسير في هذا الجبل ثلاث أيام إلى ماء يسمى تندفس، وهي آبار يحتفرها المسافرون فلا تلبث أن تنهار وتندفن"².

كما تطرق رشيد الحسن في كتابه الأعلام الجغرافية والهوية إلى أن تندوف كلمة تنقسم إلى قسمين تين+ أضوف وتعني مكان الحراسة في لغة صنهاجة³، ويؤكد ذلك أن اسم تندوف في لغة تماهق (الطوارق) إحدى قبائل صنهاجة؛ أن اسم تندوف يتكون من جزأين؛ تين+أدوف، أي مكان المخ، الذي يتواجد في داخل العظم، فكلمة (تين) في تماهق تعني مكان أو ضمير الملكية، ومثل تركيب اسم تيندوف متواجد كثيرا في لغة صنهاجة ببعض الأماكن في الصحراء الكبرى، مثل: تينركوك، تينيلان، تينزاواتين؛ وقد ضُبط اسمها في الوثائق المحلية بالياء بعد التاء(تيندوف)، وهو ماهو موجود في خزانتني آل بلعشم وأهل العبد، وقد ضُبطت كذلك من دون ياء بعد التاء في مصادر أخرى كتاريخ الفتاش لمحمود كعت الذي أشار كتابه الفتاش إلى مدينة تندوف في القرن 10هـ/16م بقوله: " فجئت تندوف فوجدت قصي بن سليمان إمامها والطاهر البكاي قاضيتها، ثم ارتحلت وزودني بألف دينار"⁴.

¹ - المرجع نفسه : ص 21.

² - أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت.ن، ص 156.

³ - رشيد الحسين: الأعلام الجغرافية والهوية، دار المناهل، المغرب، 2008م، ص 12.

⁴ - محمود كعت التنبكتي: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، وعظائم الأمور، وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تح. آدم بمبا، مؤسسة الرسالة، دمشق سوريا، ط1، 1435هـ/2014م، ص 109.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

وقد كان تطرق محمود كعت لتندوف في حديثه عن رحلة الشريف أحمد الصقلي الذي كان يقصد حاضرة تنبكتو، حيث مر في طريقه على تندوف سنة 925هـ/1519م، الذي انطلق من بلده العراق متوجها إلى حاضرة مكناس ثم تندوف، ثم أروان، وصولا إلى تنبكتو¹؛ فما أفاد به الصقلي في رحلته عن حاضرة تندوف في بداية القرن 10هـ/16م من وجود قاضٍ بالبلاد وإمام، وما أعطوه له أهل تندوف من مال يقدر ب1000دينار ذهبي ، يدل على أن البلاد كانت عامرة في تلك الفترة.

- تأسيس حاضرة تندوف:

رحل العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش من القبلة بعد وفاة والده إلى زمور أرض تجكانت لزيارة أخيه سيدي مُجَّد، ولما رآه الشيخ الديباني رئيس عامة تجكانت بزمور قربه ونصبه قاضيا ومفتيا على تلك الحلة، لما رآه فيه من علم وصلاح ورجاحة عقل، ثم زوّجه ابنته خديجة، وجهازها له بثلاثين ناقة، وخيمة، وقطيفة، ولما توفيت زوّجه ابنته الأخرى مريم ، ولما توفي الشيخ الديباني اليوسفي انتقلت رئاسة عامة تجكانت إلى العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش، فانتقل بهم من زمور إلى تندوف؛ أين أسس إمارة تجكانت سنة 1267هـ/1850م².

يُعدّ تأسيس إمارة تندوف من طرف العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش حدثا تاريخيا مهما في التاريخ الحضاري لتندوف؛ فمنذ بناء المسجد وتأسيس زاوية بن بلعمش الجكنية بمعاونة جميع تجكانت، أصبحت تندوف دعامة أساسية للعلم والمعرفة والتصوف عم إشعاعها الصحراء وحواضر غرب إفريقيا³.

كما ساهم اختيار الموقع المناسب لتأسيس حاضرة تندوف، والقيادة الحكيمة للعلامة مُجَّد المختار بن بلعمش؛ في ازدهار تندوف في مختلف الجوانب الحضارية، بحيث أصبحت ملتقى

¹ - المصدر نفسه، ص109.

² - مُجَّد الغيث النعمه: الفواكه في كل حين من كلام شيخنا الشيخ ماء العينين، تح. مجهول، د.د.ن، المغرب، 2004م، ص84

³ - عبد الحق معزوز: المرجع السابق، ص 30-32.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

للقوافل التجارية والرحلات الحجّية، ومقصد العلماء والصلحاء. وبعد هذا التأسيس توسعت تندوف؛ لتضم ثلاث أحياء وهي:

حي الموساني، حي الرماضين، حي لقصابي، فهذه الأحياء إضافة إلى مسجد وزاوية سيدي بلعمش تعتبر الركيزة المعمارية الأولى والنواة الحقيقية في تعمير حاضرة تندوف¹.

ومن المفخر العلمية لزاوية العلامة مُجّد المختار بن بلعمش أن أوسكار ملك السويد والنرويج آنذاك طلب من الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني أن يرسل إليه بعثة علمية للإطلاع والاستفادة من المخطوطات العلمية العربية هناك بالسويد وللمساعدة في العناية بها وفهرستها، فأرسل له الخليفة العثماني بعثة علمية على رأسها النسابة الفقيه والعالم الأديب مُجّد محمود التركي الذي يعتبر من أنجب تلاميذ العلامة مُجّد المختار بن بلعمش².

وقد أشار العلامة أحمد بن مُجّد الكاملّي إلى حاضرة تندوف واصفا عمرانها الذي أبحر به خلال نزوله عند تجكانت³، حيث لبث معهم قرابة عشر سنوات (1299-1309هـ/1881-1891م) في رحلته من المشرق مروراً بتندوف متوجّها إلى مراكش، فكل من مرّ بتندوف أثنى على أهلها، واصفا كرمهم، حيث أشار لها العلامة مُجّد بن مُجّد المختار الولاقي (ت1330هـ/1914م)⁴ في رحلته الحجازية بقوله: "وأتحفنا عابدين بجمل فحل ذلول وحنبل

¹ - المرجع نفسه، ص 31-32.

² - مصطفى بن دهبنة: المرجع السابق، ص 11.

³ - ابن طوير الجنة : رحلة المنى والمنة، مخطوط ، نسخة مصورة بحوزتي ، الورقة 4- و5

⁴ - هو مُجّد يحيى بن مُجّد المختار بن الطالب عبد الله النفاع بن أحمد حاج الداوي الجعفري الولاقي، ولد سنة 1259هـ/1842م بولاته؛ وبها نشأ وأخذ العلم على مشايخها إلى أن تضرع في مختلف العلوم الشرعية واللغوية، له رحلة حجّية مخطوطة، حيث خرج من موطنه بولاته 07 رجب 1311هـ/ 14 أبريل 1898م قاصدا بيت الله الحرام، ورجع من رحلته يوم 60 شوال 1317هـ/07 فيفري 1900م، فقد دامت رحلته قرابة 16 سنة زار خلالها بلدان عربية عديدة ، وكان رحمه الله كثير التأليف ، حيث بلغت مؤلفاته المائة مؤلف في علوم القرآن والحديث والفقه والأصول واللغة العربية ، وغيرها، واشتغل طيلة حياته بالقضاء والتدريس إلى أن توفي سنة 1330/1911م. ينظر: مُجّد يحيى بن مُجّد المختار الولاقي : الرحلة الحجازية الجزء الخاص بتندوف، تح. بريك الله حبيب، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، 15-27.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

جيد، وزودنا فخرجنا منه لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة من العام السادس عشر بعد ثلاثمائة وألف، قاصدين تندوف فمكثنا دونها اثنتي عشرة ليلة فيها مقام يومين"¹.
من خلال تتبع ذكر تندوف في المصادر التاريخية؛ نرى أن أقدم ذكر لها كان عند البكري خلال القرن 5هـ/11م، ذكرها باسم تندفس، وقد أشار فقط أنها مكان في طريق القوافل به آبار ماء تدفنها الزوابع الرملية، ولم يضيف معلومات غير ذلك، وتطرق أيضا محمود كعت في كتابه (الفتاش) إلى تندوف في القرن 16م من خلال رحلة الصقلي، ولم يقدنا الفتاش بأي تفاصيل حول تندوف؛ عدا اسم إمامها قصي بن سلمان، واسم قاضيها الطاهر البكاي، وهو ما جعلنا نطرح عدّة تساؤلات؛ هل تندوف التي ذكرها هي نفسها تندوف التي أسّسها العلامة بن بلعمش؟، وهل كانت مؤسّسة قبل تأسيس بن بلعمش؟.

وانطلاقا مما ذكره الصقلي، لم نجد في المصادر التي توصلنا إليها ذكر لتندوف خلال الفترة ما بين القرن 16 إلى غاية منتصف القرن 19م، ولو كانت الحاضرة عامرة لتطرت لها المصادر خاصة وأن موقع تندوف على طريق القوافل التجارية. فلم تسعفنا المصادر في تفصيل لما ذكره الصقلي بمعرفة الأعلام الذين ذكرهم، ولا حتى القبيلة التي كانت متواجدة بتندوف في تلك الفترة.

ويُستشف من تلك المصادر، أنهم كانوا جماعة أو حلّة سكنوا جهة من أرض تندوف التي تمتد شمالا إلى وادي درعة، وجنوبا إلى منطقة زمور، وغربا إلى منطقة السمارة، وتواجد جماعة من الناس في مكان ما يتطلب وجود الإمام والقاضي، وهو ما يميز المجتمع الإسلامي الصحراوي في تلك الفترة في البدو، والحضر، مع أن تواجد الإمام والقاضي لا يدل دائما على الحضر والاستقرار، لأن عادة البدو الارتحال من مكان إلى مكان بمحاضرهم العلمية، كمحضرة العلامة مُجّد المختار بن بونا التي كان يرتحل معه طلابه من مكان إلى آخر؛ بل وحتى القوافل

¹ - المصدر نفسه، ص 67.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

التجارية كان من بين عناصرها الإمام والقاضي، وعادة ما تتوفر هذه الشروط في الدليل الذي يقود القافلة.

وانطلاقاً من ذلك، يتبين لنا بأن الذين ذكرهم محمود كعت عند تطرقه لرحلة الصقلي كانوا أهل بدَاوة بدليل أن لا آثار مادية لعمرانهم، فالآثار المادية لعمران تجكانت حالياً كلها بعد تأسيس بن بلعمش لحاضرة تندوف في 1850م، لذلك لا يمكن أن نعتبر ما ذكره محمود كعت في الفتاش تأسيساً رغم أهميته التاريخية؛ بحكم أن شروط تأسيس الحاضرة غير موجود، لأنه مرتبط بمجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية؛ فالحاضرة هي ذلك المجتمع المحلي الذي يتم إنشاؤه بناء على أسس حضارية متكاملة بكل جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية¹.

وفي ذلك يقول ابن خلدون: "اعلم أن المدن قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه، فتؤثر الدعة والسكون، وتتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار، ولما كان ذلك القرار والمأوى وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية..."². وبهذا يضع ابن خلدون شرط تأسيس العمران بعد الزعامة العصبية السياسية من شروط تأسيس الحواضر؛ لأنه يرى الماهية السياسية للمدينة آتية من تحقيق الملك، والذين يؤسسون سلطة في البادية يعطون للمدينة معناها السياسي وهذه الأمور تتولاها سلطة عصبية قوية وغنية³.

ومن خلال إسقاط الشروط السالفة الذكر التي وضعها ابن خلدون يتضح لنا جلياً أن شروط تأسيس المدن والحواضر لم تعرفها أرض تندوف قبل تأسيس العلامة بن بلعمش في منتصف القرن 19م، وإن عرفت المنطقة التندوفية تواجد البداة سابقاً، فعلم العمران الذي

¹ - مصطفى عمر حمادة: المدن الجديدة، دار المعرفة، د.م.ن، 2008م، ص 39.

² - عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تح. خليل شحادة وسهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م، ص 432.

³ - رضوان السيد: المدينة والدولة في الإسلام دراسة في رؤيتي الماوردي وابن خلدون، مقال متاح على النت ص 238، أخذ يوم 18 أبريل 2020 على الساعة 8 مساءً www.hekmah.org

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

توصل إليه ابن خلدون يهدف في أساسه إلى تفسير التاريخ والكشف عن حقيقة السيورة التاريخية، والشروط التي تواجهها والعوامل التي تؤثر فيها.

ومن خلال الدراسة المعمقة لنشأة الحواضر وتتبع أطوارها وما يصاحبها من تطورات، مستنبطاً الأسباب والقوانين الكامنة وراء كل ظاهرة تاريخية¹، فالعلامة مُجَّد المختار بن بلعمش كان قائداً لتجكانت بعد وفاة الديماني، وقد جمع بين الزعامة السياسية والروحية بحكم أنه كان عالماً وقاضياً وشيخ الطريقة القادرية؛ وهو ما جعل عامة تجكانت تأخذ برأيه وتنتقل معه من زموار إلى تندوف أين باشر تأسيس إمارته التي بدأت بالمسجد ثم الزاوية العلمية، وقد شاركت جميع تجكانت في ذلك بقيادة العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش.

ومن خلال ما تقدم، يتضح لنا بأن المؤسس الأول لحاضرة تندوف، هو العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش وما سبقه لا نسميه تأسيساً لعدم توفر شروط التأسيس المتمثلة في القيادة السياسية والمشیخة العلمية والروحية، إضافة إلى العصبية القبلية والعمران الذي يعتبر أساس الاستقرار لتشييد الحواضر، مع عدم نفي أن مجال تندوف عَرَفَ وجود بعض الأفراد والقبائل قبل تأسيس حاضرة تندوف اعتماداً على الشروط التي ذكرناها سابقاً.

إن هذا التأسيس الذي قام به العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش لحاضرة تندوف، وما نجم عنه بعد ذلك من ازدهار حضاري للمنطقة يتجسد فيه معنى الحضارة التي هي الانتقال من حياة البداوة إلى حياة الحضارة، وهي المرحلة المتقدمة للمجتمع الإنساني؛ بدأت بقيام الجماعة البشرية المنظمة حين يتكون لديها الضمير الاجتماعي وهو إدراك الفرد لذاته في علاقته بالآخرين، وحين تستقر الجماعة وتبدأ في تنظيم حياتها وعلاقة أفرادها ببعضهم البعض ينشأ المجتمع المتحضر².

¹ - وهيبة عيساوي : مفهوم الحضارة عند ابن خلدون وأبعاده، مقال بمجلة العلوم الاجتماعية، ع2، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي الأغواط، ص 399.

² - المرجع نفسه، ص396.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

كما كان للقبائل التندوفية الأخرى دور في الحفاظ على الموروث الثقافي والعلمي بالمنطقة، حيث عرفت تندوف نظاما اجتماعيا قريبا يتكون من قبيلتين أساسيتين، وهما تجكانت، والرقيبات، اللتان تعتمدان على التجارة مع الحواضر المجاورة، والرعي في الوديان المجاورة¹، وقد برز من الرقيبات الشيخ الفقيه والولي الصالح سيدي أحمد الرقيبي².

- التقسيم الاجتماعي الثلاثي لتجكانت تندوف:

تتميز تجكانت تندوف بتقسيم ثلاثي، ظهر منذ منتصف القرن 19م؛ ساهم في تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي ظهر ذلك في التعاون على دفع الدية والمدارة، والعمل التجاري، وللدفاع عن أنفسهم وممتلكاتهم³.

¹ - مصطفى بن دهيبة: المرجع السابق، ص 04.

² - المرجع نفسه، ص 12.

³ - هذا التقسيم الثلاثي لتندوف أصبح يميز تجكانت الجزائر عامة، بحيث هناك عدة أسر جكنية موزعة في عدة أماكن من حواضر الجزائر، ونذكر منهم أهل مولود ولد يزيّة في منطقة البيض، وأهل بوديّة أبناء العالم بودية من الرماضين في عين الصفراء، وأهل حلبوذ من دراوة في منطقة القنادسة، وبحواضر الساورة منطقة بشار حاليا يوجد أهل سالكي أبناء المهدي بن حمودي، وأهل بلوالي أبناء عبد الرحمان ومُجّد سالم ولد الخطاط، أهل جكاني أبناء حمى ولد ادجارة، أهل بن طالب أبناء سيدي الصالح ولد سيد البشير، أهل مخطاري، وأهل عبدن، وأهل بلشير، وأهل الكوري، وأهل بوبكري، وأهل قلالي، ومن تجكانت الجزائر أيضا أهل حبيب الله بن مُجّد فاضل بن مايبي، جدهم حبيب الله دفين المشرية وأبناؤه في سيدي بلعباس، وأهل مُجّد ولد الرقاني ولد الجكاني، ويُذكر أنهم قبل استقرارهم بسيدي بلعباس كانوا في منطقة رقان بتوات، وفي وهران كذلك يوجد أهل حيدا ولد مُجّد رمضان ولد الوالي، وأهل البشير ولد عابدين من لوجارات، وفي غرداية أهل الرماضين بضاية بن ضحوة، وفي منطقة بوطيقة قرب تلبالة توجد أسرة من أهل بونا من فرع الزلامطة، وفي منطقة تلمسان يوجد أهل حسناوي وأصولهم من لحواسين المعروفين في الوسرة بتجكانت تندوف، وهذا ما استطعنا إدراكه في هذا البحث الذي لايزال متواصلا إن شاء الله لاستدراك ما بقي من أسر تجكانت بالجزائر. مقابلة أجراها الباحث مع الأستاذ عبد الله بن طالب الرمضاني الجكني بمدينة أدرار، الجزائر يوم 17 يناير 2021م.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

ومما يلاحظ أن كل فرع من تجكانت تندوف الثلاثة؛ موساني، الرماضين، الوسرة، كان مقسّما إلى أربعة، حيث تشكل هذه الفروع في مجموعها اثنا عشر فرعا، مما يدل أن النظام الاجتماعي كان نظاما اثني عشريا موضّحا كالاتي:

- فرع موساني وهم: لمخاتير، أهل القاضي، أولاد الشيخ، أولاد العالم؛

- فرع الرماضين وهم: أولاد سيد الحاج، لمساعد، الشوانع، أولاد سعيد؛

- فرع الوسرة¹ وهم: لوجارات، أولاد سيدي علي، ادراوة، أهل الشرق.

فمن بين الوثائق التاريخية التي يظهر فيها التقسيم الاجتماعي الثلاثي لتجكانت تندوف رسالة في خزنة أهل العبد من مختار بن حمود بن أحمد زيدان من فرع الوسرة إلى أبناء عمّه في الأزواد؛ أخطر فيها أنهم لا يستطيعون تحمل ثلث عين الماء بتندوف بحكم قتلهم؛ مقارنة مع الفروع الأخرى، حيث قال: "... وتكلمت على العين، وقالوا للوسرة يحملون ثلث العين، ولم أقبل"².

وفي وثيقة أخرى عبارة عن تقييد للشيخ التاجر مُجّد البشير بن العبد، فيها بعض أسماء تجكانت وما يملكون من بضاعة، ذكر في الوثيقة اسم "عبد الجليل الوسر"³؛ كتمييز له عن باقي فروع تجكانت⁴.

¹ - الوسرة: تعني الربطة بالحسانية أو التجمع، والراجح أن الكلمة أصلها صنهاجي، وقد اشتهر مصطلح الوسرة في قبيلة تجكانت في عدة حواضر أهمها حاضرة تندوف، وبلاد شنقيط، والأزواد، فالوسرة في بلاد شنقيط مثلا هم؛ أهل النينين من أولاد سيد الوافي من أولاد إبراهيم، وأهل أكاي من أولاد إبراهيم في الحوض الشرقي، والطلبة من الرماضين في النعمة. ينظر. بول مارتني: القبائل البيضانية، المصدر السابق: ص 68-69. وينظر أيضا: المختار بن حامد: حياة موريتانيا (الجغرافيا)، المصدر السابق، ص 44.

² - مختار بن حمود بن أحمد زيدان: رسالة إلى أبناء عمه بالأزواد، وثيقة مخطوطة بخزنة أهل العبد، تندوف، الجزائر، الورقة 1ظ

³ - مُجّد البشير ولد العبد: تقييد بعض المعاملات التجارية لتجكانت، وثيقة مخطوطة بخزنة أهل العبد، تندوف الجزائر، الورقة 1و.

⁴ - المصدر نفسه، الورقة 1و.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

كما أشارت لذلك بعض المصادر الأجنبية، مثل الدراسة الوصفية لأحياء تجكانت، ونظامها الاجتماعي التي قام بها الملازم الفرنسي لباريير (Lparrière). ونشرت في مجلة إفريقية الفرنسية سنة 1926م، التي ذكر أن تجكانت تندوف تستقرّ في ثلاثة أحياء رئيسة وهي؛ حي موساني شمالا يسكنه فرع موساني، حي الرماضين جنوبا يسكنه فرع الرماضين، وحي لقصابي شرقا يسكنه فرع الوسرة¹.

كما اهتم أيضا المؤرخ الأرواني في كتابه (الترجمان) بالخلفية التاريخية للوسرة؛ كأحد فروع تجكانت الثلاث، حيث يشير أن مصطلح الوسرة ظهر قبل تأسيس تندوف، وذلك مرده إلى الخلاف الذي وقع لتجكانت، حيث تحالف أهل الشرق، وادراوة، وأولاد سيدي علي فتوسّروا على الرماضين ومن ذلك سمو بالوسرة، وخرج من هذا الحلف آنذاك أولاد سيدي علي؛ الذين سعوا للصالح بين أبناء تجكانت فكان ذلك، واتحدت تجكانت على قتال الرقيبات فكانوا كلمة واحدة، وبعد بناء تندوف من طرف العلامة مُجّد المختار بن بلعمش، والعبد ولد الحرطاني بنت جميع تجكانت على ثلاث فرق؛ الرماضين على حدة، أولاد موساني على يمين الرماضين، وبنى الوسرة شرق الرماضين، ثم حفروا عينا للتزوّد بالماء، واكتروا لذلك رجلا من الشرفاء اسمه "سيدي علي بن الحاج"، وهو ولي صالح، ولم تزل تجكانت في العمارة حتى قام الخلاف بين الكنتي وابن عمه مُجّد البشير².

وبالنظر إلى الوثائق التي استطعنا الوصول إليها محليا وجدنا اسم الوسرة، أو إضافة اسم الوسري للأعلام ظهرت مع نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، وظهرت أكثر في الفترة

¹- Ressot Capitaine: Vers le sud du Maroc et la haute Mauritanie, L'Afrique Française ,Bulletin Mensuel Du Comité De l'Afrique Française Et Du Comité Du Maroc Comité De l'Afrique Française Et Du Comité Du Maroc, V 30,N1,Paris, 1926, P320.

² - مُجّد محمود الأرواني: تاريخ الصحراء والسودان ...، المصدر السابق، ص 327.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

الاستعمارية بداية من 1934م، كما أن حي لقصابي الذي يضم فروع الوسرة؛ يدل على خصوصية اتحادهم وتوسُّرهم خاصة وأن بناءه كان متزامنا مع حي موساني والرماضين، بحسب ما أورده الأرواني، وبإشارة المستكشفين الأروبيين مع نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، خاصة هنري بارث (Heinrich Barth) الذي يعتبر أول من زار تندوف بعد تأسيس العلامة مُحمَّد المختار بن بلعمش في رحلته ما بين 1849-1855م¹، وهو ما يثبت أن مصطلح الوسرة كان موجودا متداولاً عند تجكانت، منذ تأسيس حاضرة تندوف.

- علاقة الشيخ ماء العينين بتجكانت في تندوف:

ولد الشيخ ماء العينين سنة 1830هـ/1245م بالحوض الشرقي من بلاد شنقيط، ونشأ وتعلم بها، له رحلة إلى الحج في بداية سنة 1274هـ/1858م، وعند عودته 1275هـ/1859م نزل بتندوف عند العلامة مُحمَّد المختار بن بلعمش الذي رحب به وأكرمه، وأكمل طريقه إلى زمور، ثم رجع الشيخ ماء العينين إلى تندوف مرة أخرى في 19 رمضان 1276هـ/12 أفريل 1860م².

وكان هذه السنة رجوعا علميا لما وجدته من علم ومخطوطات نفيسة وكرم وترحيب عند العلامة مُحمَّد المختار بن بلعمش؛ حيث ذكر مُحمَّد المختار السوسي في كتابه (المعسول): أن من بين المكتبات الضخمة بصحراء سوس مكتبة أبناء بن بلعمش، حيث كان صاحبها بن بلعمش

¹ - Heinrich Barth: Travels and discoveries in North and Central Africa. Being a journal of an expedition undertaken under the auspices of H.B.M.'s government, in the years 1849-1855 New York, Harper & Brothers, 1859, vol3, p330.

² - مُحمَّد الغيث النعمه: المصدر السابق، ص 58. يراجع أيضا كتاب: مُحمَّد الشيخ الطالب ماء العينين: أخبار الشيخ ماء العينين؛ تجليات الفكر الصوفي والسلفي عند الشيخ ماء العينين: قراءة في نظمه للحكم العطائية، المطابع المغربية والدولية، طنجة، المملكة المغربية، 2000م.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

من أهل الصيت العظيم في العلم والنفوذ، وله أتباع كثيرون مثل الشيخ ماء العينين، غير أن بن بلعمش كان أكثر تخطيطاً، وأوعى لجميع الفنون، وهو حجة في الجميع، زاهد في الدنيا وقد جمع الكتب النفيسة من مختلف حواضر السوس، والصحراء الغربية وبلاد السودان وهو ما لم يجمعه صحراوي قبله، وقد أوقف مكتبته لطلاب العلم في سبيل الله؛ فاستفادة منها خلق كثير وقد مكث الشيخ ماء العينين قرابة السنة وهو يطالع ويستفيد من المكتبة، ومن العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش ثم رحل بعدها إلى واد نون¹.

وقد استفاد الشيخ ماء العينين القلقمي كذلك من تجربة الشيخ مُجَّد المختار بلعمش في عمارة حاضرة تندوف، وخبرته في قيادة تجكانت؛ عندما استقر بواد نون وأسس حاضرة مدينة السمارة التي شيدها على تل يشرف على واد سلوان بالساقية الحمراء. وتشقق السمارة اسمها من السمار وهو نبات ينمو بكثرة بواد سلوان، ويستعمل في صناعة الحصير لدى قبائل المنطقة. وفي سنة 1316هـ/1898م؛ حلَّ الشيخ ماء العينين القلقمي بزمور، وعزم على بناء مدينة تكون عاصمة للصحراء، وحلقة وصل بين الصحراء الغربية وشنقيط، إضافة إلى أنها قاعدة جهادية ضد اسبانيا وفرنسا، ودامت مدة البناء حوالي أربع سنوات حيث انتقل إليها سنة 1319هـ/1902م².

وقد استمر الشيخ ماء العينين في محبة ووصال أهل مُجَّد المختار بن بلعمش حتى بعد وفاته، وهو ما تثبته الرسالة التي بعث بها للعلامة أحمد يكن بن مُجَّد المختار بن بلعمش سنة 1316هـ/1899م؛ بعض ماجاء فيها: "الحمد لله وحده والسلام على من لا نبي بعده محبنا

¹ - الطالب أختيار بن الشيخ مامينا آل الشيخ ماء العينين: الشيخ ماء العينين علماء وأمرأ في مواجهة الاستعمار الأوروبي، مؤسسة الشيخ مربية لإحياء التراث والتبادل الثقافي سلا، المغرب ، ط1، 2005م، ج1، ص 35.

² - ماء العينين الجيه: العمران عند الشيخ ماء العينين، مقال ضمن كتاب الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001م، ص 123.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

الأرضي الصفي... السيد أحمد يكن، رزقنا الله وإياكم الأمن، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد؛ إعلامك أن حبك راسخ في الجوارح والخلد، لا نعدك إلا بمنزلة من لنا من ولد... بل أنت من قدماء الخاصة، الذين لهم المحبة المتراسة. ومنا السلام على العشيرة بالتمام، كل واحد باسمه، وخالص اسمه...¹.

ويتضح لنا من خلال الرسالة التي كتبها الشيخ ماء العينين إلى القاضي الفقيه أحمد يكن بن العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش مدى الألفة والمحبة التي ربطت الشيخ ماء العينين بالأسرة الجكنية بتندوف، وهو ما يدل كذلك على مدى الانسجام والترابط الاجتماعي، والتواصل العلمي بين حاضرتي السمارة وتندوف.

توفي الشيخ ماء العينين رحمه الله سنة 1328هـ/1910م، وترك رحمه الله مادة علمية متنوعة تدل على تضلعه العلمي في اللغة والفقہ المالكي، والأدب والتصوف بصفة عامة، والطريقة القادرية بصفة خاصة، وله في هذا كتب ومخطوطات ومريدين.

ومن بين مؤلفاته العلمية؛ حزب البسملة، وحزب الخير الجسيم، والمقاصد النورانية، ومفيد الحاضرة والبادية، ومفيد السامع والمتكلم في أحكام التيمم والمتميم، وهداية المبتدئين في النحو، دليل الرفاق على شمس الاتفاق، ونعت البدايات، وفاتق الرتق على راتق الفتق، وتبيين الغموض عن نعت العروض، ومظهر الدلالات، والمرافق على الموافق وهداية من حار في أمر النصارى، ومفيد النساء والرجال.²

¹ - مُجَّد المنوني: مظاهر يقظة المغرب الحديث، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1405هـ/1985م، ج2، ص 573.

² - يزيد الراضي والنعمة علي ماء العينين: الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2001م، ص 122 - 123.

- تندوف والرحالة الأوروبيون:

بدأ الرحالة والمستكشفون الأوروبيون في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي ينتشرون في الصحراء الكبرى متتبعين طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء والقادمة من أسواق الشمال في اتجاه أسواق حواضر إفريقيا جنوب الصحراء .

ومن بين هؤلاء المستكشفين الفرنسي روني كاييه (René Caille) سنة 1828م، كما مرّ بها الرحالة البريطاني جون دافيدوس (John Davidus) في طريقه إلى تنبكتو سنة 1836م، وكذلك هنري بارث (Heinrich Barth) في منتصف القرن 19م¹، ومرّ بتندوف سنة 1298هـ/1880م المستكشف النمساوي أوسكار لانز (Oscar lanz)² في طريقه إلى تنبكتو في مهمة استكشاف كلف بها من طرف الجمعية الإفريقية الألمانية، فكانت محطته الأولى المغرب الأقصى، ومنها توجه مع صديق له مغربي اسمه أبو طالب؛ الذي كان عوناً له و مترجماً في طريقه إلى الجنوب، وقد أعطاه المستكشف النمساوي مبلغ 4000 فرنك كهدية، وقد كان أوسكار لانز (Oscar lanz) متنكراً في رحلته على أنه طبيب تركي ، وعندما حلّ بتندوف وثق علاقته بالشيخ علي شيخ مدينة تندوف حينها، وقد ذكر فيما بعد أنه لم يكن يستطع أن يكمل رحلته ويصل تنبكتو لولا مساعدة شيخ تندوف له³.

¹ - Heinrich Barth : Op. cit, P330.

² - أوسكار لانز (Oscar lanz): مستكشف نمساوي ولد سنة 1265هـ/1848م، كلفته الجمعية الإفريقية الألمانية برحلة إلى المغرب والصحراء آخذاً تعليمات وتعليمات عن الحاخام اليهودي أبي سرور موردوخاي ، وهو أول أوروبي يزور تندوف سنة 1298هـ/1880م وهو متجه إلى تنبكتو، توفي سنة 1327هـ/1909م، وقد ترك تفاصيل رحلاته الاستكشافية في الصحراء وغرب إفريقيا مدونة في عدة كتب ومقالات منشورة. ينظر: حمادي عبد الله الإدريسي: تندوف وتجانن تاريخاً ومناقب وبطولات، دار الكتاب الملكي، الجزائر، ط1، 1434هـ/2013م، ج1، ص 493.

³ - إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص96-98.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

كما وصل إلى تندوف كاميل دولاس (Camille Douls) سنة 1305هـ/1887م قادمًا إليها من المغرب الأقصى مرورًا بالساقية الحمراء، وحمادة وادي درعة التي أفاد أنها تبعد عن ساحل المحيط الأطلسي حوالي 350 كلم، وأن تندوف تقع شرقها¹. كان هدف كل هؤلاء المستكشفين هو خدمة المشاريع الاستعمارية الأوروبية من خلال التمهيد للاحتلال، وتتبع واكتشاف طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء، إضافة إلى جرد وإحصاء كل المقومات الطبيعية، والثروات التي تتمتع بها هذه المناطق، والاهتمام بالدراسات الاجتماعية الإثنية التي تتضمن معرفة طبائع القبائل ومدى إمكانية تقبلها للعنصر الأوروبي الاستعماري على أراضيها، فكل هذا يدخل في التمهيد للاحتلال، لتتم بعدها السيطرة العسكرية على هذه المناطق، التي سبق لها المستكشفون قبل احتلالها، وقد اعتمد المستكشفون الأوروبيون في ذلك على كتابات الرحالة والمؤرخين، بحيث استفادوا من المعلومات الجغرافية والتاريخية التي تتضمنها وجعلوها دليلًا لتوغلهم في إفريقيا عبر طرق القوافل التجارية؛ لهذا وفرت الدول الاستعمارية الأوروبية كل الوسائل للمستكشفين، فأغدقت عليهم الأموال، لدفعهم إلى اكتشاف الصحراء الكبرى قصد مواصلة المشروع الاستعماري التوسعي في إفريقيا، وقد انتهت هذه الرحلات الاستكشافية الأوروبية بتعرض تندوف للاحتلال الفرنسي في 31 مارس 1934م².

- حاضرة شنقيط:

ورد اسم شنقيط عند عبد الرحمان السعدي في كتابه (تاريخ السودان) باسم شنقيط³، واختلف المؤرخون في أصل تسمية شنقيط ومعناها، فهناك رواية تقول أن أصلها من (الشقيط)

¹ - عبد الله حمادي الإدريسي: تندوف وتجكانت تاريخًا ومناقب وبطولات، المرجع السابق، ج1، ص499م.

² - إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934م)، دار هوم، الجزائر، 2012م، ص558.

³ - عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، هوداس، باريس، 1881م، ص22.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

وهي كلمة عربية فصيحة تدل على نوع من الأواني الخزفية المنتشرة في المنطقة ، وهناك رواية أخرى وهي الأرجح أن أصلها كلمة صنهاجية أمازيغية قديمة بمعنى عيون الماء التي ترد عليها الخيول للشرب¹.

عُرفت شنقيط في العهد الوسيط ببلاد الملثمين أو صحراء الملثمين الصنهاجيين الذين اشتهروا بهذا الاسم تميزا لهم عن باقي صنهاجة، كما عرفت أيضا ببلاد انبيه؛ نسبة إلى الإمارة التكرورية الصغيرة التي كانت قائمة خلال دولة المرابطين(448-541هـ/1056-1147م)، عند جدالة الغربية قرب نهر السنغال. وحدود شنقيط التاريخية من آدغاغ بالأزواد شرقا إلى نهر صنهاجة(السنغال) غربا، ومن الأزواد جنوبا إلى آدرار الموريتانية شمالا².

- تأسيس شنقيط:

بعد الحروب القبلية التي عرفتها آبير تزعمت قبيلة إيداعلي آبير التجارية والثقافية، بعدما استقرت محلة ابن غانية بودان ورحل عنهم تجكان إلى تينقي، وفي هذه الظروف قتل يحي أحد زعماء إيداعلي رجلا من قبيلته³، فطردوه فأتى شنقيط، وأسس فيها تحالفا خماسيا على عادة التحالف القبلي الذي كان سائدا في المنطقة في تلك الفترة مع كل من مُجَّد غلي جد الأغلال، واعمر يبني جد امقاريج، وجد ايديجر، وشمس الدين جد السماسيد، فقام هؤلاء الخمسة بتأسيس شنقيط فبنوا المسجد واختطوا الدور، وكان ذلك سنة 808هـ/1405م، وليس في سنة 660هـ/1262م كما هو مشهور، وبدل على ذلك المقارنات بين شجرات أنساب القبائل المؤسسة لمدينة شنقيط على استحالة أن يكون مُجَّد غلي أو يحي العلوي أو اعمر يبني من أصحاب القرن 7هـ/13م⁴.

¹ - الخليل النحوي : بلاد شنقيط المنارة والرباط ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس، 1987م، ص72.

² - الحسين بن محنض: تاريخ موريتانيا القديم والوسيط ، دار الفكر، نواكشوط موريتانيا، ط1، 2010م، ص08.

³ -أحمد مولود ولد أيده: الصحراء الكبرى مدن وقصور ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009م، ص236.

⁴ - المرجع نفسه، ص 236

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

ونقل ابن انبوجه العلوي في كتابه (فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور) عن الطالب أحمد بن اطوير الجنة، أن شنقيط بنيت في عام 800هـ/1397م، ونقل الطالب أحمد بن اطوير الجنة عن شيخه عبد الله بن الحاج ابراهيم أنه حدثه عام 1210هـ/1795م أنه مضى في ذلك الوقت 400 سنة على بناء شنقيط أي حوالي 810هـ/1407م¹. وقال صاحب الوسيط عن شنقيط " .. وقد مضى من تاريخ عمارتها إلى وقتنا هذا وهو 1329هـ خمسمائة سنة تقريبا"، وقد كان بين ابتداء عمارة شنقيط وانقراض عمارة آبير أربعون سنة ، وظلت عمارة شنقيط تتسع ، واسمها يشتهر حتى صارت علما وحاضرة مشهورة في الصحراء علما وتجارة"².

ومن ربطوا التواصل الثقافي بين بلاد الجزائر (المغرب الأوسط) وشنقيط في أوائل القرن 11هـ/17م العلامة أحمد الذهب قادما من تلمسان، وهو شريف من أحفاد عبد الله التلمساني، حيث أقام بشنقيط فترة يعلم الناس الفقه، فكان أول من درّس مختصر خليل بشنقيط، ترك بها ولدين ثم عاد إلى مراكش وبها توفي، وتنتشر سلالته الطيبة إلى اليوم بشنقيط³، وقد عرفت حاضرة شنقيط استقرار بعض فروع تجكانت من الرماضين .

- حاضرة ولاته:

ولاته اسم صنهاجي؛ يعني الأرض المرتفعة، تقع شرق شنقيط وشمال غرب تنبكتو؛ بحيث تعتبر همزة وصل تربط شنقيط بحواضر إفريقيا جنوب الصحراء، وقد بُنيت على أنقاض مدينة قديمة تسمى بير أو بيرو، ويرى المؤرخ المختار ابن حامد أن الحاضرة تأسست من طرف زوج سونوكيين نزحوا إليها من غانة⁴.

¹ - الحسين بن محنض: المرجع السابق، ص136.

² - المرجع نفسه، ص135-137.

³ - الخليل النحوي : بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق ص 73.

⁴ - المختار بن حامد: حياة موريتانيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص140.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

وبعد سقوط غانة على يد قبائل الصوصو 600هـ/1203م، هاجر التجار إلى ولاته، وبهذا نالت شهرتها الاقتصادية، لأنها أصبحت تقصدها القوافل القادمة من الشمال، المتوجهة إلى السودان الغربي، وقد ذكرها ابن بطوطة باسم إيولاتن؛ حين قال " ثم وصلنا إلى إيولاتن في غرة شهر ربيع الأول، بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة، وهي أول عمالة السودان"¹، وأضاف قائلاً: "وكانت إقامتي بإيولاتن نحو خمسن يوماً وأكرمني أهلها وأضافوني"² .

وقد ذكرها ابن خلدون كذلك باسم "ولاتن"³ . وتطرق السعدي لولته في كتابه تاريخ السودان وسماها "بيرو"⁴، وأضاف أن تأسيس تنبكتو وازدهارها سلب بيرو (ولته) مكائنها الحضارية في السودان الغربي، بحيث كانت عمارة تنبكتو خراباً لبيرو (ولته)⁵ . ومن فروع قبيلة تجكانت التي استقرت بولته فرع إيدلبه؛ الذين يُرجح قدمهم من جهة الساقية الحمراء حيث بنو عمومتهم من الجواكين المجاورين لقبيلة تكنه⁶ .

ويتكون فرع إيدلبه الجكني بولته من عدّة أسر كبيرة، نذكر منها: أهل الزحاف المُجَد وأهل بويجي، ومنهم العلامة الفقيه القاضي المدرس المفتي صاحب النوازل القصري بن مُجَد بن المختار بن القصري الولاقي (ت.1235هـ/1820م)، وأهل أحمر اللحية من بطن النواسيغ، وأهل أبابك بن سيدي يحيى بن محم بن أنوسوغ، وقد تطرق المؤرخ المختار بن حامد لبعض فروع إيدلبه بولته والنعمة وهم: " النواسيغ وبطونهم ايديبيجه، وأولاد سيدي يحيى، وأولاد سيدي يحيى، وأولاد مُجَد بن عبد اضه، والغربة، وأهل الرسول وبقيتهم في النعمة، وإيجيجه في ألاك"⁷ .

¹ - شمس الدين مُجَد بن عبد الله (ابن بطوطة): رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، 1997م، ج4، ص 244.

² - المصدر نفسه، ص 245.

³ - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 117.

⁴ - عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، ص 21.

⁵ - المصدر نفسه، ص 21.

⁶ - حماد الله ولد السالم: المجتمع الأهلي الموريتاني، مدن وقوافل (1898-1901م)، المرجع السابق، ص 201-202.

⁷ - المختار ولد حامد: حياة موريتانيا (الجغرافيا)، المصدر السابق، ص 44.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

كان لإديلبة مسجد في ولاّته؛ أسّسه زين الدين بن عمر بن عبد الرحمن بن أحمد ناجي بن الطالب أعجي بن الزحاف المُجَدِّ (ت.1206هـ/1791م) ، وقد اشتهرت ولاّته بالكثير من علماء وأعلام إيدلبه الجكّيين؛ فمن أبرزهم الشيخ المحدث مُجَدِّ بن الحبيب بن الطالب أحمد بن الزحاف المُجَدِّ (ت.1096هـ/1685م)، والفقير مُجَدِّ بن يحيى الشيخ بن الحبيب بن أبابك بن الطالب يحيى بن الزحاف المُجَدِّ (ت.1135هـ/1723م) ، والفقير النحوي القارئ بالسبع عمر بن مُجَدِّ بن أحمد بن مُجَدِّ بن محمد بن محمد بن أبابك بن محمد بن عبد الله بن أنوسوغ بن عبد الله بن التائب (ت.1152هـ/1739م)، والفقير الجليل عبد الله بن مُجَدِّ بن الطالب المختار بن الطالب محمد بن مُجَدِّ الزحاف (ت.1163هـ/1750م)، والفقير الطالب البشير بن الحاج الهادي (ت.1197هـ/1783م)، والشيخ زين الدين بن عمر بن عبد الرحمن بن أحمد بن الفقيه الطالب أعجي بن الزحاف مُجَدِّ (ت.1215هـ/1800م)¹.

واشتهر كذلك من أعلام أهل أبابك الشيخ مولود بن الطالب أحمد بن الوافي بن عثمان بن أبي بكر بن سيدي يحيى بن محمد بن أنوسوغ (ت.1211هـ/1796م)، والحاج شيخ بن أحمد دنه بن الفقيه الطالب مُجَدِّ بن يحيى الشيخ بن أبابك بن الطالب يحيى بن مُجَدِّ الزحاف (ت.1213هـ/1798م)، والفقير المؤرخ عمر بن الحسين بن مُجَدِّ البكر، اعتمد عليه المختار بن حامد في أنساب إيدلبه، توفي رحمه الله سنة 1216هـ/1801م، ومُجَدِّ بن عمر بن مُجَدِّ البساتي (ت.1217هـ/1802م) رئيس إديلبة، والفقير المفتي القاضي القصري بن مُجَدِّ بن المختار بن القصري الولاّتي، انتقل في آخر حياته إلى النعمة وتوفي بها سنة 1235هـ/1820م، وعمر بن الحاج بن أحمد بن الحاج المُجَدِّ بن مُجَدِّ بن أعجي بن محمد بن الحبيب بن الطالب يحيى بن الزحاف مُجَدِّ، كان فاضلا سخيا محظوظا في الرزق ذا مال ينفق منه

¹ - طارق ولد نوح: إيدلبه وتاريخهم في ولاّته ، متاح على الرابط:

<https://www.alhakika.info/node/13081> ، أخذ يوم 02 ماي 2020.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

على الضعفاء والمساكين ويصل به رحمه، توفي رحمه الله سنة 1256هـ/1840م، والفقير المؤرخ عبد الله بن الطالب عثمان بن عبد الله بن علي بن يحيى بن الطالب محمد بن الزحاف مُجَد (ت.1260 هـ/1844م)، كان إمام مسجد إديلبه في ولاته، اعتمد عليه المؤرخ المختار بن حامد كذلك في ما كتب عن إديلبه، والفقير عبد الله بن القصري، توفي رحمه الله بالنعمة سنة 1282هـ/1865م، والقاضي سيدي مُجَد بن عبد الله بن القصري (ت.1301هـ/1884م)، والشيخ أحمد محمود (ت.1310هـ/1892م) بن أهل اماد، إمام مسجد إديلبه بولاته، والفقير أحمد محمود بن عبد الله بن القصري (ت.1327هـ/1909م) الذي تولى القضاء في حاضرة النعمة¹.

وقد كان لحاضرة ولاته تواصل وتفاعل مع الحواضر الأخرى المجاورة بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، وهو ما ساهم بالإضافة إلى موقعها في طريق القوافل التجارية في حركتها العلمية والاقتصادية، كما استقطبت ولاته جملة من العلماء والفقهاء².

وقد ساهم موقعها الجغرافي على طريق القوافل التجارية في انتعاش حركتها العلمية والاقتصادية، فقد وفد عدد من العلماء أسسوا محاضر علمية تخرج منها العديد من الطلبة الذين ساهموا بدورهم في نشاط الواقع الثقافي بولاته وخارجها، وبهذا اشتهرت ولاته بمحاضرها المتعددة كانت مَحَجَّة للطلاب من مختلف الحواضر، إضافة إلى ذلك كان ركب الحج السنوي ينطلق من ولاته باتجاه الحرمين الشريفين ، وقد اشتهرت رحلة مُجَد يحيى الولايتي³ التي استغرقت

¹ - المرجع نفسه.

² - مُجَد الأمين ولد أن، مساهمة في دراسة حواضر الصحراء. ولاته نموذجاً، في مجلة عصور الجديدة العدد 7-8، جامعة وهران ، 2012-2013م، ص65.

³ - عبد الهادي حميتو: الفقيه مُجَد يحيى الولايتي، حياته وآثاره، مقال ضمن أعمال الندوة العلمية التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة الحمديّة 16-17 ديسمبر 2009م ، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط المغرب، 2011م، ص01.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

ست سنوات، حيث خرج من مسقط رأسه بولاته سنة 1311هـ/ 1894م، ثم رجع إلى أروان سنة 1317هـ/1900م¹.

- حاضرة تيشيت:

تقع حاضرة تيشيت في منطقة تكانت شرق تجكجكة، وهي إحدى مدن الواحات القديمة²، التي كانت تمر بها القوافل التجارية القادمة من الشمال باتجاه ولاته، وتينبكتو، وتوات، وصولاً إلى فزان، ويعتبر الشريف عبد المؤمن مؤسس حاضرة تيشيت سنة 536هـ/1142م، والتحق به زميله الحاج عثمان أحد مؤسسي ودان ، وهما مدفونان بجانب المسجد العتيق، وتعود الأغلبية السكانية في تيشيت إلى قبيلة ماسنه وكنته أحفاد عقبة بن نافع الفهري، وبعض إيدواالحاج، وتكانت فرع الزلامطة، والمحاجيب. ومنذ تأسيس تيشيت اشتهرت بنشاطها العلمي والتجاري³.

أقيمت حاضرة تيشيت بالقرب من قرية تسمى شتو القديمة بها سبخة قديمة تستخرج منها الملح تسمى أمرسال⁴، وتضاربت الروايات حول مؤسس قرية شتو، فالراجح منها أن السنونكيين الفارين إثر سقوط إمبراطورية مالي هم من سبق لتيشيت وأسسوها، قبل وصول قبائل صنهاجة لها والذين تحولت على أيديهم إلى قصر مشيد بالحجارة، فلذلك تيشيت شأنها شأن ولاته قامت على أنقاض قرية سبق لها أهل السودان الغربي من الأفارقة⁵.

1 - مُجَّد الأمين ولد أن، المرجع السابق، ص 65.

2 - الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط ، المرجع السابق، ص 69.

3 - الشريف حمى الله التيشيتي: فتاوى الشريف حمى الله التيشيتي ت 1169هـ / 1755م ، تح. حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت.ن، ص 31. ينظر: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 03.

4 - مُجَّد المحجوب ولد بية : موريتانيا جذور وجسور: المرجع السابق، ص 55.

5 - أحمد مولود ولد أيده: المرجع السابق ، ص 222.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

وخلال القرن 6هـ/12م استقر بالقرب من قرية شتو الشريف عبد المؤمن القادم من أغمات، وهو من تلاميذ القاضي عياض ، فأسس تيشيت سنة 544هـ/1149م، ويعود سبب لجوء الشريف عبد المؤمن إلى الصحراء هو ما تعرضوا له من محنة من طرف دولة الموحدين لمناصرتهم للدولة المرابطية، ولتمسكهم بمذهب الإمام مالك¹.

وقد أسس الشريف عبد المؤمن في الموضوع الذي نزل فيه، مدينة تيشيت الحالية، حيث بنى المسجد والقصر، وغرس النخيل واشتغل بالتجارة، وساعده في ذلك وقوع المدينة في طريق القوافل التجارية، مما ساهم في عمارتها وازدهارها².

وقد ورد ذكر تيشيت في المصادر التاريخية العربية؛ متطرقين لأهميتها الاقتصادية والثقافية؛ حيث يذكر محمود كعت(ت.1002هـ/1593م) في كتابه الفتاش؛ أن معظم أهل تنبكتو هربوا، ومنهم من رجع إلى أرضه التي قدم منها عندما حاصرهم الملك شي عال (سني علي)³، حيث يقول: " وكان هذا الفاجر يعني شي عال ملكا مطاعا مهيبا، خافه رعيته لشره، أرسل رسول إلى تنبكت، وهو في بلد جن يحاصرهم، وأتاه بأن أهل تنبكت يهربون ويرجع أهل بير إلى بير، وبعضهم إلى فطط وتيشيت، ويرجع كل قوم هاربين إلى أرض أصله"⁴. وكان حصار سني علي لتنبكتو سنة 873هـ/1468م، وهو ما جعل معظم فقهاء وعلماء تنبكتو يلجؤون إلى ولاته التي ذكرها محمود كعت باسم بير وتيشيت⁵.

¹ - مُجَّد المحجوب ولد بيه : المرجع السابق، ص 55.

² - المرجع نفسه، ص55.

³ - سبب ذكر سني علي هكذا عند محمود كعت يرجع إلى الاختلاف اللهجي، حيث كان لقب شي متقدم زمنيا على سني. ينظر: محمود كعت التنبكتي، المصدر السابق، هامش ص 137.

⁴ - المصدر نفسه، ص 146.

⁵ - أحمد مولود ولد أيده : المرجع السابق، ص219.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

وقد تطرق الحسن الوزان في القرن 16م هو الآخر لحاكم تنبكتو باسم سني علي؛ حين قال: " .. والحقيقة أن ملك تنبكتو الحالي هو أبو بكر أسكيا من الجنس الأسود ، كان قد عُين قائدا أعلى من قبل ملك تنبكتو وكاغو سني علي الذي هو من أصل ليبي، وبعد موت سني علي ثار أبو بكر على أبنائه وقتلهم"¹.

ومما يعكس الازدهار الاقتصادي لتيشيت خلال القرن 19م، هو القافلة التيشيتية التي التقى بها الرحالة الفرنسي فنسيان(vincent) في أدرار بالأزواد سنة 1860م، قدرها بثلاثمائة بعير، يحمل بضائع و سلع مختلفة من الذهب وريش النعام، والعاج والعسل، كما ذكر أن هذه القافلة تدفع ضرائب كثيرة لضمان حمايتها².

أما على المستوى الثقافي؛ فقد كانت تيشيت من أهم مراكز الإشعاع العلمي، وهي تحتفظ اليوم بعدد كبير من المخطوطات كدلالة على نشاطها العلمي في الفترات السابقة، حيث يقول فيها النحوي بأنها " أوفر المدن الشنقيطية نصيبا من المخطوطات"³.

ومن خلال ما تقدّم، يتضح لنا أن حاضرة تيشيت كانت من أهم الحواضر التي سكنت فيها قبيلة تجكانت خاصة فرع الزلامطة، وكان لهذه القبيلة الأثر الاقتصادي حيث كانت قوافل تجكانت تنطلق وتمر بتيشيت نحو تنبكتو، إضافة إلى الأثر الثقافي، حيث عرفت تيشيت نشاط محضرة أشفغات الجكنية العلمية والتي تخرج منها عديد الطلبة⁴.

¹ - الحسن الوزان : المصدر السابق، ج2، ص160.

² - الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق، ص69.

³ - المرجع نفسه، ص69.

⁴ - المختار بن حامد: حياة موريتانيا (الحياة الثقافية)، الدار العربية للكتاب، د.ت.ن، ج2، ص202- 203 ، ينظر : المختار بن حامد : حياة موريتانيا (تجكانت)، المصدر السابق، ج2، ص52-53.

- حاضرة تنبكتو:

تقع مدينة تنبكتو على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى، عند منحى نهر النيجر، وقد عرفت بعدة أسماء كالمدينة العجيبة، وجوهرة الصحراء؛ فهي مدينة إسلامية عريقة لم تعرف دينا غير الإسلام¹.

وأصل تسميتها تعني بئر بكتو، وسبب ذلك كما ذكرت المصادر التاريخية أن امرأة من الطوارق اسمها بكتو كان لها بئر من الماء في تلك المنطقة وكانت القوافل التجارية تقصده وترد منه فعرف المكان ببئر بكتو؛ أي (تنبكتو) في لغة الطوارق. وتنبكتو المدينة بناها واختطها طوارق مشغرن في المكان الذي تواجد فيه هذا البئر الذي ذكرناه سابقا في القرن 5هـ/12م²، حيث يقول عبد الرحمان السعدي: "نشأت تنبكت على أيدي توارق مقشرن في أواخر القرن الخامس من الهجرة"³، وأصبحت تنبكتو محطة مهمة للقوافل الصحراوية، فكانت ملتقى التجار القادمين برا في مسالك الصحراء مع أصحاب السفن النهرية بحكم موقعها على حافة منعطف نهر النيجر⁴.

وتعتبر تنبكتو من أول نشأتها مدينة إسلامية لمع اسمها في العالم الإسلامي، حيث استقطبت العلماء الذين كان لهم الفضل في نشر الإسلام، والحضارة العربية، وبهذا كانت حاضرة علمية، واقتصادية مزدهرة ارتبط بها تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء⁵.

¹ - كلثوم بن تيسة: الصلات الثقافية بين بلدان المغرب العربي الكبير وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 10هـ/16م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة غرداية، 2015-2016م، ص 157-158.

² - إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص311.

³ - عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص20.

⁴ - إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص312. ينظر: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 03.

⁵ - كلثوم بن تيسة: المرجع السابق، ص 159.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

وقد أورد مولاي أحمد الأرواني في كتابه (السعادة الأدبية) أكثر من مائتين علم من أعلام تنبكتو بما فيهم العلماء، والقضاة خلال القرنين 18-19م، ومما ذكره عن تنبكتو: "اعلم أن أول من سكن فيها أمة الطوارق اسمها تنبكت في أواخر القرن الخامس في دولة الطوارق، مادّسها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان، مأوى العلماء العابدين ومآلف الأولياء العارفين الزاهدين من كل بلد، وما تمت عمارتها إلا في أواسط القرن العاشر"¹.

عرفت تنبكتو استقرار فروع من قبيلة تجكانت، كان أبرزهم فرع الرماضين الذين عرفوا انتشار بمنطقة الأزواد، وقد كان ذلك بعد رحيلهم عن تينقي نحو الشمال في البداية؛ فمنهم من استقر في شنقيط وتندوف، ومنهم من رجع جنوبا نحو أروان وتنبكتو².

وقد ذكر مُجدِّ محمود الأرواني في كتابه (الترجمان في تاريخ أزواد وأروان) أن من بين الذين رحلوا من أروان إلى تنبكتو أفراد من تجكانت، وهم الوالي بن عبد الرحمان، والولي بن بهي، كما كانت فروع تجكانت دائمة التردد على حاضرة تنبكتو، خاصة خلال القرن 19م، وذلك بحكم امتهان كثير منهم التجارة بين حواضر الشمال كتندوف وحواضر إفريقيا جنوب الصحراء مرورا على أروان وصولا إلى تنبكتو كان من أبرزهم الشيخ التاجر الكنتي بن الشانع الجكني³، كما عرفت حاضرة تنبكتو وما جاورها استقرار أهل المخطار ولد الحبيب ولد العبد الرمضاني الجكني، وأهل إبراهيم ولد الحبيب ولد العبد الرمضاني الجكني، أهل خطرة، وأهل سيداتي⁴.

¹ - مولاي أحمد بابير الأرواني: السعادة الأدبية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تح: الهادي المبروك الدالي، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، تونس، د.ت.ن، ص 51، 52.

² - مُجدِّ محمود بن الشيخ بن سيد ببكر الأرواني: كتاب الترجمان في تاريخ أزواد وأروان: مخطوط بمركز أحمد بابا التنبكتي، تنبكتو مالي، رقم 73، نسخة منه عند محمود خونا الجكني بتندوف الجزائر، الورقة 100 و .

³ - المصدر نفسه، الورقة 100 و .

⁴ - مجهول: بطاقة تجكانت، تقرير فرنسي عن قبيلة تجكانت سنة 1956، تر. ولد سيدي علي القلاي، مكتبة مُجدِّ محمود الأرواني، مالي، ص 5-8. النسخة الفرنسية من التقرير بحوزة الباحث.

- حاضرة أروان:

تقع حاضرة أروان بالأزواد شمال تنبكتو ، عرّفها القاضي الأرواني¹ بقوله: " أروان بير على مسافة سبع مراحل من محل تنبكتو، وكان الساكنون بها وفي حومتها أمعجرن قبل بناء تنبكتو ... ومعنى لفظة أروان هار إيوان، أي ملح البئر أو غيره، وإيوان الحيوان بلغتهم هكذا وجدته"².

هذا وتعتبر أروان أحد أهم المراكز التجارية الصحراوية التي تمر بها جميع القوافل القادمة من وادي نون، وتندوف، ودرعة، وتفلالت، المتجهة نحو تنبكتو. كما تمثل أروان مستودع هام لملح تاودني قبل نقله عن طريق قوافل آزلاني إلى تنبكتو. وقد ساهم كل ذلك في ازدهار أروان إقتصادياً³.

¹ - هو مُجّد محمود بن الشيخ سيد بيكر بن القاضي سيد أحمد بن القاضي سيد أحمد بن القاضي سيد مُجّد ، ولد ونشأ بأروان سنة 1327هـ / 1910م، وتعلم تعليمه الأول بها على يد والده وأعمامه وأخواله، وقد تميز منذ صغره بذكائه وسرعة بديهته وتفوقه على أقرانه، ثم ارتحل به والده من أروان إلى تنبكتو ليأخذ العلم على كبار العلماء هناك، مثل: الشيخ أحمد بلعراف التكني، وبعد تضلعه في مختلف العلوم الشرعية واللغوية جلس للتدريس فتتلمذ عليه الكثير من الطلبة؛ برز منهم أحمد بابير الأرواني صاحب كتاب السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، ومحمود ددب، وابنه عادل، وجبريل دكوري، وأحمد سالم شود، وعمر سيسي وغيرهم. كما تولى مُجّد محمود الأرواني مهمة القضاء في تنبكتو، وأصبح قاضيها الوحيد الذي يتولى الفتوى والقضاء والإمامة، توفي رحمه الله بتنبكتو في 01 ذي القعدة 1393هـ / 25 نوفمبر 1973م، وترك مؤلفات غزيرة في مختلف الفنون اللغوية والشعرية، والتاريخ، والمنطق، منها تفسير للقرآن الكريم على نمط الجلالين، وكتابه الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان، وكتاب منافع الشهادة في مراتب الذكر، وإخلاص العبادة ، وتحفة المرید إلى محور المنطق الجديد، مواهب المجيد في شرح كلمة التوحيد، كتاب البلاغة في فقه اللغة، عذب المقال على لامية الأفعال، قصيدة الحكمانية المرابطية، القول المشكور في اختصار فتح الشكور. ينظر. مُجّد محمود الأرواني: تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكتو شنقيط وأروان في جميع البلدان، تح. الهادي المبروك الدالي: المصدر السابق، ص 11-13.

² - المصدر نفسه، ص33.

³ - عبد الهادي المدن: التجارة في وادي نون خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير، المغرب، السنة الجامعية 2015-2016م، ص 152.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

وكانت حاضرة أروان تقوم بنفس الدور الذي تقوم به حواضر توات في الشمال، فمنها يتمكن تجار الواقل العابرة للصحراء من التزوّد بالمواد التجارية والماء العذب والكلأ لحيواناتهم، كما يأخذون قسطهم من الراحة، ويتم تبادل منتجات السودان وبضائع المغرب في سوق أروان بين القوافل التي تأتي من حواضر الجنوب و القوافل التي تأتي من الشمال¹.

كما استفاد سكان أروان من الرواج التجاري، وتقديم الخدمات للقوافل، مثل كراء الإبل، واستفادوا أيضا من عائدات ضريبة العبور التي كان شيخ البرابيش هو من يتحصل عليها؛ بحكم أن أغلب السكان كانوا من البرابيش مع سيطرتهم على حاضرة أروان ، وقد استقر إلى جانب البرابيش بعض التجار الذين يأتون من حواضر مختلفة².

بالإضافة إلى بعض الأسر من تجكانت، وهم: من الوسرة يوجد أهل اعبيدي، أهل مُجّد أحمد ولد الميمون، أهل حيباللا ولد سيدي صالح، أولاد باي، أهل لعزيز. ومن موساني أهل مُجّد أحمد ولد الميمون، ومن فروع أخرى من تجكانت يوجد أهل خطرة، وأهل أولاد باي، وأهل اجكاني³.

- حوز مراكش، والسمارة ووادي نون:

ساهم التوسع الاستعماري في غرب الصحراء الكبرى مع نهاية القرن 19م، وبداية القرن 20م، في تنقل العديد من أفراد تجكانت نحو حواضر المغرب في الشمال، ومنهم من هاجر إلى المشرق مع ركب الحجيج واستقر هناك⁴، ولهذا الأسباب وغيرها توافد مجموعة من تجكانت إلى

¹ - مُجّد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ص 168.

² - عبد الهادي المدن: المرجع السابق، ص 153.

³ - وتوجد أسر جكنية بالأزواد ، مثل: أهل أحمد بدي من الرماضين، وأهل هدي من الوسرة في كيدال، وفي صحراء النيجر يوجد أهل بناية من الوسرة، وأهل مُجّد الصغير من الرماضين، وأهل مُجّد أحمد من الرماضين . تواقين عبد المنعم الجكني: مقابلة شفوية بأدرار يوم 17 يناير 2021م.

⁴ - أحمد بن هارون ابن الشيخ سيدي: الشيخ سيدي بابا وموقفه من نازلة الاستعمار(الحلقة 8)، متاح على الرابط

<https://www.saharamedias.net/13550> أخذ يوم 30 أكتوبر 2021م.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

حوز مراكش بمنطقة الرحامنة الذين شكّلوا النواة الأولى لسكان قبيلة تجكانت بالمنطقة، وهم: المجد ولد برحيل الرمضاني، وعبد القادر ولد ابراهيم الرمضاني، والحاج محمد ولد أحمد ولد سيدي اممر الكيلالي، وسيدي الشيخ الكيلالي، وسيدي عبد الله ولد دحمان ولد سيدي المنير الموساني، ومحمد ولد المكني بالعيدي لوجاري، ومبارك ولد لحسن لوجاري، والحاج محمد لوجاري، ومنهم تفرعت بحوز مراكش عدة أسر جكنية من الرماضين، ولكواليل، وأولاد موساني، ولوجارات¹، وهم كما يلي:

- أهل المجد ولد برحيل الرمضاني وهم أهل الجيلالي ولد ابراهيم، وأهل بركة.
- أهل اعلي ولد الحاج محمد ولد اعلي الكيلالي؛ وهم أهل الصالح، أهل عبد الرحمان، أهل عبد الله ولد محمد مولود، أهل احمدوش، أهل الحسين، أهل مصطفى.
- أهل عبد القادر الرمضاني: وهم أهل لحبيب، وأهل امبارك.
- أهل العبيدي لوجاري، وهم أهل بله، أهل أحمد، أهل عالي، أهل العربي، أهل أحمد، أهل محمد البشير ولد عمر.
- أهل الشيخ المصطفى ولد المختار لوجاري، ويتفرع منهم أهل أحمد.
- أهل بلحاج لوجاري ويتفرع منهم أهل محمد.

- أهل سيد المنير الموساني، وهم أهل محمد الصغير، وأهل مولود.

وقد كان لهذه الأسر الجكنية بحوز مراكش إسهامات في الحياة العلمية والأدبية في المنطقة، منهم؛ العالم الفقيه الحمزاوي علال ولد المجد ولد برحيل الرمضاني، الذي تخرج على يديه العديد

¹ - مبارك برحيل ولد أحمد الجكني: تاريخ قبيلة تجكانت بمنطقة الرحامنة ودور رجالها العلمي والجهادي والسياسي والأدبي بالمنطقة، مداخلة في ملتقى تجكانت، حوز مراكش، المغرب الأقصى، متاح على الرابط <http://pakvim.net/watch/8au6Q83Slk0>، أخذ يوم 24 يناير 2021م.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

من طلبة العلم وحفظه القرآن الكريم، وكذلك الفقيه مُجَّد المصطفى ولد علي ولد الحاج مُجَّد (دافة)، والعالم المفتي سيدي عبد الله ولد سيدي مُجَّد الجكني، وكذلك العالم المفتي مُجَّد الصغير ولد سيدي عبد الله ولد سيد المنير الموساني، والشيخ الفقيه مُجَّد ولد سيدي الشيخ الذي كان مدرسا للقرآن الكريم بمنطقة الشاوية، والشاعر البليغ مُجَّد ولد مُجَّد المختار لوجاري. ومن أعلام تجكانت بجوز مراكش الشهيد سيدي عبد الله ولد سيدي دحمان ولد سيد المنير الموساني الذي ارتقى شهيدا في معركة ضد المستعمر الفرنسي¹.

- أسرة أبا حازم وآل مايبي بحاضرة السمارة ووادي نون :

تنتهي أسرة أبا حازم إلى الجد الشيخ مُجَّد لمين بن أبا حازم دفين منطقة كرزيم القريبة من مدينة السمارة؛ وهو مُجَّد لمين بن سيدي الطالب أحمد بن حبيب بن يبابي بن حبيب بن سيدي أحمد الملقب بالوذان بن سيدي بوبكر بن القاضي مُجَّد بن القاضي علي بن القاضي يرزق بن الحسين بن مُجَّد بن يوسف بن اكرير بن اعلي بن جاكن الأبر، وقد وفد مُجَّد لمين أبا حازم على الشيخ ماء العينين بالسمارة بطلب منه، وللمصاهرة التي تجمعهما، فأخذ عنه مختلف العلوم الشرعية واللغوية، وعمل قاضيا بحاضرة السمارة².

خلف مُجَّد لمين أبا حازم الشيخ مُجَّد تقي الله، والشيخ مُجَّد فاضل، والشيخ مُجَّد العاقب، وابنته فاطمتو، وقد اشتهر جميع أبنائه بحفظ القرآن وتحفيظه، والتمكن من العلوم الفقهية، حيث توزع الإخوة الثلاثة الذكور في قبيلة آيت أوسي لتعليم القرآن، وتزوجت أختهم فاطمتو بالشيخ ماء النعمة بن الشيخ ماء العينين. رزق أبناء الشيخ مُجَّد لمين بن أبا حازم بأبناء وأحفاد

¹ - المرجع نفسه. نسخة من المداخلة بحوزة الباحث؛ محتومة بختم تجكانت بالمغرب الأقصى وإمضاء الكاتب العام لمجلس أعيان تجكانت مُجَّد الصغير ولد عمار.

² - مُجَّد حجي وآخرون: معلمة المغرب، ملحق 03، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، ط1، 1435هـ/2014م، ج26، ص 18.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

ساروا على نهج الآباء في تعلم القرآن وعلومه وتدريسها بمحاضر قرآنية متنقلة، وأخرى قارة في حواضر وادي نون، والساقية الحمراء، والطنطان، وزيني، وواركيز¹.

بالإضافة إلى أهل أبا حازم، تواجد بحاضرة السمارة أسرة آل مايابي الجكنية التي أنجبت فطاحل العلماء الذين رحل بعضهم إلى البلاد الإسلامية في المشرق، وتركوا آثارا علمية كثيرة ومشهورة في شتى العلوم الشرعية واللغوية، كما انضموا مبكرا إلى مقاومة الاستعمار الفرنسي إلى جانب الشيخ ماء العينين، برز منهم الشيخ مُجَّد العاقب دفين فاس، والشيخ مُجَّد الحضرة دفين المدينة المنورة، والشيخ مُجَّد حبيب الله دفين القاهرة².

ب- الفن المعماري لتجكانت:

إن فن العمارة ظاهرة حضارية، تتبلور من خلال فن الإنشاء، وتتجسم عبرها المضامين الثقافية، والاجتماعية التي تحملها العمارة التقليدية والمدن العتيقة بالخصوص، فهي نتيجة تحصيل المعارف في فنون الإنشاء، والبناء، وفي استحقاقات أنماط العيش³.

وقد أطلق عليها العلامة ابن خلدون صناعة البناء، حيث قال أن هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضاري، وأقدمها، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت، والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن، وأضاف كذلك في مقدمته أن العمران هو التّساكن، والتنازل في أي حلة للأنس بالعشر، وقضاء الحاجات، وهذا ما تقتضيه الطبيعة البشرية التي تبني على التعاون، وفي هذا يقول ابن خلدون كذلك، أن العمران قسمين، أولهما بدويا؛ يكون في الضواحي والجبال

¹ - المرجع نفسه، ص 18.

² - المرجع نفسه، ص 18.

³ - الناصر البقلوطي: العمارة السكنية بالمدن العتيقة التونسية، في مجلة الثقافة الشعبية، عدد 30، الثقافة الشعبية

للدراستات والنشر، البحرين، 2015م، 155.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

والحلل المنتجة في القفار، والثاني حضريا؛ بالأمصار، والقرى، والمدن للاعتصام والتحصين¹.
ومن هنا تعتبر العمارة مصدرا تاريخيا يوثق علاقة الإنسان بيئته؛ وذلك من خلال فن بناء
وتكوين الحجم، والفراغات المخصصة لاحتضان الوظائف، والنشاطات الإنسانية،
والاجتماعية المتنوعة، التي تعكس في سماتها وأشكالها الانجازات التقنية، والحضارية، وتعكس
كذلك التطلعات الجمالية والروحية، والقدرات المادية للمجتمع في بيئة ما وفترة تاريخية محدّدة².
ولمّا كانت العمارة التقليدية شكلا من أشكال تهيئة الإنسان للمجال الذي يعيش
فيه، فإن التقاليد السكنية هي تعبير مباشر عن تلك الثقافة في مضمونها المادي وغير المادي،
وتجسيم لمعارف ومهارات متراكمة قد أفضت إلى بلورة نماذج وأنماط معمارية؛ تنتج نسقا سلوكيا
يُتخذى، ويتبع بصفة تلقائية تكاد تكون إلزامية في كل مجتمع، بحيث تصبح من مميزاته التي
يعرف بها³.

ولفنون البناء وأشكاله جذور عميق تعود إلى العصور القديمة، وبدأت تتطور وتتغير بتطور
العقل البشري، وبتغير المحيط الطبيعي والبيئة الاجتماعية والاقتصادية، للعمارة عبر تاريخها نتيجة
تفاعل بين المعطيات المناخية، والإمكانات المحلية مع حاجيات الإنسان السكنية في نطاق
نسق القيم ومنظومة الأعراف السائدة، وهكذا يتم إنتاج أنماط معمارية سكنية ذات طابع
معماري تشكل قواعد ينبغي احترامها⁴.

¹ - عبد الرحمن بن مُجّد ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تح. عبد الله مُجّد الدرويش، دار يعرب، دمشق، سوريا، ط1، 2004م، ص132.

² - عمر سليم: فن العمارة، د.د.ن، د.م.ن، د.ت.ن، ص 2-3.

³ - الناصر البقلوطي: المرجع السابق، ص 156-157.

⁴ - ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1994م، ص17.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

- الفن المعماري لحاضرة تينقي:

تتميز بقايا أطلال قرية تينقي التي أسستها قبيلة تجكانت بمنظر العمارة الإسلامية، وذلك بالنظر إلى ترتيب البيوت، وأماكن الأبواب غير المتقابلة مع بعضها، إضافة إلى وجود المساجد، وقد استعمل الجكنيون مادة الحجارة في بناء مساكنهم التي أقاموها فوق التلال، والمرتفعات¹، وهو ما يبيّن أن اختيار مكان اختطاط قرية تينقي كان صائبا جدا؛ بحيث تقع على ضفة وادي ارغوية، وفي طريق القوافل التجارية القادمة من الحواضر الشمالية باتجاه أسواق غرب إفريقيا، فقد كان يُعرف هذا الطريق منذ العصور الوسطى بالطريق اللمتوني، الذي يربط بين درعة وسلجماسة، ومنطقة آدرار في أرض شنقيط².

ومن خلال المنظر الطوبوغرافي العام لقرية تينقي، يتبين لنا قَدَم هذه المدينة، حيث تهدمت معظم معالمها التي لم يبق منها سوى الأساسات الموضحة لتخطيط المدينة العام؛ الذي يُلاحظ فيه توزيع البيوت، وتحديد الأزقة، والمسالك إضافة إلى أماكن المساجد المحاطة بالبيوت من كل جهة فغالبا يكون المسجد داخل التجمع العمراني³.

- الفن المعماري لحاضرة تندوف :

تعتبر حاضرة تندوف من الحواضر الجكنية التي يظهر فيها جليا الفن المعماري الجكني؛ بحكم أن المدينة أسستها قبيلة تجكانت بعد خراب تينقي، والتطرق إلى عمرنها بشيء من التفصيل يوضح لنا جليا الهندسة المعمارية التي كانت تميز قبيلة تجكانت، بحيث أصبح هذا الفن المعماري مميزا للمدينة عبر تاريخها. كما يتجلى فن العمارة الجكنية في تندوف في نماذج تمثل

¹ - من خلال صور آثار حاضرة تينقي لمحمد الصغير ولد عمار الكيلالي الجكني، التقطت سنة 2014م.

² - مُجدّ يحي بن احرمو: لمحات من تاريخ قرية تينكي، متاح على الرابط <http://essirage.net/node/4250> أخذ يوم 22 أكتوبر 2021م.

³ - من خلال صور آثار حاضرة تينقي لمحمد الصغير ولد عمار الكيلالي الجكني، التقطت سنة 2014م.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

العمارة العتيقة لتندوف، من أهمها مسجد وقصبة زاوية بلعمش، ودويرة أهل العبد بجلي الرماضين، ودار الصنهوري بجلي موساني، ودار الديماني الوسري بجلي القصابي، وذلك لما تحتوي عليه هذه النماذج من خصائص معمارية فنية تعكس الأصالة البنائية للمنطقة¹.

- زاوية قصر بلعمش:

تمثل زاوية بلعمش جوهر، ونواة عمران مدينة تندوف، وهي لب البعد الروحي والاجتماعي الذي تمثله هذه الزاوية، التي كان يتخذها مؤسسها محمد المختار بلعمش مكانا للتعبد واستقبال المريدين وطلبة العلم، وتلقينهم مختلف العلوم الشرعية؛ حيث ذاع صيته في كامل المنطقة وامتدّ حتى وصل الحواضر المجاورة خاصة بالأزواد وغرب إفريقيا².

ولعل المتمعن في موقع زاوية قصبة بلعمش وتكوينها المعماري؛ يلاحظ أن الغرض العسكري، أو الأمني كان من بين أهدافها الإنشائية، فالقصبة لها موقع جغرافي استراتيجي على هضبة يحدها من الشمال منحدر الوادي، ومن الجنوب والشرق والغرب أرض منبسطة مكشوفة لمراقبة أي شيء يتحرك بمحيط المنطقة، وبالتالي تجنب المباغته، وسد الخطر في الوقت المناسب، ويساعدهم في ذلك الأسوار، والأبراج العالية للقصبة التي تدعم أركانها المزودة بفتحات المراقبة، ومزاغل الرمي، ويتراوح ارتفاع هذه الأبراج ما بين 8.5 و 9.5 متر³.

- مسجد زاوية بلعمش:

تتضمن زاوية بلعمش بجانب القصبة مسجدا يعود تاريخ بنائه إلى منتصف القرن 19م، معتاريخ تأسيس الزاوية؛ حيث أسسه العلامة محمد المختار بن بلعمش، وشارك في بنائه جميع

¹ - عبد الحق معزوز: المرجع السابق، ص 56-57.

² - المرجع نفسه، ص 57.

³ - المرجع نفسه، ص 47-48. ينظر: ملحق الصور، الصورة رقم 1، 2.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

أفراد قبيلة تجكانت بتندوف¹.

يقع هذا المسجد إلى الجهة الشرقية من الزاوية على بُعد أمتار قليلة منها، يأخذ شكلا مستطيلا يتجه مسقطه الأفقي من الشرق إلى الغرب على محور القبلة، ويتكون من قاعة للصلاة، ومحراب، وصحن مكشوف، ومئذنة؛ حيث يتكون مكان صلاة من إحدى عشرة بلاطة عمودية على جدار القبلة، أكبرها البلاطة المركزية يبلغ عرضها 1.74 متر، ويتكون كذلك من ثلاثة أروقة موازية إلى جدار القبلة تتقدم الصحن، وثلاثة أخرى في آخره، يتراوح عرضها ما بين 1.72 و1.80 متر. يتوسط الجدار القبلي محراب عرضه 0.95 متر، على شكل نصف دائري من الداخل ومضلع من الخارج؛ يبرز خارج الجدار من الخارج بحوالي 1.50 متر، متكونا من خمسة أضلاع².

وأما الصحن؛ فهو مستطيل طوله 11متر، وعرضه 8.70 متر، وهو مكشوف على الفضاء الخارجي، وتتميز عقود المسجد بشكلها المتعدد؛ منها ما هو على شكل منكسر، ومنها ما هو على شكل حذوة الفرس. وأما المئذنة فهي عبارة عن شكل يشبه المربع؛ تقع على الجهة الشمالية الغربية للمسجد، يبلغ متوسط أضلاع قاعدتها 3.80 متر، ويفوق ارتفاعها 15 متر، يُصعد إليها بسلم يتكون من 50 درجة، تنتهي قمته بفتحات للتهوية والإضاءة³.

تتكون الزاوية من سبع وحدات سكنية تضم منزل الشيخ مُجد المختار بن بلعمش، إضافة إلى المدرسة التي تقع في الجهة الجنوبية الغربية من القصبه، وتتقدم بموقعها المدخل الرئيسي للقصر، ويمكن الولوج إليها عبر مدخل مستقل خاص بالطلبة والأجانب بصفة عامة، ويمكن أيضا الدخول إلى المدرسة عبر مدخل من داخل القصر خاص بالشيخ، وخاصة أهل القصر.

¹ - بريك الله حبيب: خزانتي أهل العبد وأهل بلعمش بمدينة تندوف أنموذجا، مقال بمجلة الذاكرة، العدد 4، عدد خاص بالملتقى الوطني الثاني للتراث العربي المخطوط بالجنوب الجزائري، 15-16 ديسمبر 2014م، ص 142.

² - عبد الحق معزوز: المرجع السابق، ص 52. ينظر: ملحق الصور، الصورة رقم 1.

³ - بريك الله حبيب: خزانتي أهل العبد وأهل بلعمش بمدينة تندوف أنموذجا، المرجع السابق، ص 143.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

كما تقع مكتبة الشيخ مُجَّد المختار بن بلّعمش الخاصة في الطابق الأول، وتطل مباشرة على ساحة القصر، أما الوحدات السكنية في زاوية الشيخ مُجَّد المختار بن بلّعمش؛ فهي تتوزع بصورة منتظمة متقابلة ومحاذية مع بعضها، فكل وحدتين سكنيتين متقابلتين يفصلهما رواق، حيث يغلب شكل المستطيل على كل وحدة سكنية، بداخلها صحن تحيط به الغرف تتراوح مقاساتها ما بين 1.70 متر عرضاً، و10 متر طولاً، وترتبط هذه الغرف بفضاء خارجي مكشوف؛ إما بصحن أو بحديقة صغيرة ملحقة بالبيت¹.

ويعتبر الصحن الذي يتوسط المسكن؛ المكان الذي يلتقي فيه عادة سكان المنزل، وهو بالنسبة للعائلة الموسعة بمثابة المكان الذي يجتمع فيه أهل الحي، وانطلاقاً من هذا المنظور يكون للصحن دور اجتماعي في صلة الرحم وترابط العائلة².

- دويرية أهل العبد :

تعتبر دويرية³ أهل العبد من بين المساكن القديمة التي تجسد لنا جلياً فن العمارة الحكيمية بحاضرتها تندوف، بحيث تقع هذه الدويرية بالقرب من زاوية بلعمش في حي الرماضين، وما يميز هذه الدويرية هندسياً؛ أنها محاطة بأسوار سميكّة مبنية بأسلوب تقني يعتمد على الطوب، كما تدعم هذه الدويرية بأربعة أبراج مراقبة، حيث تعتبر دليلاً على حاجة أصحابها للتحصين والحماية، بالإضافة إلى البعد الفني، والجمالي لهذه الأبراج في هذه المباني .

وبالنظر للتخطيط الهندسي لدويرية أهل العبد المسعودي الحكيم؛ نبدأ من المدخل الرئيسي الذي هو عبارة عن باب من الخشب الصلب يتوسط الجدار الأمامي للمسكن يبلغ عرضه 1.02 متر، وارتفاعه 1.90 متر، وبعد المدخل تستقبلك سقيفة البيت والتي تضم على

¹ - عبد الحق معزوز: المرجع السابق، ص64.

² - المرجع نفسه، ص 66-67.

³ - هو الاسم المحلي الذي يطلق على دار أهل العبد الأثرية في تندوف.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

اليسار أدراج توصلك إلى الطابق العلوي للدويرية، ومنه إلى الأبراج العلوية، يتراوح عرض سقيفة دويرية أهل العبد بين 1.20 متر عند المدخل، و 02 متر عند نهاية الانكسار، وبعد السقيفة نجد الصحن أو فناء المنزل وتحيط بصحن المنزل الغرف¹ .

- الزخرفة المعمارية بتندوف :

إنفردت العمارة الإسلامية بخصائص معينة في بعض عناصرها الأساسية، والتي جعلت منها طرازاً متميزاً عن غيره. وقد ازدهرت الزخارف المعمارية في العصور الإسلامية ، وعلى سبيل المثال نجد أن العناصر الزخرفية في العمارة الصحراوية الجكنية التندوفية قد تميّزت بالطابع الجمالي ، ومما زادها جمالا العناصر الزخرفية المستمدة من العناصر النباتية والهندسية، وعلى الرغم من بساطة الفن المعماري الجكني التندوفي، إلا أن الناظر أو الدارس يندهش مُعجبا ببراعة الفنان الجكني بتندوف. وبهذا الفن المعماري الصحراوي الذي امتدت خصوصيته من التأثيرات الآتية من الأقاليم الشمالية لبلاد المغرب، ومن حواضر الأزواد وغرب إفريقيا² .

كما يتميز الفن الزخرفي المعماري الجكني بتندوف عموماً بتنوع عناصره الفنية وثرائه الفني والجمالي، فقد وظف الفنان الجكني إلى جانب العناصر الزخرفية النباتية الكثير من العناصر الهندسية، وهي الأكثر استعمالاً في الزخرفة المعمارية، والتي حلّى وزين بها واجهات الأبراج على وجه الخصوص.

أما الزخرفة النباتية؛ فهي قليلة جداً بحيث لا ترقى إلى مستوى عناصر الزخرفة الأخرى من حيث الثراء والكم، وحتى الأطلال مازالت تحتفظ في معالمها المتبقية بالكثير من الأسرار الجمالية متمثلة في جمالية أقواسها، وأعمدتها، وفي جمالية زخرفتها التي لم يبق منها للأسف إلا

¹ - بريك الله حبيب: خزانتى أهل العبد وأهل بلعش بمدينة تندوف أنموذجاً، المرجع السابق، ص 139-140. ينظر:

ملحق الصور، الصورة رقم 2، 3.

² - عبد الحق معزوز: المرجع السابق، ص 149-151.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

قليلا من آثار ألوانها التي كانت تزين مسطحات الواجهات الخارجية للبيوت بداخل الصحن، كاللون الأزرق والأحمر، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في زاوية ومسجد العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش، ودويرية أهل العبد، وكذلك دار السنهوري، وقصبة الديباني، وقصر الكنتي؛ وهو ما يعكس مدى رقي وتطور الفن المعماري الجكني¹.

ويُلاحظ أيضا أن عمارة تجكانت تتميز بالأقواس الملونة للغرف، وبالأسقف العالية التي يستعمل فيها عيدان شجرة الدفلة وتوضع شكل معينات هندسية متشابكة ومتسلسلة متعددة الألوان تعطي منظرا غاية في الجمال والإبداع الفني للسقف².

من خلال ما سبق، يمكن اعتبار حاضرة تندوف الجكنية، مدرسة لنموذج الفن المعماري الصحراوي في الجنوب الجزائري، يختلف عن سائر المدن الصحراوية الأخرى، رغم وجود بعض أوجه التشابه في التخطيط العام، وعناصر الزخرفة الإسلامية، وما تنفرد به عمارة تجكانت في تندوف؛ هو خصائص بناء الأبراج، وتنوع العناصر الزخرفية، ونمط استعمالها في قالب فني مميز للمدينة³.

- الفن المعماري لحاضرة تُقبة الجكنية:

تقع حاضرة تقبة الجكنية في موقع حصين على سفح مرتفع طارق الشريف قرب مجرى ينحدر من المرتفعات المجاورة له، ويمكن مشاهدة حوالي مائتي مسكن مكون من غرفتين إلى أربع غرف، ويلاحظ ثبات الشكل الهندسي للدور في حاضرة تكبه على شكل مستطيل، وأما من ناحية التخطيط العمراني، فإنها تكون مترابطة وتفصلها أزقة ضيقة، ومادة البناء من الحجارة الصغيرة المنحوتة والمعدة مسبقا للبناء، والمُعَدَّة مسبقا للبناء؛ حيث تبني وترص بواسطة عجينة

¹ - المرجع نفسه، ص 149-151.

² - Resson Capitaine: Op. cit, P321

ينظر: ملحق الصور، الصورة رقم 5.

³ - عبد الحق معزوز: المرجع السابق، ص 149-151.

-الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها .

تشبه الطين من الكلس مقاومةً للماء¹.

وحاضرة تقبه اليوم عبارة عن أطلال مهجورة بها بقايا جدران ما تزال قائمة، تشبه زخرفتها في الواجهات، زخرفة حاضرة تيشيت مما يؤكد أن سكان تيشيت (ماسنه)، هم أحفاد مؤسسَي مدينة تقبة، وما زاد من ضرر الآثار التاريخية لحاضرة تقبة التاريخية؛ ما نجم من عبث بأطلالها من طرف البدو الذين ينتشونها بحثًا عن الأشياء، والدفائن النفيسة².

- الفن المعماري لموقع أقلاب تجكانت:

يقع أقلاب³ تجكانت بمنطقة تريس الزمور على بعد بضعة كيلومترات من مدينة بير أم قرين الموريتانية، حيث يعتبر هذا الموقع الأثري من المواقع الأثرية الجكنية التي يعود تاريخها إلى عصر دولة المرابطين، ويشتهر باسم أقلاب تجكانت، وهو موقع يحوي العديد من البيوت، والأماكن التي كانت تستقر فيها قبيلة تجكانت في الفترة السابقة التي تعود إلى دولة المرابطين، ولكن للأسف لم يبق منها إلا أعمدتها التي بقيت صامدة، لأنها منحوتة من الصخر الصلب فتراها واقفة وكأنها أعمدة الرومان، وقد تزامنت قرية أقلاب تجكانت مع فترة ازدهار حاضرة تينيقي الجكنية الشهيرة، التي خطفت الأضواء عن هذا الموقع بسبب الازدهار الثقافي والاقتصادي لتينيقي في تلك الفترة، والواقف على هذا التراث الحضاري لتجكانت يلاحظ أنه يتعرض للعبث بسبب قربه من مدينة بئر أم قرين؛ الأمر الذي شجّع سكانها على نقل حجارة آثار أبنية بقلابت الأثرية واستعمالها في بناء مدينة أم قرين⁴.

¹ - أزيد بيه بن محمد محمود: تكبه حاضرة اركيز الشرقي، مقال بمجلة الوسيط، العدد 05، المجلة العلمية للمعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1994م، ص24.

² - المرجع نفسه، ص26.

³ - تنطق القاف في كلمة أقلاب ككافا معقودة كالجيم المصرية.

⁴ - البو بن عبيد الأشغفي الجكني: آثار بقلابت، مقال أفادي به الدكتور السلام بن ديد عبود الساكن بالمملكة العربية السعودية عبر وسيلة التواصل واتساب، أخذته عنه يوم 12 ديسمبر 2020م.

- خلاصة الفصل:

ومما تقدم يمكن القول، بأن المؤرخين والنسابة قد اختلفوا حول تحديد أصول قبيلة تجكانت، وقد عرضنا مجموعة من أقوال المؤرخين في ذلك؛ كابن خلدون، وابن عبد البر، وابن حزم الأندلسي، والطبري، وابن خلكان، وابن عذارى المراكشي، والناصرى . فإذا كان تحديد بعض المعالم الحضارية للفترات السابقة مهما جدا، فإن تحديد الأصول البعيدة أكثر منه أهمية. فقبيلة تجكانت الصنهاجية لها فروعها المنتشرة في حواضر الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، فمن هذه الحواضر من أسستها كتينيقي وتندوف، ومنها من وفدت إليها بعد خراب حاضرتهم تينيقي، حيث كانت تعرف نشاطا وازدهارا ثقافيا واجتماعيا، كشنقيط، وولاته، وودان، وتيشيت وتنبكتو.

ومن خلال تناولنا للفن المعماري عند تجكانت في حاضرة تندوف، تبين لنا بأنها مازالت تحتفظ إلى اليوم بمعالم بارزة للعمارة الصحراوية الجكنية بتيندوف، إلى جانب العديد من الموروثات الثقافية، منها ماهو مدون في المخطوطات، ومنها ما هو شفهي متداول كموروث شعبي، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الموالي من هذه الدراسة.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

- المبحث الأول: علماء تجكانت؛ الإسهامات العلمية والتصوف

أ- التعريف بأعلام تجكانت

ب- رحلات علماء تجكانت إلى الحج

ج- حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية عند تجكانت

- المبحث الثاني: التعليم المحضري في حواضر تجكانت.

أ- تعريف المحاضرة وخصائصها

ب- المواد المدرّسة في المحاضرة في مختلف الفنون العلمية

- خلاصة الفصل

- تمهيد:

ساعدت البنية الاجتماعية لقبيلة تجكانت على وجود بيئة ثقافية ساهمت في إثراء الحركة الثقافية من التعليم ومراحله ومن التأثير اللغوي وانعكاسه على النشاط الثقافي بوجود عدد من الشخصيات التي أدت دوراً بارزاً في روافد الثقافة في منطقة الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، وساهمت في إثراء الحياة الثقافية بإنتاجهم العلمي.

وقد برزت الحياة الثقافية على يد ثلثة من العلماء والفقهاء تركوا وراءهم عدّة مؤلفات علمية. كما ارتبطت الحياة العلمية والثقافية بركائز جوهرية كان لها الأثر البارز في تفعيل النشاط العلمي بالمنطقة مجال الدراسة، والمتمثل أساساً في الزاوية باعتبارها مركز إشعاع حضاري؛ وكانت الزوايا بحق رافداً علمياً وفكرياً في المنطقة ، وتمثل دورها في المحافظة على الدين وتعاليمه، وذلك بالتركيز على تعليم القرآن الكريم ، والاهتمام بالعلوم الدينية واللغوية.

-المبحث الأول: إسهامات علماء تجكانت العلمية والتصوف.

(أ) التعريف بأعلام تجكانت:

- سيدي الأمين بن الحبيب الجكني:

كان شيخاً عالماً فقيهاً قارئاً للقرآن بالقراءات السبع، التي أخذها عن الشيخ سيدي أحمد البشير وأجازها. توفي رحمه الله سنة 1108هـ/1696م¹.

- الطالب الحبيب بن أيد الأمين الجكني:

أخذ عن والده الفقيه أيد الأمين بن باب وعن العلامة سيد المحجوب كما أخذ عن مُجَّد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي ، تصدر للتدريس والإفتاء ، وكان رحمه فقيهاً مجتهداً، أثنى عليه الشريف حمى الله في نوازله وقال أنه من أعيان علماء أهل البادية عاش حياته خلال

¹ - مُجَّد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاقي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: مُجَّد إبراهيم الكتاني ومُجَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1981م، ص69.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

القرن 12هـ/18م، ومن تأليفه رسالة في أن شرط النكاح يبطله النشوز، وأجوبة على نحو عشرين مسألة سأله عنها بعض معاصريه، وفتوى في المدارات وتعيينها على أهل البلاد السائبة¹.

– سيد المختار بن الطالب علي بن الشواف الجكني:

كان رحمه الله عارفا بكتاب الله وبأصول الدين، قارئا محققا، كانت له محاضرة علمية يدرس فيها رسالة أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل، والميارة، والأجرومية، والملحة، وألفية ابن مالك في النحو، وكان شاعرا أديبا، تعلم عن شيخه الفقيه المسموي، وبه نظم يسمى: تسهيل حفظ الحذف، وقد اعتمده المشايخ في الحواضر العلمية الصحراوية، وأغناهم عن غيره، توفي 1195هـ/1781م².

– العلامة المختار بن سعيد المعروف بابن بونا الجكني:

هو المختار بن سعيد بن المستحي من الله بن زلماط، ولد سنة 1080هـ/1669م بتكانت إحدى حواضر شنقيط الشهيرة، كان رحمه الله عارفا بأصول الدين، نحويا، لغويا، منطقيًا، مدرسا لعلوم العربية، أديبا فائقا في الشعر، كثير الإنكار على البدع والخرافات، صاحب المؤلفات الكثيرة في مختلف العلوم الشرعية واللغوية منها: وسيلة السعادة في علم التوحيد، والجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة، مبلغ المأمول في قواعد الأصول، تحفة المحقق في حل مشكلات المنطق، وتبصرة الأذهان في نكت البديع والمعاني والبيان في علوم البلاغة، ومقدمة في النحو للمبتدئين، وسلم الطالبين إلى قواعد النحويين في علوم النحو والصرف، ودرر الأصول في علم الأصول، نظم جمع الجوامع لابن السبكي في الأصول.

¹ – يحيى بن مُجَّد بن أحمدمو: معجم المؤلفين في ولايتي لعصابة وتكانت، أطروحة شهادة المتريز في العلوم الشرعية، إشراف مُجَّد الأمين بن أحمد طالب، المعهد العالي للدراسة والبحوث الإسلامية، موريتانيا، 2004-2005م، ص 23.

² – مُجَّد بن أبي بكر الصديق البرتلي: المصدر السابق، ص 136.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

ونظرا لباعه الطويل في العلم وصيته الجليل، فقد تداول الطلاب كتبه، ونشرها طلابه كمناهج تعليمية في المحاضر العلمية الجكنية وغيرها، فانتفع الناس بعلمه، وجعل الله القبول لتأليفه، فأقبل الناس عليها، قال عنه تلميذه حرمة بن عبد الجليل العلوي:

فأنت أبو عذر العويص الذي بنى نباكل فهم دونه وتلثما
فمن سهل التسهيل تعد صعوبة ومن حصّ التلخيص درا منظما
وأغنى عن الشيخ السنوسي منطقا وعلم كلام من يريد تكلما

وبذلك يعتبر المختر ابن بونا أشهر علماء تجكانت، واشتهرت محضرته العلمية؛ بتدريس النحو والمنطق، توفي رحمه الله بتكانت 1220هـ / 1805م¹

- يحظيه ولد عبد الودود الجكني:

هو يحظيه بن عبد الودود الجكني نسبا القناني وطنا، ولد سنة 1265هـ/1849م، فهو عالم جليل أسس محضرته العلمية، التي اشتهرت بكثرة طلبتها، واشتهرت أيضا بتدريس النحو حتى لقب الشيخ بسيبويه عصره، كما عُرفت مدرسته العلمية بكثرة النظم التعليمي، توفي رحمه الله 1258هـ/1842م، وترك فتاوى فقهية وعدة متون تعليمية متنوعة في علوم الشريعة الإسلامية².

- عبد الله بن الشيخ محمد الأمين الجكني:

ولد ونشأ بحاضرة تجكجة قرب تيشيت سنة 1197هـ/1783م، وهو عالم ومؤلف ونحوي وفقه متصوف، كان شيخ مدرسة قرآنية عامرة، تتلمذ عليه العديد من الطلبة من

¹ - محمد عبد الله بن المصطفى: من أبرز علماء شنقيط التعريف ب: 212 عالما، وزارة الثقافة، مديرية الثقافة والفنون، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، 2013م، ج1، ص9-10. ينظر: محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي: المصدر السابق، ص 141-142.

² - محمد عبد الله بن المصطفى: المرجع السابق، ص27.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

مختلف الحواضر الصحراوية، له العديد من المؤلفات التي تتميز بالدقة والاختصار، وانتفاع العامة بها، حيث اشتهر تدريسها في المحاضر التعليمية منها: المحتوى الجامع على رسم الصحابة وضبط التابع، نظم الفرق بين الصاد والسين والطاء والتاء في علوم القرآن، وشرح ابن عاشر في الفقه، وكتاب حد الحسام في التصوف¹.

- العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش:

هو الشيخ العلامة أبو عبد الله سيدي مُجَّد المختار بن مُجَّد الملقب بابن الأعمش بن محمّ بن أحمد بن اعرم بن أبي بكر الجكني الموساني، من أسرة علمية اشتهرت بعلمائها ومحاضرها العلمية بتندوف، وأرض السوس، وبلاد شنقيط². ولد عام 1204هـ/1789م، كان عالماً، جليلاً، متضلعا في العلوم الشرعية، واللغوية، والقراءات القرآنية، كان تعلمه على يد والده بلعمش وغيره من علماء شمامة وزمور، ثم نزل بالشيخ سيدي مُجَّد ابن الشيخ سيدي المختار الكنتي فلازمه، ونهل منه حتى أصبح عالماً متبحراً³.

وقد وكل إليه الشيخ سيدي المختار الكنتي نسخ الكتب، فقد كان عنده خط جميل ومتميز، وبعدها ذهب إلى أخواله وأبناء قبيلته تجكانت بزمور؛ رحب به شيخ القبيلة الديباني وأكرمه، وقدمه يُصلي بالناس ويعلمهم؛ لما وجدته فيه من علم غزير وتقوى، وزوجه بنته بالتتابع. ويرجع له الفضل في بناء مدينة تندوف الحالية فكان أول من بنى فيها المسجد العتيق في تندوف سنة 1270هـ/1854م، وشارك في بنائه الجميع، وبعدها شرعوا في بناء الدور والزاوية.

وكان العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش يدرس القرآن، والحديث، والفقه، والنحو، وغير ذلك من العلوم الشرعية، وقد قصده العلامة الشهير في الشرق مُجَّد محمود التركي، وبقي مدة كبيرة

¹ - المرجع نفسه، ص 59.

² - مُجَّد المختار السوسي: سوس العالمة: مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب الأقصى 1380هـ/1960م، ص 144.

³ - المرجع نفسه، ص 144.

يدرس الصحيح البخاري ثم رجع إلى المشرق، كما وفد إلى مدرسة الشيخ مُجَّد المختار بن بلعمش؛ الشيخ ماء العينين، فصلى في المسجد ما شاء الله، وأخذ فنونا من العلم، والتصوف على الطريقة القادرية، وكذلك مرّ بتندوف العلامة مُجَّد يحيى الولاقي في رحلته إلى الحج، حيث زار مدرسة العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش، وكانت له عدّة حوارات فقهية مع العلامة أحمد يكن ابن مُجَّد المختار بن بلعمش¹.

وقد تطرق أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاقي(ت.1330هـ/1917م) لبعض خصال العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش في كتابه منح الرب الغفور عند ذكره لوقائع عام 1287هـ/1870م، حين قال: " وفيه توفي العالم الفقيه مُجَّد المختار ابن الأعمش الجكني. وكان رحمه الله تعالى فاضلا نجيبا رئيسا نبيلاً نبيها وجيها كبير الشأن رفيع الدرجة عالي المهمة حسن الخلق والخلق فقيها نحويا لغويا"².

وقد ذكر الكثير من خصاله الحميدة موضحا مكانته العلمية، وأضاف كذلك أنه لم تشغله السياسة والرئاسة عن القراءة والعبادة³، فكان رجلا صالحا، وعالما فاضلا، محبا لآل بيت رسول الله ﷺ، توفي رحمه الله 1287هـ/1870م بتندوف⁴، وترك مؤلفات عديدة في فنون علمية مختلفة خاصة العلوم الشرعية واللغوية، فقد ترك بصمته العلمية من ناحية التدريس والتأليف.

¹ - مُجَّد المختار السوسي: المعسول، مطبعة النجاح الدار البيضاء، المغرب الأقصى 1381هـ/1962م، ج18، ص 159

² - أبو بكر بن أحمد المصطفى: منح الرب الغفور في ما أهمله فتح الشكور، تح. مُجَّد الأمين بن حمادي، منشورات ENS، فرنسا، 2011م، ص206.

³ - المصدر نفسه، ص207.

⁴ - مُجَّد المختار السوسي: المعسول، المرجع السابق، ج18، ص 159. ينظر: ملحق صور المخطوطات، الوثيقة رقم 7.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

- مؤلفات العلامة مُحَمَّد المختار بن بلعمش وتلاميذه:
 - شفاء الصدور في فتح مسألتي المشكور، مخطوط بخط يده ألفه سنة 1263هـ / 1846م؛
 - نصيحة قضاة البرية في تحريم الرشوة والهدية، مخطوط بخط يده انتهى من تأليفه في رجب 1242هـ / 1826م؛
 - معرفة المباني لصحة المعاني والإعانة للمقصر العاني، مخطوط بخط يده انتهى من تأليفه 07 ذي القعدة 1272هـ / 10 جويلية 1856م¹؛
 - عجالة البركة في النفقة وزيادتها في البائس والصدقة، مخطوط بخط يده ألفه سنة 1279هـ / 1862م؛
 - التعليق اللطيف والتصنيف الظريف على أسماء الله الحسنى، مخطوط بخط يده ؛
 - مؤلف في علم النباتات، مخطوط بخط يده فرغ من تأليفه سنة 1242هـ / 1826م؛
 - مقابلة وطرر على القاموس المحيط للفيروزآبادي، مخطوط بخط يده فرغ من تأليفه سنة 1264هـ / 1847م؛
 - كتابة بعض الفوائد والشروح على نسخة صحيح الإمام البخاري ؛
 - مقابلة وتحقيق نص درس السماع في علم الحديث، مخطوط بخط يده؛
 - نصيحة ذوي الرسوخ، مخطوط بخط يده؛
 - مؤلف في رسم المصحف، مخطوط بخط يده²
-
- ¹ - ينظر: ملحق صور المخطوطات، الوثيقة رقم 1.
- ² - عبد الله حمادي الإدريسي: المناقب الأعمشية الجكنية في حاضرتها التندوفية الصحراوية، دار الكتاب الملكي، الجزائر، ط1، 2013م، ص140-150.

- تلاميذه:

تتلمذ على العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش أبناؤه وأحفاده وكثير من تجكانت بتندوف، بالإضافة إلى العديد من الطلبة والمريدين؛ بعضهم ينتمي إلى حاضرة تندوف، والبعض الآخر إلى أروان وشنقيط، وولاته، والنعمة، والسامرة، وتبكتو، وحاضرة وادي نون، فقد ذاع اسم طلبته في شمال إفريقيا، وفي الأزهر، بل وصل حتى إلى الأستانة عاصمة الخلافة العثمانية؛ وهذا يعود إلى تبحر طلابه في مختلف العلوم اللغوية والشرعية، نذكر منهم: الشيخ العلامة ماء العينين، ومُجَّد محمود بن التلاميذ التركي¹ الذي زار العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش بتندوف ولازمه قرابة السنة من 1863 إلى 1864م، وتوفي رحمه الله بمصر سنة 1322هـ/1904م²، وكذلك مُجَّد فال بن أحمد جد بن مُجَّد بن حبيب الله اليعقوبي الجكني الذي نسخ القاموس المحيط للفيروزآبادي سنة 1264هـ/1848م، إضافة إلى الشيخ ابن بعز الأرواني، والشيخ العربي بن مُجَّد القلوي الذي له تأليف بخزانة آل بلعمش بعنوان لفظ الصبر في جميع القرآن، ومن

¹ - هو مُجَّد محمود بن أحمد الملقب بالتلاميذ، لأن محضرته العلمية كانت عامرة بطلبة العلم، ولد بأفطوط بشنقيط سنة 1232هـ/1816م، كان رحمه الله علامة شهير خاصة في اللغة العربية، أخذ العلم عن أحمد بن أحمد بن الهادي اللمتوني ودرس في محظرة أهل أبيات ثم أخذ عن العلامة أجدود بن أكتوشن العلوي ولازمه، رحل إلى المشرق ومر بحاضرة تندوف فأخذ العلم عن العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش، ثم استقر بالمشرق وتحوّل بين الحجاز ومصر والشام وتركيا وحصل مكتبة نفيسة اشتملت على نواذر مخطوطات اللغة العربية والنحو، توفي 1323هـ/1905م. ومن تأليفه: إحقاق الحق في تعقب شرح عكاشة اليماني على لامية العرب، طهارة العلم رد به على بعض علماء الحجاز، تصحيح أغلاط القاموس المحيط للفيروز آبادي، هوامش على لسان العرب لابن منظور، تعليق على كتاب الخصائص لابن جني، هوامش على الحق المبين، عروس الطروس تعليق على شرح المفصل لابن يعيش، تصحيح كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، فهرس أشهر المخطوطات العربية في مكتبات إسبانيا، الدرر على صرف عمر، عذب المنهل في تراجم أصحاب المعلقات، الحماسية السنية الكاملة المزينة في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية. ينظر: يحيى بن مُجَّد بن احریمو: معجم المؤلفين في ولايتي لعصابة وتكانت، أطروحة شهادة المتريز في العلوم الشرعية، إشراف مُجَّد الأمين بن أحمد طالب، المعهد العالي للدراسة والبحوث الإسلامية، موريتانيا، 2004-2005م، ص 82.

² - أحمد بن الأمين الشنقيطي: المرجع السابق، ص 374.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

جملة طلبته أيضا الحسن بن علي بن مُجَّد السجرادي، وعبد الرحمان بن الأمين التقاطي، وعلي بن ناصر بن مُجَّد التركي، ومُجَّد بن البار الموساني الجكني، والشريف مولاي علي بن التهامي، وأبو شعيب بن الجلالي الدعوي البيضاوي، وشاعر من تجكانت وصف نفسه بالديمص في إحدى قصائده¹.

ومن طلبته أيضا الشريف اعزیز بن اعلي سالم بن عثمان بن مُجَّد بن الطالب عثمان الذي عرّف بنسبه في أحد تقايدته الفقهية، وذكر أن أصوله من حاضرة توات بتديكلت بأقبلي، واشتهر بنسخ الكتب وتقييد الفوائد الفقهية من المجالس العلمية للشيخ العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش².

– العالم القاضي أحمد يكن³:

هو أحمد يكن بن مُجَّد المختار بن بلعمش، ولد 1260هـ/1844م بتندوف ونشأ بها، وأخذ العلم عن والده العلامة مُجَّد المختار، وكان له تواصل علمي مع العلماء الذين وفدوا إلى تندوف مثل العلامة مُجَّد محمود التركي، والعلامة مُجَّد يحيى الولاوي⁴.

كان العلامة أحمد يكن بن مُجَّد المختار بن بلعمش، عالما، فقيها، ضليعا في علوم اللغة العربية وآدابها⁵، وكان عالما في الفرائض، والتاريخ، والتفسير والحديث والسير النبوية، قائما على ساق الجد فكان يدرس ويفتي ويقضي، وينسخ الكتب، فقد أحيا الله به العدل في منطقة تندوف، فقد كان عالم تندوف ومنارتها، حيث كانت الاستفتاءات والأسئلة العلمية كثيرا ما ترد إليه من حواضر مختلفة، وقد قال عنه مختار السوسي: "أنه كان ذاكرا كثير الأوراد، متحريرا

¹ – عبد الله حمادي الإدريسي: المناقب الأعمشية الجكنية في حاضرتها التندوفية الصحراوية، المرجع السابق، ص 150.

² – اعزیز بن اعلي سالم بن عثمان: تقييد بعض الفوائد الفقهية على العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش، تقييد مخطوط بخزانة أهل العبد بتندوف، الجزائر، الورقة 1و.

³ – الكاف في يكن تنطق كافا معقوفة مثل الجيم المصرية.

⁴ – مُجَّد المختار السوسي: المعسول، المرجع السابق، ج 18، ص 161.

⁵ – للاطلاع على نماذج من قصائد أحمد يكن الشعرية ينظر: ملحق القصائد الشعرية، القصيدة 1، 2، 3، 4.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

الحلال في قوته ومعيشتته، وقد جمع الله له المحبة في القلوب وزرع له الاحترام والهيبة بين الخلق¹.
توفي رحمه الله سنة 1318هـ/1900م بتندوف ودفن بها، وأولاده: منتلا، مُجَّد المختار، مُجَّد الصغير، ومن مؤلفاته: طرة على موطأ مالك، وبعض الفتاوى، والقصائد الشعرية، التي تحتفظ بها خزانة آل بلعمش بتندوف.

– مُجَّد المولود بن مُجَّد المختار بن بلعمش: أكبر أبناء العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش، كان رحمه الله، عالماً، عارفاً بكتاب الله، وكان شغله تلاوة القرآن، توفي رحمه الله في أوائل القرن 14هـ/نهاية القرن 19م.

– مُجَّد الأمين: هو مُجَّد الأمين بن مُجَّد المختار بن بلعمش، عالم جليل كبير القدر، وله رسائل في الحض على صون النساء، لم نعثر له على تاريخ وفاته بشكل دقيق، لكنه عاش خلال القرن 13هـ/19م.

– عبد الله بن مُجَّد المختار بن بلعمش: كان له رسوخ في العلم، حفظ القرآن، ومختصر خليل في الفقه المالكي، وكان قاضياً بين الناس بتندوف، توفي رحمه الله 1326هـ/1908م.
– مُجَّد أحمد بن مُجَّد المختار: هو مُجَّد أحمد بن مُجَّد المختار بن بلعمش، أخذ العلم عن والده، وصار ضليعاً في علم الفقه والنحو، إضافة إلى انه شاعراً، مجيداً، وله قصيدة جميلة في النصح والدعوة إلى تقوى الله:

عَلَيْكَ يَا بَابَ اللَّهِ يُقْضَى لَكَ الْأَرْبُ وَلَا تَذْكُرَنَّ غَيْرًا فَذَاكَ هُوَ الْحُجْبُ
فَإِنَّ شَمْسَ الذِّكْرِ يُشْرِقُ نَوْرَهَا عَلَى السَّرِّ إِشْرَاقًا يُضِيءُ لَهُ الْقَلْبُ
تَوَاضَعُ تَنَلٌ بِالذُّلِّ مَرْتَبَةَ الْعُلَا وَتَابِعَ طَرِيقَ الْمُصْطَفَى يُعْفَرُ الدَّنْبُ

توفي رحمه الله في بداية القرن الـ 20م².

¹ – مُجَّد المختار السوسي: المعسول، المرجع السابق، ج18، ص 165.

² – المرجع نفسه، ص 161.

- مُحَمَّد فَال بن أحمد جدو:

هو العالم الأديب مُحَمَّد فَال بن أحمد جدو بن مُحَمَّد بن حبيب الله اليعقوبي الجكني الشنقيطي، أخذ العلم من شيخه العلامة مُحَمَّد المختار بن بلعمش بتندوف؛ حتى أتقن مختلف العلوم الشرعية واللغوية، كما أخذ عنه الطريقة القادرية في التصوف، وبقي ملازماً لشيخه في محضرته، واشتهر بنسخ الكتب، فقد نسخ عدة مخطوطات بخزانة بن بلعمش، منها:

مخطوط ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، ومخطوط قصيدة في الجهاد في 108 بيتاً، ومخطوط قبول الأعمال لأحمد بن مبارك السجلماسي، ومخطوط إزالة اللبس في المسائل الخمسة لأحمد بن مبارك السجلماسي، ومخطوط القاموس المحيط للفيروز آبادي يقول في آخره: " نجز بحمد الله على يد متممه لشيخه وأخيه في الله سيدنا مُحَمَّد المختار بن الشيخ ألفغ بالعمش والمتمم مُحَمَّد فَال ابن أحمد جدو بن مُحَمَّد حبيب الله غفر الله لهم ولجميع الأشياخ والأحبة والمسلمين بجاه سيدنا ومولانا ونبينا وحبينا وشفيعنا وبشيرنا وقرارنا وقره أعيننا ووسيلتنا إلى ربنا سيدنا مُحَمَّد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم والسلام من الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ولقد من الله تعالى بإتمامه الخميس الأحد عشر من ليلة خلت من شعبان عام 1264هـ"¹

وقد كتب وثيقة معاهدة سلم وصلاح بين قبيلتي تجكانت والرقبيات بتاريخ 10 صفر 1281هـ/14 جويليه 1864م، وهو ما يدل على المكانة والثقة التي كان يحظى بها عند القبائل الصحراوية، وقد كتب في نهايتها: "...وبه كتب بأمر كل الفريقين، لعشر خلون من صفر عام 1281هـ مُحَمَّد فَال بن أحمد جد اليعقوبي أصلاً الجكني وطناً، لطف الله به وبالمسلمين. وقولي للجماعة أعني بها الشيخ مُحَمَّد فَإن من غدر يعطي الشيخ مُحَمَّد ستة فناطير، ولذلك ضربت على لفظ الجماعة، ككرر اسمه مُحَمَّد فَال"². ولم تسعفنا المصادر التي إطلعنا عليها في معرفة تاريخ وفاته، لكن من خلال الوثائق التي نسخها، يتضح أن حياته استمرت إلى نهاية القرن 19 م.

¹ - مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مخطوط بخزانة مُحَمَّد المختار بن بلعمش، تيندوف، الجزائر، الورقة الأخيرة/ ظ

² - مُحَمَّد فَال بن أحمد جدو: معاهدة سلم وصلاح بين تجكانت والرقبيات، وثيقة مخطوطة بخزانة مُحَمَّد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر، الورقة 1و. ينظر: ملحق صور المخطوطات، الوثيقة رقم 3.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

- البكاي بن بوفلج الجكني: كان رحمه الله عالما فقيها بمنطقة التكرور، توفي رحمه الله يوم 21 ربيع الأول 1317هـ/1899م¹.

- أفلواط بن مُجَّد الجكني: هو أفلواط بن مُجَّد المختار بن احمدن أجفغ الجكني، ولد سنة 1209هـ/1794م بأرض شنقيط، وهو عالم جليل وقاض عادل، وشاعر نحرير، وفقهه ومؤلف، تولى القضاء حوالي 70 سنة، توفي رحمة 1329هـ/1911م، له قصيدة مشهورة نظم بها تنقيح الفصول في علم الأصول للقرافي يقول في أولها:

أَصْبَحَ الْعِلْمُ فَاقَدَ الطَّلَابِ تَرَكْتُهُ الشُّيُوحُ بَلَّهُ الشَّبَابُ
غَيْرَ زَهْطٍ مِنَ الْمَشَائِخِ مُزْرٍ قَدْ تَوَلَّوْا وَأَذْنُوْا بِذَهَابِ
حَبْنًا هُمْ مِنْ ظَاعِنٍ لِأَيْمَنِ مِنْ سَاقَهُمْ مِنَ النَّوَى بِالْإِيَابِ
ذَلِكَ عِلْمُ الْأُصُولِ أَشْرَفُ فَنِ ذُو الْعِبَارَاتِ وَالْمَعَانِي الْعِدَابِ².

- مُجَّد الحسن الملقب بيدر ولد الإمام الجكني:

ولد سنة 1292هـ/1875م بمنطقة كلاكة بشنقيط، عالم جليل وتقي ورع، أخذ العلم النافع عن مُجَّد ولد البنباري، والشيخ مُجَّد العاقب بن مايبي (ت. 1327هـ/1909م)، ومُجَّد الأمين ولد أحمد زيدان (ت. 1335هـ/1917م)، والشيخ آب ولد لخطور (ت. 1393هـ/1973م)، وغيرهم حتى أصبح ضليعا متمكنا في العلوم الشرعية واللغوية، تتلمذ عليه عديد الطلبة، توفي رحمه الله بالنيجر سنة 1373هـ/1954م، وترك عدة مؤلفات من بينها: العروة الوثقى في تفسير القرآن، تأليف في غريب القرآن، وكتاب عجالة التجويد، نظم ألقاب الحديث، نظم نوازل عlish، نظم في تحريم الشاي، شرح على نظمه في الصرف³.

¹ - مُجَّد سعيد القشاطر: أعلام من الصحراء، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1997، ص 49.

² - مُجَّد عبد الله بن المصطف: المرجع السابق، ص 75-76.

³ - المرجع نفسه، ص 98.

- مُجَّد الأمين بن أحمد زيدان الجكني:

هو مُجَّد الأمين بن أحمد زيدان الجكني، ولد عام 1229هـ/1814م، بمنطقة لعصابة من أسرة ذات مجد وسؤدد وعلم وصلاح، وعز ومهابة، بدأ دراسته على والدته فاطمة سيد أحمد لحبيب التي أخذ منتهت مبادئ العلوم قبل أن يلتحق بخاله المختار ولد سيد احمد الحبيب، وأخذ العلم كذلك عن عمه عبد الرحمان بن المختار بن سيد الأمين، والعالم سيد أحمد باب بن مُجَّد الطالب عيسى، ثم أخذ عن العلامة سيدي مُجَّد بن علي بن المختار بن المحمود العلوشي الغلاوي، ولازمه حتى تخرج على يديه وبرع في جميع العلوم من فقه ونحو وتفسير وأصول وبيان . وبعد تزلعه في مختلف العلوم الشرعية جلس للتدريس حوالي سنة 1270هـ/1854م، وأقبل عليه طلبة العلم من كل حدب وصوب وكانت مدرسته أكبر مدرسة في عصره، وتولى القضاء بتنصيب من أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء، فكان قاضي القضاة في عصره وكان محل تقدير من أمراء القبائل ورؤسائها فكانوا يجلبونه ويعظمونه، ناظر مشاهير العلماء في عصره مثل مُجَّد يحيى الولاقي، وأحمد بن آبات، ومُجَّد البناني الغلاوي، ومُجَّد عبد الله بن الشيخ أحمد، ومُجَّد فاضل بن ماياي ومُجَّد الخضر وغيرهم¹.

أخذ عنه العلم كثير من العلماء منهم مُجَّد بن صالح، ومُجَّد كابر البصادي، وباب بن آد وأحمد بن مود، ومُجَّد المختار بن مُجَّد حبيب الله، وسيد المختار بن أحمد بن الهادي، والمصطفى بن حمادي، ومُجَّد بن فتى العلوي وسيدي بن المختار أم بن العاقل الديماني، والبشير بن القاسم، ومُجَّد المهدي بن سيدي، وسيدي بن القاسم البومالكيون وغيرهم، له تأليف كثيرة؛ من أبرزها:

- العقيدة:

- الرجز المفيد في تفسير غريب القرآن نظم في نحو سبعة آلاف بيت ؛

- نظم في آداب التلاوة ؛

- شرح على نظمه المذكور؛

- حافظة الإيمان منظومة فيما يخرج من الإسلام.

- الفقه والنوازل:

- نصيحة الضعفاء وإرشاد الأقوياء وهو شرح على مختصر خليل؛

¹ - يحيى بن مُجَّد بن احریمو: المرجع السابق، ص 58-59.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

- جواب على نحو أربعين مسألة سأله عنها بعض معاصريه ؛
- رسالة في جواز بيع رقاب الحبس للضرورة ؛
- رسالة في جواز بت قسمة رقاب الحبس؛
- رسالة في مسألة راجع الوقف المشهورة التي تنازع فيها حرمة بن عبد الجليل ومحنض؛
- رسالة في حكم الجهاز إذا حصل موت أو فراق قبل إخراجة ؛
- رسالة في جبر الثيب إذا خيف عليها الفساد؛
- رسالة في منع إقامة الحد في البلاد السائبة؛
- رسالة في منع الحج لأهل شنقيط في عهد السببية ؛
- رسالة في قصر مسافر أهل البادية ؛
- نظم في بيع الغائب ؛
- نظم في مايجوز للقاضي الانتفاع به ؛
- نظم في زكاة الفطر؛
- شرح على نظمه في زكاة الفطر؛
- شرح على لامية الرقاق في القضاء؛
- شرح المنهج في القواعد؛
- شرح تكميل المنهج للميارة؛
- رسالة في عدم ربوية الملح المعد للتجارة¹
- أصول الفقه:
- شرح على إضاءة الدجنة للمقري ؛
- شرح على مراقبي السعود.
- علوم اللغة العربية :
- شرح على تبصرة الأذهان في علم البيان لابن بونا ؛
- شرح على نور الآقاح في البلاغة لسيدى عبد الله ؛
- شرح على ألفية ابن مالك واحمرار ابن بون في النحو؛

¹ - المرجع نفسه، ص 58-59.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

- شرح على معلقة امرئ القيس .

- المنطق:

- شرح على تحفة المحقق في علم المنطق لابن بونا؛

- شرح السلم في المنطق للأخضري .

- التصوف:

- الوظيفة في الأذكار المأثورة ؛

- النصيحة الصغرى في التصوف ؛

- المرشدة منظومة في التصوف ؛

- شرح المرشدة ؛

- مرغب العباد في شرح أسماء الله الحسنی؛

- شرح مرغب العباد؛

- الشاهدة¹.

- ابن عبد الجكني:

عالم، وفقهه، وأديب، أخذ العلم عن العلامة المختار ابن بونا، قال فيه أحمد بن الأمين الشنقيطي صاحب كتاب (الوسيط) أنه كان مشتهراً في قومه، كانت حياته خلال القرن 13هـ/19م، له أبيات يحذر فيها من شرب الماء من المناهل الصحراوية، دون التأكد من نفعها؛ لأنها أهلكت كثيراً من شاربها:

مَنْ كَانَ ذَا إِبْلِ يَرَعَى مَصَالِحًا فليكنْ ذَا حَذِرٍ يَاقُومُ مِنْ زَارِ

لَا خَيْرَ فِي مَنْهَلٍ تَلْقَى بِسَاحَتِهِ كَوَاهِلِ الْعُوذِ أَشْفَاعًا وَأُوتَارًا

لَكِنْ بِهِ صَالِحٌ حَقًّا زيارته تحطُّ عن حامِلِ الأوزارِ أوزارًا.

¹ - نفسه، ص 58-59.

- ابن مقامي الجكني:

أخذ العلم عن العلامة ابن بونا الجكني، وهو شاعر فصيح كان ينافح عن شيخه، ويدافع عن قبيلته، عاش خلال القرن 13هـ/19م، وله قصيدة يرد بها على قصيدة المأمون اليعقوبي يقول في مطلعها:

مِنَ المَأْمُونِ يَحْتَمِلُ العِتَابَا وَتَحْتَمِلُ القَطِيعَةَ لا السَّبَابَا¹

- العلامة المختار بن أبيه الجكني الموساني:

هو المختار بن مُجَّد بن المختار بن أحمد جكن بن ألفغ محم بن جب الموساني الجكني، أخذ علم الأصول، والمنطق عن محض باب بن اعبيد الديماني، وأخذ علم النحو عن العالم المختار بن حبيب الرمضاني عن المختار بن بونا، ومن أخذ عنهم علم السلوك محمد فال بن متالي، ترك رحمه الله تلاميذ كُثُر، وعلماء في فنون شرعية مختلفة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: مُجَّد ابن إبراهيم المنصور (ت. 1338هـ/1920م)، مُجَّد فال بن باب بن أحمد بيت العلوي، وهو نحوي جليل اشتهر بالتدريس في منطقة القبلة².

- العلامة مُجَّد الأغظف بن أحمد الوسري :

هو مُجَّد الأغظف بن أحمد مولود الوسري الحوضي أصلا ، المراكشي دارا ومدفنا، أخذ العلم عن العلامة يحيى الولاقي، حتى أصبح عالما فقيها، واشتهر كذلك في علوم اللغة العربية والأدب. توفي رحمه بمراكش في شوال عام 1337هـ/1919م، ودفن بمقبرة الإمام السهلي، ومن آثاره العلمية شرح نظم مغني اللبيب³.

¹ - أحمد بن الأمين الشنقيطي : المصدر السابق ، ص285.

² - مُجَّد المختار ولد أباه: تاريخ النحو المشرق والغرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط2، 2008م، 505.

³ - العباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام، تح:عبد الوهاب بن منصور، المملكة المغربية، ط2، 1997م، ج7، ص 218-219.

- العالَمات والصالحات الجكّيات:

يُوجد من نساء تجكانت العالَمات الفقيهات الحافظات لكتاب الله، المتصلّعات في علوم اللغة العربية، واشتهرن كذلك بمحاضرن العلمية في حواضر تجكانت خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي 13هـ/19م، نجد منهن: سلمى بنت بات الجكّية ، وفاطمة بنت بونا أخت العلامة الشهير المختار ولد بونا، وفاطمة السالمة بنت مُحمّد ولد الشيخ، ومريم بنت سيدي مُحمّد ولد أشفاغ مصطفى، ومحفوظة بنت حبيب الله ولد أشفاغ، وكذلك مريم بنت سيدي المختار اليعقوبية الجكّية، صاحبة المدرسة العلمية ، والخطاطة الشهيرة حيث يوجد بخط يدها مخطوط شيم الزوايا لمحمد اليدالي¹ في المعهد الموريتاني للبحث العلمي²، وممن استطعنا أن نجمع ترجمة لهن نجد:

¹ - العلامة مُحمّد اليدالي : هو مُحمّد بن المختار بن مُحمّد سعيد بن المختار من قبيلة إدوداي، ولد سنة 1096هـ/ 1685م بمنطقة الترازة ، بعد حرب شُربيه الشهيرة بعشر سنوات تلك الحرب التي اصطلح بناها المغافرة من بني حسان وبعض زوايا تلك المنطقة، خاصة قبيلة اليدالي، وفي هذه الظروف الصعبة نشأ اليدالي وفتح عينيه على هذا الواقع وتأثر به أيما تأثر ، ظهر ذلك في مؤلفاته، تلقى العلامة اليدالي مبادئ تعليمه الأولى في بيت أهله وقرأ القرآن على شيخه أشفاغ أبي مُحمّد عبد الله بن عمر التونكلي، وأخذ عن أشياخ آخرين من أبرزهم: مينحن بن مود بن مالك، وأحمد بن أشفاق المختار بابو، والمختار بن الفاغ موسى، وبعد ذلك أصبح اليدالي فقيها لغويا مفسرا يشار إليه بالبنان ويجمع عليه طلبة العلم من مختلف الحواضر والبلدان، وكان كذلك صوفيا على الطريقة الشاذلية. وقد أخذها عن شيخه: مختار بن المصطفى اليدالي ويقال إن هذا الشيخ هو أول من أدخل الشاذلية إلى منطقة القبلة، توفي اليدالي رحمه الله سنة 1166هـ/1753م، وله تأليف كثيرة في موضوعات متعددة، تدل على مكانته العلمية، منها: الذهب الإبريز في كتاب الله العزيز، خاتمة التصوف وشرحها، شيم الزوايا، فوائد الفوائد، كتاب في العقائد، النصيحة لأبناء عمومته، الصوارم الهندوانية في رد شبه الجيم السودانية، حلة السير في أنساب خير الوري، رسالة اللفعة، أمر الولي ناصر الدين، المرئي على شرح صلاة ربي. ينظر : مُحمّد بن سيدي مُحمّد مولاي: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، ط1، دار يوسف ابن تشفين، موريتانيا، 2008م، ص 230-240.

² - سيد أحمد ولد معلوم ولد أحمد زروق: المرجع السابق، ص36-42.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

- أم الخيرات بنت أحمد بن المختار الجكنية: هي عالمة جكنية مؤلفة، عاشت حياتها الطيبة خلال القرن 13هـ/19م، درست في محاضر عشيرتها، حيث كانت تحفظ القرآن الكريم، والكثير من المتون، واشتهرت رحمها الله بتدريس السيرة النبوية، ومعرفتها الدقيقة بها، كما كان لها إلمام كبير بالفقه ومسائله، وبالعلوم العقلية . من تأليفها نظم معجزات النبي ﷺ في ألف وسبعمائة بيت، ونظم كتاب الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى ﷺ، ولها أنظام تعليمية أخرى في الفقه وغيره¹.

- خديجة بنت سيد ألمين الجكنية: كانت رحمها الله حافظة لكتاب الله عاملة به، عندها إلمام كبير بالعلوم الشرعية واللغوية ، أم الشيخ العالم عبد الله ولد سيد محمود توفيق، توفيت 1229هـ/1814م².

- خديجة بنت أمان الجكنية: ولدت ونشأت في مقاطعة باريكول الشنقيطية خلال القرن 13هـ/19م.

- عائشة بنت أحمد يعقوب: من أهل برك الله عالمة جلييلة وشاعرة مجيدة لها ديوان من الشعر توفيت رحمها الله 1232هـ/1817م³.

- خديجة بنت الخرش ولد عبد الله الحاجية الجكنية: عابدة زاهدة حافظة لكتاب الله عاشت حياتها خلال ق 13هـ/19م.

- خيرة بنت السالك ولد بي الجكنية: من أهل العلم والصلاح خلال القرن 13هـ/19م.

- خديجة بنت محمد ولد الحاج المختار الجكنية:صالحة مشهورة بشنقيط خلال القرن 13هـ/
19م

¹ - محمد عبد الله بن المصطفى: المرجع السابق، ص 51.

² - سيد أحمد ولد معلوم ولد أحمد زروق: مشاهير العالمات والصالحات الموريتانيات، منشورات وزارة الثقافة والشباب والرياضة ، موريتانيا، 2014م، ص 12.

³ - المرجع نفسه، ص 13-14.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

– مريم بنت البخاري الجكنية: من أهل برك الله ، كانت رحمها الله عالمة، وشاعرة مجيدة، ونحوية ضليعة، لها عدة قصائد في مدح الرسول ﷺ، خلال القرن 13هـ/19م¹.

– خديجة السالمة بنت سيدي عبد الله الجكنية: عالمة فقيهة، ضليعة في النحو والبلاغة، ناظمة للعديد من القصائد التعليمية، كانت لها محاضرة علمية بنواحي تلميت بشنقيط ، تخرج منها عديد الطلبة، عاشت حياتها الطيبة خلال القرن 13هـ/19م.

– زينب بنت أدو الجكنية: عالمة زاهدة اشتهرت بمحضرتها العلمية العامرة خلال القرن 13هـ/19م².

ب – رحلات علماء تجكانت إلى الحج:

لاشك أن الرحلة في طلب العلم أمر معهود في حياة العلماء، والأمر كذلك بالنسبة للحج، فالعالم لا بد له من إتمام أركان الإسلام بالحج إلى بيت الله الحرام طاعة الله، وامتنالاً لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واقتداء لمن يكون بعده من تلامذة وأولاد وآخرين من عامة الناس.

– مفهوم الرحلة في اللغة والاصطلاح:

الرحلة في اللغة العربية من المصدر رَحَلَ ؛ الذي له عدّة اشتقاقات؛ تعني السير والانتقال من مكان إلى آخر، وعند ابن منظور يقال: رَحَلَ الرجلُ، إذا سار وترك مكانه، والرحلة من رحل يرحل رحلا ورحيلاً، وقوم رُحَل؛ أي يرتحلون كثيراً، وهو ما يطلق على البدو الذين يكثرون الترحال³.

¹ – نفسه، ص 21-29 .

² – سيد أحمد ولد معلوم ولد أحمد زروق: المرجع نفسه، ص 36.

³ – جمال الدين مُجَد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج 11 ، ص 286 – 287.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

أما في الاصطلاح؛ فهي تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين، سواء كان مادياً أو معنوياً¹.

وكان علماء بلاد المغرب يقومون بالرحلة الحجية (الحجازية)، من أجل تأدية الركن الخامس من أركان الإسلام (الحج)، وهي أيضاً وسيلة لطلب العلم والاستزادة من المعرفة وتبليغها، وذلك بسبب ورودهم على عدّة حواضر علمية بين بلاد المغرب والحجاز، وما يكون فيها من تواصل ثقافي، وأغلب أصحاب الرحلات كانوا يدونون رحلاتهم بتفاصيلها؛ بحيث تجد فيها وصفاً للطرق والمسالك، والحواضر، والواقع الاقتصادي والاجتماعي، والثقافي والسياسي².

فالرحلة أضاءت جوانب من تاريخهم لم تكن معروفة إلا من خلالها، وبهذا تشكل مصدراً مهماً للمؤرخ يستحق الدراسة والتحقيق.

والرحلات المدونة ذات علاقة مباشرة بالأدب، لأن الأسلوب الذي استخدم في صياغتها ارتفع إلى عالم الأدب إذ أن أبرز ما يميزها أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق، والأسلوب السهل المؤدي للغرض³.

وقد تميّز سكان الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا برحلاتهم الحجية الطويلة، التي اشتهرت منها رحلات تجمكانت، فقد كان لهم شوق لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم رغم من بعد المسافة، وصعوبة المسالك ومخاطر السفر المتعددة التي تشمل قطاع

¹ - عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، 1996م، ص 15.

² - صالح بوسليم ومحمد الزين: ملامح من الحياة العامة بالجزائر في بعض كتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني، في مجلة الحوار المتوسطي، مج 6، ع 2، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر 2015م، ص 77-93.

³ - عواطف بنت محمد يوسف نواب: كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11 و12هـ، دار الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1429هـ/2007م، ص 18.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

الطرق والأوبئة والأمراض، والظروف الطبيعية القاسية، إضافة إلى طول المدة التي يقضونها في رحلتهم إلى الحجاز، والتي تزيد عن السنتين، فكانوا لا يتأخرون عن الالتحاق بركب الحج عندما تتاح لهم فرصة الزاد والراحلة¹.

وغالبا ما يشاركون حجاج شنقيط في الركب السنوي الذي كانت له أماكن محددة؛ ينطلق منها ليتجه نحو المغرب الأقصى شمالا، وهناك من يتجه نحو توات ليلتقي الجميع في طرابلس بليبيا، ويتحكم في اختيار أحد الطريقتين عدّة عوامل، أهمها الأمن، والمناخ الملائم للسفر وغيرها، ومن بين علماء تجكانت الذين كانت لهم رحلات حجازية، نذكر نماذج منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- رحلة سيدي المحجوب بن حبيب الجكني:

هو سيدي المحجوب بن عبد الله بن القاضي مُحمَّد الجكني، ولد بقرية تينقي الحاضرة الجكنية المشهورة، ثم رحل إلى المشرق للحج وطلب العلم، حيث أخذ العلم عن علماء مكة، والمدينة، وبيت المقدس، وعلماء مصر والمغرب، حتى أصبح عالما متمكنا، اعتنى بتدريس القرآن، وتخرج على يديه كثير من الطلبة، وأثنى عليه علماء عصره، كالعلامة سيدي عبد الله بن محم (ت.1144هـ/1731م)، والعلامة مُحمَّد اليدالي (ت. 1166هـ/1753م)، وغيرهما بأنه فقيه نحوي قارئ محقق، ومدقق، توفي سيدي المحجوب بن حبيب الجكني سنة 1102هـ/1691م، من مؤلفاته رحمه الله كتاب شجرات الذهب في الفقه والعقائد والأدب، وعدة نوازل وفتاوى وقصائد شعرية².

¹ - أحمد بوسعيد: ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830)؛ دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية بأدرار، السنة الجامعية 2017-2018م، ص 70-72.

² - المرجع نفسه، ص 43.

- رحلة الشيخ سيدي الأمين بن حبيب الجكني:

هو الأمين بن حبيب الله ابن ابانا أحمد بن الحبيب بن إبراهيم بن مُجَّد الجكني، عاش حياته خلال القرن 12هـ/18م، كان رحمه الله عالما جليلا، وقارئا بالقراءات السبع، وهو أول من أدخلها إلى منطقة تكانت بأرض شنقيط، وقد اشتهر كذلك بالأدب والشعر، وكانت له عدة رحلات في طلب العلم؛ أولها إلى أروان، والثانية لأداء فريضة الحج، والثالثة إلى العلامة المشهور المصطفى بن عثمان المعروف بالطالب مصطفى (ت. 1139هـ/1726)، وبعدها استقر بتكانت لنشر العلم، فمن أهم طلبته اعييد بن مُجَّد عبد الله الديباني الذي أجازته في القراءات سنة 1172هـ/1758م، ومن طلبته أيضا المتميزين علميا عبد الله بن المرابط سيدي محمود حفيده، كما كان الشيخ سيدي الأمين قاضيا.

وترك عدّة آثار علمية، منها نوازل فقهية، وفتاوى، وامتون في فنون علمية شرعية مختلفة، كما له ديوان من ثمان وعشرين قصيدة في مختلف الأغراض الأدبية¹.

- رحلة ابن الأعمش الكبير:

رحل العلامة سيدي مُجَّد ابن الأعمش الجكني صاحب المؤلفات الكثيرة إلى الحج، وخلال رحلته زار عديد البلدان المشرقية، ثم نزل بمراكش، سنة 1196هـ/1782م، بعد رحلته الحجية الطويلة؛ التي بدأها من بلاد بنتيل في 27 جمادى الأول 1188هـ/1744م، وهي رحلة استغرقت ثمان سنوات، وثلاثة أشهر، وتسعة أيام، استفاد فيها وأفاد، وعند عودته مر بتندوف عند تجكانت، وفيها تزوج ورزق الولد الذي رجع معه إلى شمامة، توفي ابن الأعمش رحمه الله 1260هـ/1844م.

¹ - مُجَّد عبد الله بن المصطفى: المرجع السابق، ص 47.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

خلف العديد من الآثار شملت بعض المؤلفات: فتاوى في نقض حكم أصدره العلامة سيدي المختار الكنتي كتبها سنة 1206هـ/1791م، وفتاوى في العاقلة، وعلى من تحب عليه الدية في أقلها وما يتعلق ذلك من أحكام، وفتاوى أخذ المعلم الأجرة لتعليم الصبيان القرآن، شرح المقدمة في التوحيد للعلامة يوسف السنوسي كتبها ابن الأعمش 1209هـ/1794م، ومخطوط العصمة من الخطأ، والاختلاف فيما ينفع من مسائل الاستخلاف¹، بالإضافة إلى فتاوى عديدة مخطوطة عند القاضي محمد بن سعيد الفرمي الجوراري².

– رحلة العلامة محمد الخضر بن مايبي:

هو العلامة الفقيه المحدث محمد الخضر بن الشيخ سيدي عبد الله بن مايبي الجكني، ولد سنة 1295هـ/1868م بإقليم تكانت بحاضرة تقبة، وفيها أخذ مبادئ العلوم عن والده، وعن محمد بن الهادي وأخيه سيد المختار، وتعلم كذلك في محاضرة أهل الطالب ابراهيم، ثم انتقل إلى محاضرة أهل محمد سالم في الشمال فأخذ عن العلماء أحمد وعبد القادر وعبد الله أبناء محمد بن محمد سالم المجلسي³.

وبعد تضرعه في مختلف العلوم تولى القضاء في قبيلة أبناء أبي السباع وفي حلة الأمير بكار بن اسويد أحمد، ومع دخول الاستعمار الفرنسي لأرض شنقيط خرج مهاجرا إلى المغرب، وأقام هناك نحو خمس سنوات مع السلطان العالم مولاي عبد الحفيظ، ثم واصل رحلته إلى المشرق قاصدا الحرمين الشريفين، فأدى فريضة الحج، واستقر في المدينة المنورة التي تولى بها منصب مفتي المالكية⁴.

¹ – حفاوي باعلي: الرحلات الحجازية المغاربية، المغاربة الأعلام بالبلد الحرام دراسة نقدية، دار البيزوري العلمية للنشر، عنابة، الجزائر، 2016م، ص 201. ينظر: محمد ابن الأعمش: الرحلة الحجبية، مخطوط بخزانة العلامة محمد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر، الورقة 1و.

² – محمد المختار السوسي: المعسول، المرجع السابق، ج18، ص158.

³ – زكي محمد مجاهد: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، دار الطباعة المصرية الحديثة، مصر 1950م، ج2، ص 159.

⁴ – المرجع نفسه، ص 159.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

بعدها انتقل إلى الأردن فعُين فيها قاضي القضاة، وله أيضا رحلات متعددة إلى تركيا والعراق والهند وبلاد القوقاز وباكستان وإيران وترك في هذه الأمصار تلاميذ كثيرين منهم؛ مُحَمَّد زاهد الكوثري، والشيخ إبراهيم القطان، وفهم صوفان القدومي من الأردن، وأحمد مظهر العظمة، ومُحَمَّد بهجة البيطار، ومسلم الغنيمي من سوريا، وعبد السلام حافظ، ومُحَمَّد حسن الكشاط من السعودية، وأحمد بن عبد العزيز المبارك، ومُحَمَّد بن أحمد بن حسن الخزرجي من الغمارات، ومُحَمَّد بن أحمد بن دلموك من البحرين، ومُحَمَّد الأمين بن الواقف التركي، وأحمد بن أحمد بن سيد أمين الشقروي وغيرهم¹.

وقد كان إماما كبيرا في العلم والفهم، والتقوى، ومما اشتهر من الكتب التي حفظها بالإضافة إلى القرآن الكريم؛ شروح مختصر خليل في الفقه المالكي، صحيح البخاري وشرحه وفتح الباري، وروح المعاني للآلوسي، والقاموس المحيط للفيروز أبادي. توفي رحمه الله تعالى سنة 1354هـ/ 1935م بالمدينة المنورة، ودفن بالبقيع، وترك عدّة مؤلفات في فنون علمية مختلفة أهمّها:

- في العقيدة: له كتاب استحالة المعية بالذات وما يضاهاها من متشابه الصفات، وكتاب السيف والموسى في ذب البهتان عن عيسى.

- في علم الحديث: كتاب الفتوحات الربانية رسالة في جواز التوسل بالأنبياء والصالحين وجواز السفر لزيارة النبي ﷺ، وكتاب كوثر المعاني والدراري على صحيح البخاري وأنجز منه 14 مجلدا ولم يكمل.

- في أصول الفقه: المعاني السواطع على الجواهر اللوامع وهو شرح على نظم جمع الجوامع للسلطان عبد الحفيظ

¹ - المرجع نفسه، ص159. ينظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 2002م، ج6، ص113.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

- في الفقه: إيضاح مختصر خليل بمذاهب الأربعة وأصح الدليل، وكتاب إبرام النقض لما قيل في أرجحية القبض، ولزوم الطلاق بالثلاث دفعة بما لا يمكن للعالم دفعه. كما له عدة فتاوى ورسائل فقهية منها: الرسالة الحاوية لأحكام الخلافة والفئة الباغية، رسالة في وجوب الهجرة من البلاد المحتلة، رسالة في وصل الشعر، رسالة في إكراهية النشوز، رسالة في زكاة العروض والعملات العصرية.

العوامل الشرطية في زكاة العملات العصرية .

- في التصوف: كتاب مشتهى الخارف الجاني للرد على التجاني، وكتاب تصوف أهل الفوز والنجاح والرد على متصوفة الرقص والصياح، ومؤلف سلم الأرواح والأشباح إلى نيل السعادة والفلاح، إضافة إلى رسالة في الرد على أباطيل الجمعية الدرقية التجانية.

- في الشعر: له ديوان شعر في مختلف الأغراض الشعرية¹.

- رحلة مُجَّد حبيب الله بن مايبي الجكني:

اشتهر والده بلقب بمايبي؛ أي ما يأبى العطاء لأنه كان كريماً سخياً لا يرد سائلاً، وكان العلامة مُجَّد حبيب الله بن مايبي الجكني أديباً، محدثاً، نحويًا، وشاعراً ضليعاً، ولد وتعلم بأرض شنقيط بتكانت سنة 1295هـ / 1878م، أخذ العلم عن ثلة من كبار علماء شنقيط في تلك الفترة مثل الشيخ أحمد بن أحمد بن الهادي الشنقيطي، وبعدها انتقل إلى فاس، ومراكش، وأخذ العلم كذلك عن الشيخ ماء العينين (ت. 1328هـ / 1910م) بحاضرة السمارة².

وفي سنة 1331هـ / 1913م، اصطحبه السلطان مولاي عبد الحفيظ ورافقه في رحلته الحجية، وعند رجوعه آثر البقاء في الديار الحجازية على العودة إلى المغرب مع السلطان،

¹ - يحيى بن مُجَّد احريمو: المرجع السابق، ص 72-73.

² - حمد عبد الله بن المصطفى: المرجع السابق، ص 28-29.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

فاستوطن مكة، وكانت له لقاءات علمية في رحلته الحجية، مع كثير من العلماء في فاس، ومراكش، ومصر، والقاهرة، ودمشق، والشام، حيث أجازته الكثير من العلماء ، واستقر مدرسا في كلية أصول الدين بالأزهر الشريف إلى أن توفي رحمه الله بمصر سنة 1363هـ/1944م، وترك عدّة ، نذكر منها:

- في العقيدة:

- أصح ما ورد في المهدي وعيسى.

- في علم الحديث¹:

- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، وشرحه المسمى بفتح المنعم في ستة مجلدات.

- دليل السالك إلى موطأ مالك.

- هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث.

- إكمال المنة.

- الخلاصة النافعة في الحديث المسلسل بالأولوية.

- فتح القدير المالك في شرح موطأ مالك.

- أربعون حديثا من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر.

- في الفقه:

- إضاءة الحال.

- شرح نظم حسين السرقى للمختصر.

¹ - المرجع نفسه، ص 28-29.

- في علوم اللغة العربية:

- شرح الكافية لابن مالك

- شرح سواطع الحسان في التصريف للشيخ سيدي مُحمَّد بن عبد الله

العلوي (ت1250هـ/1834م)

- منظومة في النحو في سبعمائة بيت.

- في التاريخ والسير:

- حياة علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه¹.

ج- حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية عند تجكانت:

التصوف لغة له عدّة اشتقاقات، منها أنه مشتق من صفاء القلوب². ويرى آخرون في اشتقاقه نسبة إلى أولئك الذين يجلسون في الصف الأول في المسجد أثناء الصلاة³. ويقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله: "هؤلاء الصوفية نسبوا إلى ظاهر اللباس وهي لباس الصوف، فقد قيل في أحدهم صوفي وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف، ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به ولكن أضيفوا إليه لأنهم يروه ظاهر الحال"⁴. وكلمة تصوف ورد ذكرها كثيرا في آداب الجاهلية، ويرجع معناها إلى الابتعاد عن زخرف الدنيا، ومن ذلك كان التصوف عنوانا للزهد والقناعة.

¹ - حفناوي بعلي: المرجع السابق، ص 208-209.

² - ابراهيم بسيوني: نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف، مصر، 1969م، ص 09.

³ - ساعد خميسي: أبحاث في الفلسفة الإسلامية، دار الهدى، الجزائر، 2002م، ص 22.

⁴ - ابن تيمية: موسوعة فقه السنة (فقه التصوف) ج 3، تهذيب و تعليق الشيخ زهير شقيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص 24.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

ويُعرّف التصوف في الاصطلاح أنه طريقة إسلامية شرعية لإصلاح القلوب وتزكية النفوس¹. ويقول في ذلك أبو العباس أحمد البرنسي: إن الأصل في التصوف هو مقام الإحسان الذي فسره رسول الله ﷺ؛ بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فالتصوف هو أحد أقسام الدين الذي علمه جبريل -عليه السلام- لرسول الله ﷺ وتوارثه الصحابة من بعده؛ وبهذا يأخذ مصطلح التصوف معنى العكوف على إتقان العبادة مع الإخلاص إلى الله تعالى وحده، والزهد في الدنيا².

وتتفق أغلب مصادر التصوف على أن التصوف هو التقرب إلى الله بعبادته والابتعاد على ملذات الدنيا، أو هو منهج سلوكي يعتمد على البعد عن المعاصي، والتحلي بالفضائل لتزكية النفس والارتقاء بالروح³.

والتصوف حسب ابن خلدون هو: "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"⁴. فالتصوف تخلية القلب عن غير الله تعالى و تحليته بذكر الله .

إن ما شوق الناس بالانتساب إلى الطرق الصوفية المعتدلة ، إنما هو التلقين الذي يقوم به الشيخ ثم أخذ العهد ومنح النيابة لكل مرید أو منتسب، وكان هدف مشايخ الصوفية إنقاذ قبائل الصحراء هناك من الضلالة والجهل، وتوجيههم إلى ما ينفع دنياهم وآخرتهم من طرق الاستقامة والتدين وبيان السبل التي تتبعها الدول الأوروبية سواء في الجزيرة العربية، أو إفريقيا؛

¹ - إبراهيم بسيوني: المرجع السابق، ص19.

² - يوسف بن يحيى بن عيسى: التشوف إلى رجال التصوف، مخطوط بالخزانة البكرية زاوية سيدي أحمد ديدي، تمنطيط، الجزائر، الورقة 01و.

³ - للتوسع يراجع كتاب: عبده غالب أحمد عيسى: مفهوم التصوف، دار الجيل بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

⁴ - عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار صادر، بيروت، ط2، 2005م، ص357.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

لاصطياد الغافل والبسيط من عامة الناس، لهذا قادت حركات إصلاحية وتصدت لمقاومة الاستعمار الأوروبي¹. ومن بين الطرق الصوفية التي انتهجتها تجكانت:

1- الطريقة القادرية :

تُنسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني(ت. 561هـ/1166م)² مؤسسها الأول، وتعد من أكثر الفرق الصوفية انتشاراً بالمغرب والصحراء، وانتشرت كذلك في غرب إفريقيا على أيدي مهاجرين من توات في القرن 9هـ/15م، واتخذوا من ولاته³ في شنقيط أول مركز لهم، ثم مدينة تنبكتو بعد ذلك. ولم يمضِ زمن طويل حتى كثر عدد دعاة القادرية من الفقهاء والعلماء ، بدءاً بالشيخ مُحمَّد بن عبد الكريم المغيلي، والشيخ سيدي عمر الكنتي الذي سار في نهج الطريقة القادرية، وبهذا أصبح اسم قبيلة كنته مرتبطاً بالطريقة القادرية أبا عن جد، فساهم في تجديد الطريقة القادرية الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير (ت.1226هـ/1821م) وابنه الشيخ أحمد البكاي⁴.

¹ – صالح بوسليم وميلود ميسوم: الحركة السنوسية وامتدادها عبر الصحراء الكبرى(دراسة تاريخية)، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، تصدر عن المركز الجامعي غرداية- الجزائر، العدد15، المطبعة العربية ، غرداية، 2011م، ص21.

² – عبد القادر الجيلاني : هو محي الدين أبو مُحمَّد عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى الحسيني الجيلاني؛ نسبة إلى بلدة جيلان ولد سنة 417 – 561 هـ./ 1079 – 1166 م ، نشأ وترعرع في عائلة متواضعة ومنذ صغره أيدى من الاستقامة في أخلاقه وتربيته جاء إلى بغداد عام 488هـ/ 1095 م ودرس مذهب الإمام أحمد بن حنبل لكنه ترك الانضمام إلى المدرسة النظامية التي كان يشرف عليها الشيخ أبي أحمد الغزالي بعد وفاة أخيه أبي حامد الغزالي، بقي عشرين سنة يتجول في بغداد اشتهر بورعه وعلمه، بنى مدرسة في بغداد عام 528 هـ /1135م والتي بدأ الناس يسرون على نهجه بعد وفاته . ينظر : عبد الرؤوف المناوي: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، تح: عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ج1، 1994م، ص 676 . ينظر أيضا: عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1988م، 109.

³ – توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن ، د.م.ن، القاهرة، 1957م ، ص 394 – 395.

⁴ – نعيم قداح : حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، المرجع السابق، ص 94 – 95.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

وربما لا نكون مغالين، إذا قلنا أن الطريقة القادرية في هذه المنطقة ارتبطت ارتباطاً عضوياً ووجودياً بالكنتين، فهم الذين حملوا العبء الأكبر في نشر تعاليمها وأورادها ومنهجها في التربية الروحية، والتعليم، حملوه في كافة أرجاء هذه الصحراء الكبرى وبلاد السودان الغربي¹. اتبع الجكنيون في تصوفهم الطريقة القادرية، وأبرز من انتسب إلى الطريقة القادرية، وعمل على نشرها في حاضرة تندوف؛ هو العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش، الذي أخذ الطريقة عن شيخه سيدي مُجَّد الخليفة الكنتي القادري، فقد كان للشيخ مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي، وأعلام قبيلة كنته الفضل في انتشار الطريقة القادرية في غرب الصحراء الكبرى وحواضرها، فالشيخ مُجَّد المختار بن بلعمش، يتصل سنده في التصوف إلى الشيخ مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي.

أخذ العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش طريقته الصوفية عن الشيخ سيدي مُجَّد الملقب بالخليفة ابن سيدي المختار الكبير بن أحمد بن أبي بكر بن مُجَّد حبيب الله بن الوافي بن سيد اعرم الشيخ بن سيدي احمد البكاي بن سيدي المُجَّد الكنتي. ولد سنة 1179هـ/ 1765م، في منطقة جنوب الصحراء، وقد خلف والده على زاويته العلمية، ومدرسته الصوفية بعد وفاته سنة 1226هـ/ 1811م. قال فيه الطالب أبو بكر المحجوبي الولاقي في كتابه (منح الرب الغفور) ما نصّه: "كان رحمه الله تعالى من أولياء الله تعالى العارفين، تقياً، عابداً، ورعاً، زهداً، عالماً، فقيهاً، جمع بين الشريعة والحقيقة، وكان صوفياً أديباً لبيباً، عاقلاً، فطناً، وكان يقوم الليل كله، ذا جدٍ واجتهاد ولزوم أذكار، أخذ العلم والأدب عن أبيه، وشيخه الشيخ سيدي المختار"². توفي

¹ – صالح بوسليم و مُجَّد الزين : حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية بإقليم توات وإفريقيا الغربية خلال القرنين 12-13هـ/ 18-19م، في مجلة الحوار المتوسطي، ع05، جامعة سيدي بلعباس، ص37.

² – أبو بكر بن أحمد المصطفى : المصدر السابق، ص 109.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

رحمه الله سنة 1242هـ/1826م¹، وترك عدّة تآليف، منها الروض الخصب شرح على نفع الطيب، وكتاب الطرائف والتلائد، وإرشاد السالك².

وأخذ الشيخ سيدي مُجَّد الكنتي الملقب بالخليفة عن والده سيد المختار(ت.1226هـ/1811م)، بن أحمد بن أبي بكر بن مُجَّد بن حبيب الله بن الوافي، عن شيخه سيدي علي بن النجيب(ت.1170هـ/1756م) بن مُجَّد بن مُجَّد بن شعيب الشريف التكروري، عن شيخه سيد الأمين ذي النقاب(ت.1116هـ/1704م) بن سيد أحمد بن سيدي مُجَّد الرقاد، عن شيخه سيد احمد الخليفة(ت.1092هـ/1681م) بن سيد اعمر بن سيد احمد بن سيدي مُجَّد الرقاد، عن شيخه سيد أحمد بن سيدي مُجَّد الرقاد(ت.1063هـ/1652م) ، وهو مؤسس زاوية كنته بتوات جنوب الجزائر³، عن شيخه وأبيه سيدي مُجَّد الرقاد(ت.994هـ/1585م)، عن شيخه وأبيه سيد احمد الفيوم (ت.950هـ/1543م)، عن شيخه وأبيه سيد اعمر الشيخ بن سيدي احمد البكاي؛ الذي صحب الشيخ مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي(ت. 909هـ/1503م)، حين لقيه بأرض التكرور، فلزمه لما وجد عنده من علم وصلاح، ورجع معه إلى توات ومكث معه هناك إلى أن توفي الشيخ مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي الذي أخذ عنه العلم والتصوف⁴.

وتذكر المصادر أنه غسّله وصلى عليه؛ تنفيذاً لوصية شيخه. توفي الشيخ سيد اعمر 960هـ/1553م، عن عمر يناهز 140 سنة، وضرّجه الشهير بأقا بإقليم سوس بالمغرب⁵.

¹ – عبد الله حمادي الإدريسي: المناقب والمآثر الأعمشية في حاضرتها التندوفية الصحراوية، المرجع السابق، ص 70.

² – أبو بكر بن أحمد المصطفى: المصدر السابق، ص 109.

³ – مُجَّد حوتية: توات والأزواد...، المرجع السابق، ج 1، ص 242.

⁴ – عبد الله حمادي الإدريسي: المناقب والمآثر الأعمشية في حاضرتها التندوفية الصحراوية، المرجع السابق، ص 77-79.

⁵ – المرجع نفسه، ص 79.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

وأخذ الشيخ سيد اعمر الكنتي الطريقة القادرية عن شيخه العلامة مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي (ت. 909هـ/1503م)، ويصل سند الشيخ المغيلي في الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، وقد ذكر هذا السند على طوله وتعدد مشايخه سيدي مُجَّد الخليفة الكنتي في مخطوطه الطرائف والتلائد¹. ومن أبرز علماء تجكانت القادرين كذلك، نجد:

- الشيخ مُجَّد العاقب بن مايبي :

هو مُجَّد العاقب بن سيدي عبد الله بن مايبي الجكني، ولد سنة 1272هـ/1856م بإقليم تكانت من بلاد شنقيط ، كان رحمه الله عالما ورعا، مؤلفا، أدبيا بارعا، حتى لقب بحريري زمانه، أخذ العلم عن والده، وأخذ الإجازة عن مُجَّد الأمين بن محمود، وتلمذ كذلك عن الفقيه أحمد بن أحمد الهادي، وأحمد بن أبات ومُجَّد بن مُجَّد سالم، والشيخ بن حامي². هاجر إلى المغرب، وأقام مدة مع العلامة الشيخ ماء العينين (ت1328هـ/1910م)، وأخذ عنه الطريقة الصوفية القادرية، وتأثر به كثيرا، تتلمذ على الشيخ مُجَّد العاقب عدة علماء، كإخوته مُجَّد الخضر (ت1354هـ/1935م)، ومُجَّد حبيب الله (ت1364هـ/1945م)، ومُجَّد تقي الله ، وأخذ عنه ماء العينين ابن العتيق علم أصول الفقه، وأجازه فيه، توفي العلامة مُجَّد العاقب يوم الأحد 18 رمضان 1327هـ/1909م بفاس³، وله مؤلفات كثيرة تفوق ثلاثين مؤلف، نذكر منها:

- في علوم القرآن:

- كشف العمى والرين عن مصحف ذي النورين؛

- رشف اللمى على كشف العمى ؛

¹ - مُجَّد الخليفة بن المختار الكنتي الكبير: الطرائف والتلائد، مخطوط بخرانة الشيخ مُجَّد باي بلعالم بأولف، أدرار- الجزائر، الورقة 12و.

² - يحيى بن مُجَّد بن احرهمو، المرجع السابق، ص75.

³ - مُجَّد عبد الله بن المصطف: المرجع السابق، ص 72-73.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

- تأليف في قراءة نافع ؛
- رغم الحفاظ المقصرين على المحتوى الجامع المعين في ردف ورش وقالون ؛
- نظم في منع القراءة بالهاء الخالصة ؛
- تعليق على نظمه في منع القراءة بالهاء.
- في أصول الفقه:
- نظم في الاجتهاد والأدلة الأصولية¹
- في الفقه:
- نشر الشرف الطرف في أحكام؛
- تعليق على نشر الطرف في أحكام الشرف؛
- نظم التزامات الخطاب ؛
- تعليق على نظم التزامات الخطاب ؛
- نظم في أحكام الجهاد والهجرة ؛
- نظم في القواعد الفقهية يتكون من ألفين بيت.
- السيف المنتضي في أحكام القضاء ؛
- كفاية السعيد في حكم السجود على غير الصعيد ؛
- هداية الحكام نظم في أحكام القضاء .
- في علوم اللغة العربية:

¹ - يحيى بن مُجَدِّد بن احرِمُو، المرجع السابق، ص 75-76 .

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

- نظم في إعراب الجمل ؛

- شرح على نظمه إعراب الجمل.

- في التاريخ والسير:

- مجمع البحرين في سيرة الشيخ ماء العينين .

- في الفتاوى والنوازل:

- نظم نوازل سيدي عبد الله ؛

- تعليق على نظمه لنوازل سيدي عبد الله .

- في التصوف:

- تأليف في فضائل الذكر¹.

2- الطريقة الشاذلية:

تُنسب إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي²، وتعتبر من أهم الطرق التي عرفت انتشارا في حواضر غرب إفريقيا، تفرعت منها عدّة طرق؛ أهمّها: الموساوية³، والطيبية⁴. ومن فروعها أيضا

¹ - المرجع نفسه، ص 75-76 .

² - أبو الحسن الشاذلي : هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار ، أخذ العلم على علما فاس منهم بفاس مُجّد بن حرزهم وعبد السلام بن مشيش، ثم توجه أرض المشرق ، وفي طريقه مر على قرية شاذلة بتونس وأقام بها مدة ومنها عرف بالشاذلي ، توفي رحمه الله 593 هـ / 1196 م . للمزيد ينظر : عبد القادر بن عبد الله التليدي : المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، الرباط، ط 4، 2003 م، ص 122 - 124.

³ - الموسوية : تنسب إلى مؤسسها أحمد بن موسى الكرزازي ؛ نسبة إلى منطقة كرزاز، من قصور وادي الساوره ، توفي 1103هـ/1604م للمزيد: ينظر : مُجّد حوتية : توات والأزواد ، المرجع السابق، ج1، ص 186.

⁴ - الطيبية : تنسب إلى الشيخ، الطيب بن مُجّد بن عبد الله الشريف الوزاني ، ولد عام 1005هـ / 1597م، بتازرون بالمغرب ثم انتقل إلى وزان التي توفي فيها ، أخذ عنه علماء كثيرون في توات منهم : مُجّد بن عمر المهداوي التمنطيبي . للمزيد ينظر : زهرة مسعودي: الطرق الصوفية في توات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18 م إلى القرن 20 م ، مذكرة ماجستير في التاريخ المغاربي عبر العصور ،كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية ، قسم التاريخ ، جامعة أدرار ، السنة الجامعية 2009 - 2010 م، ص 41-42.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

الرقانية؛ نسبة إلى الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني¹؛ حيث يذكر البرتلي في بداية ترجمته للشيخ مولاي عبد المالك الرقاني أنه شيخه في التصوف بقوله " هو شيخنا وسيدنا وبركتنا ووسيلتنا إلى مولانا..."².

وقد أخذ البرتلي الورد الشاذلي بواسطة تلميذ الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني ومبعوثه الشيخ مولاي زيدان بن سيدي محمد بن مولاي أحمد بن مولاي عبد الكريم بن سيدي حمو بن الحاج، فهو الذي أوصل ورد شيخه، الذي أرسله أربع مرات لحواضر بلاد التكرور؛ ولاته، وأروان، ووالن، وهو مساهم في انتشار الطريقة الشاذلية في تلك الحواضر³، واتباعها من طرف أبناء تجكانت بحكم تواجدهم واستقرارهم في حواضر غرب إفريقيا، ومن بينهم نجد:

– الشيخ العالم أحمدو ولد سليمان الديماني:

ولد سنة 1235هـ/1820م، وتعلم على يدي أبيه، ثم التحق بالشيخ سيدي لينهل من حضرته الصوفية، حيث درس العالم أحمدو ولد سليمان الديماني التصوف على شيخه سيدي وعند رجوعه إلى أهله في ديمان أنشد حزينا على مفارقة شيخه:

أَيَا مَنْ تَسَامَى بِالْمَهَابَةِ وَالْفَخْرِ وَمَنْ هُوَ لَدَى الظُّلْمَاءِ كَالْقَمْرِ الْبَدْرِ
فِيَا مَنْ مِنَ الْبَلْوَى وَمِنْ أَسْوَى الْبَلَا رَجُوعٌ إِلَى دِيْمَانَ مِنْ غَيْرِ مَا فِخْرٍ

فأجابه الشيخ سيدي الكبير(ت.1284هـ/1867م):

¹ – هو مولاي عبد المالك بن مولاي عبد الله الرقاني ، أحد أبرز أعلام الزاوية الرقانية بتوات، توفي 1207هـ/1792م. ينظر : أحمد أبا الصافي جعفري: أبحاث في التراث ، المرجع السابق ، ص 44 – 45. للمزيد حول الزاوية الرقانية ينظر: مولاي عبد الله سماعيللي: جهادية الزاوية الرقانية وتأثيرها بتوات، مقال بالندوة السنوية السابعة لجمعية سيدي مولاي سليمان بن علي 14 ماي 2012م، بقصر أولاد اوشن ، أدرار، مطبعة منصور، الوادي الجزائر، د.ت، ص 39-81.

² – محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولائي: المصدر السابق، ص 201.

³ – محمد رقاني: تاريخ ووقائع خزنة مولاي العباس الرقاني، مقال ضمن كتاب الندوة الأولى لأولاد السي حمو بلحاج أعلام وآثار، دار الكلمة للنشر والتوزيع، أدرار، الجزائر، 2016 م، ص 169.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

أحمدُ لا تجزَعُ فرُبُّكَ بالأمرِ وبالخلقِ مختصُّ وبالكرمِ الغمْرِ
لقد أعظمَ الحقُّ المهيمُ منَّةً عليك فقيدها لتزدادَ بالشكرِ

وعند رجوعه أنشأ محاضرة علمية صوفية في بودفي توفي سنة 1300هـ/1883م؛ وهو دفين بمنطقة تنخلف بأرض شنقيط. ترك الشيخ رحمه الله آثار علمية منها؛ مخطوط عبارة عن رسالة في أنساب بني حسان، وتأليف في الحساب، ومجموعة أراجيز فقهية، وأبرز آثاره العلمية ديوان شعري أغلبه في الزهد والتصوف¹.

- مَمُّ بن عبد الحميد الجكني:

هو أحمد محمود بن عبد الحميد الجكني المعروف بمَمُّ، ولد سنة 1312هـ/1894م، عالم نحوي درس عند شيخه عبد الله ابن حميني، ورافق الشيخ العالم يحظيه بن عبد الودود (ت. 1358هـ/1939م) عشرين سنة، وأخذ عنه الشاذلية، تميز رحمه الله بكثرة الأنظام، وجودة الشعر، توفي عام 1362هـ/1943م، وترك رحمه الله عدّة مؤلفات؛ منها: شرح النصف الأول من خليل، نظم العلماء الذين تصدروا يحظيه، نقائض مع أحمد بن عبد الله، ديوان شعر في مختلف الأغراض، وأنظام في مختلف المجالات².

3- الطريقة التجانية :

تعتبر الطريقة التجانية من أبرز الطرق الصوفية التي اتبعها الجكنيون، خاصة في حاضرتهم تندوف في منتصف القرن 19م، حيث كانت دويرة أهل العبد مركزا لمريدي الطريقة التجانية؛

¹ - ألف الشيخ أحمدو ولد سليمان الديباني رحمه الله تعالى نقلة موجزة كذلك في أنساب بني حسان. ومما ميز رسالة الشيخ أحمدو توسعه النسبي في أنساب المجموعة التروزية. وتوجد رسالة الشيخ أحمدو هذه منشورة ضمن ملاحق كتاب إسماعيل حماد:

-Hamet Ismaël, Chronique de la Mauritanie Sénégalaise, Ernest LEROUX, 1911.

² - مُجَّد عبد الله بن المصطفى: المرجع السابق، ص 93. للتوسع ينظر: مُجَّد المختار ولد اتاه: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2008م، ص 532-533.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

بحيث يجتمعون يتلون القرآن، ويقروون الأوراد اليومية للطريقة التجانية¹.

ومن الذين ساهموا في توطيد الطريقة التجانية في حاضرة تندوف، الشيخ أحمد بن محمد بن محمد الكاملي الدرعي، الذي أقام عشر سنوات في تندوف (1299-1309هـ/1881-1891م)، والذي يُعدّ شيخاً ومقدماً في الطريقة التجانية، وله عدة رحلات أبرزها رحلته إلى المشرق للحج، وله رحلات للسودان الغربي، حيث التقى بالشيخ الحاج عمر الفوتي التجاني، وكان رحمه عالماً فقيهاً، شاعراً، ومؤلفاً، توفي يوم 20 من شهر ذي الحجة عام 1315هـ/12ماي 1898م بمراكش². وتوجد رسالة مؤرخة في محرم 1316هـ/ماي 1898م أرسلت من مراكش إلى عبد الله بن محمد العبد بن محمد الحرطاني تنعي وفاة الشيخ الكاملي، وتخبّر تجكانت بتندوف عن وفاته³.

ومن أبرز تلاميذ المقدم التجاني الشيخ أحمد الكاملي، الشيخ الشاعر عمر بن العرب بن مولود بن محمد الحرطاني بن الطاهر بن أبي بكر الجكني الرمضاني، حيث تشبع وتلقى الطريقة التجانية، وكان مقدماً لها في قبيلته، وقد مدح شيخه كثيراً في ديوانه الشعري الذي سماه ديوان حسان⁴.

ومما يؤكّد تشبث الشيخ ولد العرب بالطريقة التجانية واتباعه لها، وحبّه لشيخه ما كتبه في مقدمة كتابه وديوانه الشعري الحساني، حيث يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً مبارك الابتداء والانتهاء، الحمد لله بجميع محامده... وبعد فأنا العبد الضعيف الراجي عفو مولاه المتمسك بجاه أستاذه مولاي أحمد بن سيدي محمد

¹ – بريك الله حبيب: العلاقات التجارية بين مدينة تندوف وإفريقيا الغربية من خلال وثائق أسرة أهل العبد، أطروحة

دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة الجزائر2، 2014-2015م، ص92.

² – عبد الله حمادي الإدريسي: تندوف وتجكانت تاريخاً ومناقب وبطولات، المرجع السابق، ج1، ص212.

³ – الرسالة مخطوطة في خزانة أهل العبد، بتندوف الجزائر، الورقة 1و.

⁴ – عبد الله حمادي الإدريسي: المرجع السابق، ج1، ص214-215.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

الكاملي وجاه أستاذه السيد مُحَمَّد بن قاسم وجاه أستاذه مولاي أحمد التجاني برحمتك التي وسعت كل شيء عمر بن العرب بن مولود بن مُحَمَّد الحُرطاني بن الطاهر بن بوبكر الجكني، الرمضي، المسعدي، التندفي، أراد أن يصنع كتابا على لسان أبناء جنسه ، وأني وردت منهاهلا فيه لم يردها احد منهم قبلي ... وسميته بديوان حسان وهو على أبواب... الباب الأول من الأبيات في مدح أستاذه مولاي أحمد بن سيدي مُحَمَّد الكاملي¹ .

ومن أتباع الطريقة التجانية من تجكانت، نذكر:

– الشيخ مُحَمَّد بن سيدي بن الطالب محم الجكني:

ولد سنة 1297هـ/ 1880م بشنقيط، عالم جليل، ومؤلف، وصاحب محاضرة علمية، وصوفي زاهد، أخذ عنه العلم ثلة من العلماء، مثل مُحَمَّد الأمين بن زيدان(ت.1335هـ/1917م)، وأحمد ولد مُحَمَّد عينين (ت.1322هـ/1910م)، جلس للتدريس والإفتاء، وهو في العشرين من عمره، وأتقن جلّ العلوم المعروفة في عصره، له رحلة علمية إلى منطقة القبلة بحثا عن ثمانين مسألة كانت قد أشكلت عليه، حيث لقي في رحلته هذه كثيرا من العلماء، فذاكرهم واستفاد منهم، مثل باب بن الشيخ سيديا (ت.1342هـ/1923م)، ومُحَمَّد بن أحمد بن بدي، والشيخ مُحَمَّد فال بن باب (ت.1349هـ/1930م)، وأخذ عنهما الطريقة التجانية ، اشتهر بالورع والاستقامة، والسعي في إصلاح ذات البين. توفي رحمه الله 1345هـ/1926م، وترك عدّة مؤلفات؛ منها: كتاب النصيحة الهادية في التصوف، ورسالة في جواز قسم الحبس للضرورة، ونظم آداب وشروط الورد التيجاني في التصوف ، والميزان القويم، إضافة إلى عدة فتاوى ونوازل مختلفة².

¹ – عمر بن العرب بن مولود: ديوان حسان ، مخطوط بخزانة أهل العبد بتندوف ، الجزائر، الورقة 1و

² – مُحَمَّد عبد الله بن المصطفى: المرجع السابق، ص 86-87.

– المبحث الثاني: التعليم المحضري في حواضر تجكانت.

أ – تعريف المحاضرة وخصائصها:

– تعريف المحاضرة: المحاضرة لغة: من الحضور أو من المحاضرة، وهي المكان الذي يحضر الطلبة ويجتمعون ليأخذوا العلم من شيوخهم، وتنطقها القبائل الصحراوية البيضانية بالطاء بدل الضاد فيقولون محطرة¹.

أما في الاصطلاح: فالمحاضرة هي بمثابة جامعة شعبية، بدوية متنقلة، فردية التعليم، طوعية الممارسة، تستقبل المحاضرة كل من يرد عليها، من جميع المستويات الثقافية، والفئات العمرية، والاجتماعية، تستقبل المبتدئ كما تستقبل العالم فتجدد له معارفه، وتوسعها وتعمقها، ويرتاها الطفل والشيخ والفقير والموسر، تبذل لكل طالب ما يريد من ضروب المعرفة حسب مستواه، وطاقة استيعابه، وهي لا تسد أبوابها، بل تستمر في العطاء على مدار السنين، فلا يوجد حد أدنى ولا حد أعلى للعدد الذي يقوم به نظام المحاضرة، وليس للطلبة سجل جامع يضبط أسماءهم، لكن هناك مؤشرات تستنتج منها أعداد الطلبة ولو نحو تقريبي، منها جدول استعمال الزمن عند شيخ المحاضرة، فكلما كثر عدد الطلبة؛ اضطر الشيخ لصرف وقت أطول في تعليمهم، ومنها كذلك عدد الأبقار والمواشي ونوبات رعاية الماشية، لأنه إضافة إلى الدراسة لا بد للطلاب أن يقوم ببعض الأعمال التي تعين المحاضرة والشيخ ومنها رعاية الماشية².

ونظام المحاضرة يكاد يكون دون نظير، لأنه استنبط من واقع الحياة البدوية، وهو بذلك يدل على أن استيطان المدن والاستقرار في المناطق الحضرية ليس شرطا في نمو المعارف وازدهار الحياة

¹ – للتوسع أكثر ينظر: الحسين حديدي: الحياة الفكرية والروحية بالمجال البيضاني خلال القرنين 18/19م، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2014م، ص 109. بن حامد، المختار: حياة موريتانيا، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1990م، ص 197 وما بعدها.

² – الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المرجع السابق، ص 53-54.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

الثقافية؛ فأصحاب المحاضر في البوادي استطاعوا أن يحققوا نهضة علمية ثقافية تحت الخيام وعلى ظهور الإبل، وأغلب المحاضر الصحراوية، خاصة الجكنية كانت متنقلة تمضي الشتاء في أرض والصيف في أرض أخرى، بل أن الطلبة وشيوخهم يجمعون بين متعة العلم والسياحة، فلا تشغلهم الدراسة عن انتجاع الكلاء، وتتبع مساقط الغيث، لتوفير أسباب الحياة في بيئة شحيحة الموارد، وقد افتخر بذلك العلامة الجكني ابن بونا(ت.1220هـ/1804م)، فقال:

ونحن ركب من الأشراف منتظمٌ أجلّ ذا العصرِ قَدراً دون أدنانا

قد اتخذنا ظهورَ العيسِ مدرسةً بها نبينُ دينَ اللهِ تَبَيّاتاً¹

وكان الشيخ يجوب خلال السنة الواحدة مئات الأميال شرقا وغربا مع طلبته، وكل ذلك وعقد الدراسة متصل².

وقد حظيت أيضا المحاضر البدوية سواء في الصحراء أو غرب إفريقيا بمكانة علمية كبيرة جعلت الشعراء يخلدون أمجادها وينظمون الأشعار في مدحها، ومثل ذلك ما قاله الشاعر مُجَّد بن عبد الحميد، الذي أنشد أبياتا في مكانة المحضرة:

طُوبى لمن أقامَ بالمدارسِ يحوي من العلوم كلّ دارسِ

يظلُّ يربى في رياضِ العلمِ من بين فتیانِ كرامِ شمّ

أتتْ بهم من كلِّ فجٍّ همٌّ لها على حجمِ شمّ³

يميز أصحاب المحاضر التواضع والترفع عن الدنيا والزهد فيها، فلا يشتغلون بشيء غير العلم تدريسا ومراجعة، فترى شيخ المحضرة كسائر البداة متقشفا في ملبسه، ومظهره لا يمتاز بشيء

¹ - القصيدة كاملة ينظر: ملحق القصائد الشعرية، القصيدة رقم 5.

² - الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 55-56.

³ - الحسين حديدي: المرجع السابق، ص 93.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

عن سكان الحي سوى مجموعة من الشبان تلتف حوله، يقل عددهم ويكثر حسب الأزمنة، يقيم هو وطلابه تحت شجرة، أوفي أعرشة من أغصان الأشجار.

ويلتف الطلبة حول الشيخ ضحى كل يوم يقرؤون عليه ما يشرحه ويفسره لهم، فتسمع شيخ المحضرة وهو يفسر نصا من مختصر خليل، ثم ينتقل مباشرة إلى ألفية ابن مالك في النحو، وبعده درس في التوحيد من نظم إضاءة الدجنة للمقري، ثم أبيات من معلقة امرئ القيس، وهكذا دواليك، وحينما يجن الليل ترتفع أصوات الطلبة بالتكرار والمراجعة. وهذه المحاضر منتشرة في جل قبائل الزوايا، وقد اشتهرت محاضر تجمكانت ومشومة ، وتنواجيو باختصاصها في العلوم القرآنية ، ومحاضر قبيلة أجيجه، وأهل مُجَّد بن مُجَّد السالم بالدراسات الفقهية، أما محضرة عبد الودود بن عبد الله ، والحسن بن زين فاشتهرت بعلم اللغة العربية والنحو والصرف¹.

– خصائص التعليم في المحاضر:

– ترسيخ الثقافة الإسلامية:

وذلك من خلال تربية الطلبة على مقاصد وأهداف الشريعة الإسلامية، وحثهم على الالتزام بتعاليمها، وذلك بتلقينهم حفظ القرآن الكريم ومبادئ السنة النبوية الشريفة؛ لذلك نشأ المجتمع البيضاني على ملة الإسلام الحق، كما التزموا بأداء الصلوات ، وأداء الأمانة، وبجانب الصلاة حافظ المجتمع الصحراوي البيضاني على أداء فريضة الحج، وإخراج الزكاة، وعليه فقد ساهمت المحاضر في تأسيس نمط عيش ظاهره بساطة البداوة وخشونة عيشها، وحقيقته حضارة عظيمة على مستوى ما بلغته الحضارة الإسلامية في أماكن أخرى علميا وفكريا وأديبا².

¹ – مُجَّد المختار ولد أباه: الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الأمان، الرباط ، المغرب ، 2003م، ص29.

² – الحسين حديدي: المرجع السابق، ص 117-119.

- التعليم والتدريس:

ويتمثل هذا الإعداد في الحث على اكتساب العلم ونشره، وقد حضّ الإسلام على العلم ورغب فيه، وحبّب فيه النفوس، ورفع أهله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:11] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:09] وقوله صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع"¹.

ولقد كان من نعم الله انتشار الإسلام بالصحراء الكبرى وإقبال أهلها على التعليم، وتأسيس المحاضر، وهكذا أولى طلبة المحاضر عناية فائقة بالعلم وتحصيله، وتركوا كل متاع وهوى من شأنه أن يلهيهم عن التعليم وعن اللوح والقلم، وبهذا انتشر العلم بين سكان البدو، الذين لم تنهم الدراسة عن مزاولة الأنشطة اليومية كالرعي وتتبع مساقط الغيث في بيئة صحراوية، تميزت بشح مواردها وترامي أطرافها وتباعد الحواضر فيما بينها. فقد خرّجت المحضرة أجيالاً من العلماء تميزوا بقوة حافظتهم، إذ استوعبوا الدين والثقافة العربية الإسلامية التي تمكّنوا من مواكبتها، وسجل علماء المحاضر دورهم البارز في المشرق والمغرب تدريسا وتأليفاً، ويدل على ذلك غنى المكتبات وتنوع التراث الفكري الذي لازال أغلبه مخطوطاً.

وبمكانة العلم في حواضر الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا تبوأ طلبة المحاضر مكانة عالية في المجتمع تمثلت في احترام الناس لهم، إذ أصبح المجتمع ينظر إليهم كمجاهدين يستحقون الإعانة والرعاية، وبهذا أصبح الميسورون من أصحاب البوادي والحواضر يتنافسون في التكفل بطلبة العلم في المحاضر².

¹ - الإمام النووي : رياض الصالحين، تح: مجموعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ/1992م، ص 379. الحديث رقم 1396 أخرجه أبو داود والترمذي.

² - الحسين حديدي: المرجع السابق، ص 121-125.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

كما اشتهر تعليم الفتيات في هاته المحاضر العلمية، فلم يكن حكراً على الذكور فقط، حيث تضلعت النساء من العلم وظهرت فيهن العالمات مثل خديجة بنت العاقل التي كانت تدير محضرة تخرج منها علماء أجلاء؛ كأخيها أحمد بن العاقل، والعالم المختار بن بونا، وبفضل هذه المحاضر كان للمرأة رصيد معرفي، فكانت مدرسة الطفل الأولى تلقنه أول دروسه، من تعليم الحروف الهجائية إلى تلقين القصص التاريخي إلى تدريس القرآن وتحفيظ المتون وتفسيرها، فوراء كل رجل عالم امرأة مهدت له سبيل الالتحاق بالمحضرة، ولم يقف دور المرأة عند هذا الحد، فمنهن من تصدرن للمشيخة المحضرية، فكن يدرّسن الطلبة والطالبات ما كان يدرّسه كبار المشايخ من الرجال. وقد ذكر الشيخ محمد الأمين الجكني، أنه درس الأدب على زوجة خاله، وتلقى عنها الأجرومية، والسيرة، وأيام العرب وأنسابهم، وشرح نظم الغزوات لأحمد البدوي الشنقيطي، وكانت كثير من فتيات تينيقي الحاضرة الجكنية الشهيرة تحفظن موطأ الإمام مالك عن ظهر قلب، وبلغت منهن بنت أحمد في شنقيط مرتبة القضاء، ومنهن كذلك صافية بنت المختار حيث كانت عالمة بالتجويد والتفسير والسيرة النبوية¹، كما اشتهر منهن كذلك شاعرات وخطاطات كمریم بنت بلا².

ويعتبر النظم والحفظ أهم مميزات التعليم المحضري؛ حيث تخرج من المحضرة أجيال من العلماء الحفاظ الذين حملوا معهم العلم في الحل والترحال، صدورهم خزائن لكل ما طالعوه أو درسوه، وكانوا يستأنسون بقوله تعالى: " وحصل ما في الصدور"³، وكانوا دائماً يرّدون بيتين للإمام الشافعي رحمه الله:

عِلْمِي مَعِي أَيْنَمَا يَمَّمْتُ يَتَّبِعُنِي صَدْرِي وَعَاءٌ لَهُ لَا جَوْفٌ صَنْدُوقِ

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

¹ - المرجع نفسه، ص 127.

² - الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 289.

³ - الآية 10 من سورة العاديات

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

وكانوا في شأنهم هذا خير خلف لخير سلف، فقد كانت ملكة الحفظ عوناً للطلبة في تحصيلهم الدراسي، ابتداءً من حفظ كتاب الله ثم المتون الفقهية المتوسطة والمطولة¹.

وقد حفلت كتب التاريخ ببعض الحفاظ الذين اشتهر صيتهم، مثل ابن طوير الجنة، وأحمد الأمين الشنقيطي صاحب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط؛ الذي أعاد تأليف كتابه بعد ضياعه من إملاء ذاكرته، فلقد كانت ملكة الحفظ علامة رسوخ قدم عند أصحاب المحاضر بالصحراء الكبرى وبلاد التكرور، وكانت سر تفوقهم وجزارة علومهم، ومما يذكر في قصص الحفاظ أن الشيخ محمد بن حبت مؤلف كتاب المواهب النحوية على الخلاصة والألفاظ البونية ضييع له ابنه كتابه في سفره بسبب شروء جمل كان يحمل جزءاً من مكتبة والده وفيها كتابه هذا، وأعيانهم البحث عنه فلم يجده، فجاء الابن إلى والده وقص عليه ما حدث، فقال له الأب لقد ضييعت جزءاً كبيراً من عمري، إلا أن الابن استطاع أن يُعيد كتابته من إملاء ذاكرته، لأنه كان مُدبماً لقراءته حتى حفظه. وكذلك كان المختر الكنتي سريع الحفظ والضبط، ويُضاف أيضاً العلامة بابا بن أحمد بيبه، الذي كان يناظر العلماء، وهو لم يبلغ الحلم بعد، وهو القائل:

وإذا المسائلُ أحجمتُ وتمنعتُ وأبّتْ مشاكِلُها على الخذاقِ
أعملتُ سيفَ الفكرِ نحو عوبصها فحنت عليّ خواضغ الأعناقِ
فتبوخ لي بسرائرٍ مكتومةٍ حتى عن الأسطارِ والأوراقِ²

¹ – الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 229، 232.

² – المرجع نفسه، 129-130.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

إلى جانب الحفظ والاستظهار اهتم العلماء في المحاضر العلمية بخاصية النظم، نظرا لصعوبة المادة المنتورة ، ولتسهيل عملية الحفظ، فقد أوقف عدد من العلماء تجربتهم العلمية على نظم أمهات الكتب الفقهية في المذهب المالكي، منهم النابغة الغلاوي الذي يقول في ذلك:

وإنما رغبْتُ في النِظامِ لأنّه أخْطَى لَدَى المِرامِ
وهو الذي تُسْغِي له العقولُ والسيفُ من حُصولِهِ مسْئولُ
أحييتُ فيه ذكْرَ عِلْمِ دارسِ أرجوا به الدعاءَ في المِجالسِ

وهكذا دأب العلماء على نظم ما نثر، كالأجرومية في النحو، فقد نظمها مُحمَّد بن أب المزمري¹، ومختصر خليل، الذي نظمه العلامة المامي والشيخ ابن بادي الكنتي ، وقد برع في النظم من تجكانت العلامة المختار بن بونا(ت.1220هـ/1804م) ، والعلامة مُحمَّد المختار بن بلعمش، وغيرهم كالبدراوي المجلسي(ت.1208هـ/1793م)، وعبد الله بن الحاج حمّاه الله

¹ – مُحمَّد بن أبِّ بن أحمد بن عثمان بن أبي بكر أبو عبد الله المزمري نسبا، التواقي مولدا، ولد سنة 1094هـ/1682م بقرية أولاد الحاج من ضواحي أولف بتديكلت، وتلقى مبادئ علومه بها انتقل إلى زاوية كنته، وتلمذ على شيخها سيدي أحمد بن سيدي مُحمَّد الرقّاد ومكث بالزاوية طويلا ، دارسا ومدرسا، تنقل ابن أب كثيرا وقادته رحلاته إلى سجلماسة وفاس وتبكتو وأروان، ثم رجع إلى توات وقضى بقية حياته في تيجورارين بتوات إلى غاية وفاته سنة 1160هـ/1747م، يعد ابن أب شاعرا مُجيدا، له شعر غزير في شتى الأغراض خاصة المديح النبوي. يقول عن شاعريته:

وَفُزْتُ بِدُرِّ الشَّعْرِ إِذْ عَصُتُ بِحَرْهُ وَمِثْلِي لِنَيْلِ الدُّرِّ مِنْ بَحْرِ أَهْلٍ
فَحَازَ نِظَامِي فِيهِ أَبَدَعُ صَنَعَتِي مِنْ اللَّهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ ذَلِكَ الْفَضْلُ

وله مناظرات منظومة في النحو، مع ابنه ضيف الله، كما ترك ابن أب آثارا كثيرة اغلبها منظوم في العروض وفي النحو والصرف وفي الفقه وعلم الكلام والتوحيد، وله عدة مخطوطات تحتفظ بها مكتبة تبكتو، وقاو في السودان الغربي. ينظر: يحي ولد سيد احمد : ديوان الصحراء الكبرى، المدرسة الكتبية والقصائد النيرات، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص128. ينظر: أحمد أبا الصافي جعفري: مُحمَّد بن أب المزمري حياته و أثره ، دار الكتاب العربي ، الجزائر، ط1، 2004م ، ص

العلاوي (ت. 1309هـ/1891م)، وقد نظم الشيخ مُجَدَّ المامي في أهمية النظم في التحصيل العلمي بقوله:

وَإِنْ يَكُ الْحَبِيرِ ذَا عَيْتَارٍ مَعَ سَعَةِ النَّثْرِ وَالْإِخْتِبَارِ
فَكَيْفَ بِالْقَلِيلِ الْإِخْتِبَارِ مَعَ كُلْفَةِ النَّظْمِ وَالْإِضْطِرَارِ¹

- المواد المدرّسة في المحاضرة في مختلف الفنون العلمية:

يعتمد التدريس في المحاضر العلمية على العناية القرآن الكريم وعلومه؛ التي تشمل الحفظ والضبط الجيد، ورسم الحروف، والتجويد بالروايات المختلفة والعلوم المتعلقة به. إضافة إلى الحديث النبوي الشريف؛ بالتطرق إلى متونه ومصطلحاته ورجاله، وتدخل ضمن المواد المدرسة كذلك العقيدة وعلم الكلام والتصوف، والفقه وأصوله وقواعده وفروعه، والسيرة النبوية والتاريخ والأنساب، وعلوم اللغة العربية؛ من نحو وصرف وبلاغة، ودراسة الدواوين الشعرية وعيون الشعر كالمعلقات، والنصوص النثرية كالمقامات، والعروض والقوافي، والموارث وعلم الحساب، إضافة إلى الجغرافيا، وبعض علوم الطب والتداوي بالأعشاب².

ومن خلال هذه المواد العلمية التي تدرس في المحاضرة يتبين أن التعليم الحضري يهدف إلى تعليم الدين الإسلامي عقيدة وشريعة وسلوكا ومنهجيا، وتعليم وترسيخ اللغة العربية؛ نحوا وصرفا وبلاغة، وأشعارا. إضافة إلى تكوين دعاة قادرين على تحمل مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى، وترسيخ القيم الإسلامية، وإرساء أسس الدين وتعهده بالرعاية، مع المحافظة على التراث الإسلامي، ونشر وترسيخ العقيدة الإسلامية في غرب إفريقيا³.

¹ - الحسين حديدي: المرجع السابق ص 131.

² - مُجَدَّ بن سيدي مُجَدَّ مولاي: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، دار يوسف ابن تشفين، موريتانيا، ط1، 2008م، ص 35.

³ - المرجع نفسه، ص 42.

- التأليف:

ومما يميز المحاضر العلمية كذلك اهتمام علمائها بالتأليف في مختلف الفنون، والغالب عليهم نسخ الكتب النفيسة، ولعل أبرز المؤلفين خلال القرنين 18-19م عمر الخطاط(ت). 1107هـ/1695م) الذي ألف عدة كتب في الفقه والحديث واللغة العربية والشعر، واهتم البرتلي كذلك بالتأليف وترك مؤلفا جامعا لعلماء التكرور المسمى فتح الشكور في أعيان علماء التكرور، وقد حدد المختار بن حامد عدد المؤلفات في حواضر التكرور حوالي 400 مؤلف في فنون علمية مختلفة تجمع بين علوم الشريعة والعربية، والحساب والتاريخ، والطب، والفلك، والجغرافيا¹. كما ألف علماء الصحراء وغرب إفريقيا في جانب الرحلة، خاصة الرحلات الحجازية؛ فقد دونوها واعتنوا بتفاصيلها، إضافة إلى تدوين الفتاوى والرسائل والمنظومات².

ب - المناهج والكتب المعتمدة في تعليم المحاضر:

- علوم القرآن:

من أهم الكتب المعتمدة في تدريس علوم القرآن بالمحاضر العلمية، نجد: كتاب الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لمحمد بن علي بن الحسين المشهور بابن بري، والشاطبية في القراءات السبع لأبي القاسم الشاطبي، ومقدمة ابن الجزري الدمشقي، وتعتمد المحاضر في تدريس تفسير القرآن على تفسير ابن كثير، والطبري، والقرطبي، وفي مفردات القرآن الكريم اشتهر تدريس منظومة المترادف لمحمد مولود بن أحمد فال.

¹ - المختار بن حامد : حياة موريتانيا (الحياة الثقافية)، المصدر السابق، ج2، ص 76-77.

² - المصدر نفسه، ص 131-135.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

هذا بالإضافة إلى كتاب المحتوى الجامع لرسم الصحابة وضبط التابع لمؤلفه عبد الله الجكني، وكتاب الحذف للشيخ الحضرمي بن عبيدي، ومؤلف كشف العمى والرین عن ناظر مصحف ذي النورین لمؤلفه مُجَّد العاقب بن مايا بن الجكني.

- الحديث ومصطلحه:

اهتم علماء المحاضر في تدريسهم بالحديث النبوي حفظاً وشرحاً، وكان ذلك بالاعتماد على موطأ الإمام مالك، والصحاح الستة، وألفية زين الدين العراقي، ومنظومة البيهقي، وطلعة الأنوار لسيد عبد الله بن الحاج ابراهيم.

- العقيدة¹:

أهم كتب العقيدة التي كانت تدرّس في التعليم الحضرمي نجد: مؤلفات السنوسي، مقدمة المرشد المعين لابن عاشر، عقيدة أبي زيد القيرواني، إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة للمقري، وسيلة السعادة للمختار بن بونا الجكني، الواضح المبين لعبد القادر مُجَّد سالم.

- الفقه:

أهم المؤلفات الفقهية المتداولة في التعليم الحضرمي؛ كتاب تهذيب المدونة للبرادعي، ومختصر الأخصري، والمرشد المعين لابن عاشر، ومختصر خليل لمؤلفه خليل بن إسحاق، ومنت كفاف المبتدي لمؤلفه مُجَّد مولود بن أحمد فال اليعقوبي الموسوي الجكني، وأسهل المسالك للبشار، وتحفة الحكام لابن عاصم.

¹ - مُجَّد بن سيدي مُجَّد مولاي: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، دار يوسف بن تشفين، موريتانيا، ط1، 2008م، ص

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجمكانت

- أصول الفقه:

من الكتب المعتمدة في تدريس علم أصول الفقه؛ كتاب مراقبي السعود لسيدى عبد الله، جمع الجوامع للسبكي، وكتاب الورقات لإمام الحرمين، والمنهج للزقراق في القواعد الفقهية.

- السيرة النبوية:

من المؤلفات في تدريس السيرة النبوية يوجد؛ كتاب قرة الأبصار لعبد العزيز اللمطي، والغزوات لأحمد البدوي المجلسي الشنقيطي، وهما من أهم كتب تدريس السيرة النبوية في المحاضر العلمية.

- اللغة العربية:

يتم الاعتماد على عدّة كتب في تدريس اللغة العربية، من أهمها: كتاب المعلقات العشر، والدواوين الستة لشعراء الجاهلية، لامية العرب للشنفرى، وبانت سعاد لكعب ابن زهير، وديوان المتنبي، وديوان المعري، ومثلث قطرب، ومثلث ابن مالك، والشمقمقية، ومقامات الحريري، والقاموس المحيط، وعدة قصائد أخرى من عيون الشعر العربي.

- النحو والصرف:

أهم المؤلفات المتداولة في النحو والصرف بالمحاضر العلمية في مقدمة ابن آجروم لمحمد بن مُجّد بن داود الصنهاجي، وملحة الإعراب للحريري، وألفية مُجّد بن مالك الأندلسي، وألفية جلال الدين السيوطي، واحمرار ابن بونا على ألفية ابن مالك¹.

¹ - الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 214-217.

- العروض والقوافي¹:

حظي هذا العلم باهتمام كبير في المحاضر العلمية، وقد ساهم ذلك في تخرج شعراء كبار من هذه المحاضر؛ منهم علماء ساهموا بأنظمتهم في تسهيل الكثير من العلوم اللغوية والشرعية لطلبة العلم، ومن أبرز المؤلفات المعتمد عليها في تدريس علم العروض والقوافي؛ نجد: نظم ابن عبده الشنقيطي في العروض، وكتاب الخزرجية في علم العروض والقافية لأبي القاسم الفتوح بن عيسى بن أحمد الصنهاجي (ت. 852هـ/1448م)، ونظم ليحيى بن أحمد فال في علم العروض.

- البلاغة والمعاني:

من الكتب المختارة في علم البلاغة؛ ألفية السيوطي (ت. 910هـ/1505م) عقود الجمان في علم المعاني والبيان، وكتاب الجوهر المكنون للأخضري، وكتاب نور الأقالع لعبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت. 1235هـ/1820م).

- المنطق:

من أبرز كتب علم المنطق المتداولة في التعليم المحضري يوجد؛ كتاب مختصر السنوسي، والسلم المنورق للأخضري، واحمرار السلم لعبد السلام العلوي الشنقيطي، وقواعد المنطق للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت. 909هـ/1504م).

- علم الحساب :

اشتهرت أرجوزتان في علم الحساب بالمحاضر التعليمية، وهما: أرجوزة للسملالي، وأرجوزة للأخضري.

¹ - محمد بن سيدي محمد مولاي: المرجع السابق، ص 145 - 146.

- الفلك والجغرافيا:

يتم الاعتماد في علم الفلك والجغرافيا على مؤلفات أبرزها؛ كتاب المقنع وشرحه الممتع لأبي عبد الله محمد بن سعيد السوداني، ونظم في علم الفلك ليحيى بن أحمد فال الجكني، إضافة إلى عدة قصائد شعبية في الفلك والجغرافيا¹.

- الطب وخصائص الأشياء:

اشتهر تدريس علم الطب في التعليم المحضري؛ وذلك بالاعتماد على مجموعة من المؤلفات، منها: نظم العمدة لأوفي بن ألفغ منصر، وكتب الإمام السيوطي في الطب، مثل كتاب الطب النبوي، وكتاب الطب والحكمة .

- التصوف :

هناك عدة كتب من المعتمدة في التصوف ، وأهمها: كتاب مقدمة الأخضري، وخاتمة ابن المرشد المعين لابن عاشر، وخاتمة التصوف لمحمد اليدالي، ونظم مطهرة القلوب من فترة العيوب لمحمد مولود بن أحمد فال.

- الآداب الاجتماعية:

يركز التعليم المحضري على تعليم الآداب والحث على التحلي بمكارم الأخلاق، وذلك لتزكية النفوس، وقد نظم العلماء في ذلك أراجيز كثيرة، وألفوا عدة كتب شكّلت مادة تعليمية في المحاضر العلمية يحفظها الطلاب ويشرحها لهم شيوخ المحاضر، ومن هذه المؤلفات: كتاب الآداب من رسالة أبي زيد القيرواني، ومنظومات في الآداب لمحمد مولود بن أحمد فال، ويوجد

¹ - الخليل النحوي: المرجع السابق ، ص 214-217.

– الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

كذلك نصيحة النشر لابن امباريكي، ونصيحة مُجَّد بن سعيد، إضافة إلى متون محلية حول الآداب والأخلاق الكريمة¹.

إن المتتبع لهذه الكتب العلمية النفيسة التي تعتبر في حد ذاتها مناهج التعليم المحضري، يلاحظ قيمتها الكبيرة، فهي انتقائية من كل فن من فنون المعرفة، فيختارون الكتاب القيم الجامع الذي يجمع بين بساطة الأسلوب وشمولية المعرفة، وسهولة تعليمه وتلقيه للطلبة، فالتعليم المحضري الذي يعتمد على هذه الكتب العلمية القيمة يكون جامعا بتعدد اختصاصاته العلمية؛ التي تجمع بين العلوم الشرعية واللغوية، وتعلم مكارم الأخلاق والآداب الاجتماعية، وكذلك العلوم التجريبية كتعلم الحساب، والطب، والفلك؛ وبهذا يتخرج الطالب من هذه المحاضر العلمية العتيقة ملما، وجامعا بين العلم والتربية، فقد ساهم التعليم المحضري في الصحراء الكبرى في نهضتها الحضارية الإسلامية؛ بحيث رسخ القيم الإسلامية الوسطية، وحافظ على الازدهار العلمي بهذه المناطق المترامية في الصحراء وغرب إفريقيا، فلم يثن أهل الصحراء في العناية بالعلم قسوة المناخ، وصعوبة الصحراء، وشغف العيش، فبالرغم من ذلك كان لهم المقام الكبير في العلم، فقد أنتجت هذه المحاضر الصحراوية علماء كبار موسوعيين، كالعلامة المختار ابن بونا الجكني (ت.1220هـ/1805م)، والعلامة المختار الكنتي الكبير (ت. 1225هـ/1811م)، وغيرهم كثير.

وكان لقبيلة تجكانت محل دراستنا علماء ساهموا في ازدهار الحركة العلمية في الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا؛ وذلك من خلال تأليفهم وكتبهم النفيسة، والتي اعتمد كثيرٌ منها في التعليم المحضري، كما كانت لهم محاضر نالت شهرة في الأمصار، وأصبحت مقصدا لطلاب العلم من مختلف الجهات؛ كمحضرة العلامة ابن بونا (ت.1220هـ/ 1805م)، ومحاضرة العلامة مُجَّد المختار بن بلعمش (ت.1287هـ/1870م).

¹ – المرجع نفسه، ص 214-217. للتوسع ينظر: مُجَّد بن سيدي مُجَّد مولاي: المرجع السابق، ص 45-49

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

وقد أثمر انتشار الإسلام بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا ودعوته للعلم، حبا خالصا لحياة المحضرة في أواسط المجتمع الصحراوي، وساهم كذلك في عناية بالعلم وولعهم الشديد به، كما أن تجارة القوافل، والرحلات العلمية، والطرق الصوفية ساهمت في انتشار التعليم المحضري، وساعدت حياة البادية على طلب العلم، لأن ليس بها كثيرا ما يشغل عنه، فاشتغلوا بالعلم والقراءة فكان دأبهم ومفخرتهم وأساس حضارتهم .

- خلاصة الفصل:

ومما تقدّم يمكن القول، بأن علماء تجكانت من الكثرة، مما يصعب حصرهم جميعا في هذه الدراسة والتعريف بإسهاماتهم العلمية ومؤلفاتهم، التي لا يزال الكثير منها حبيس خزائن المخطوطات ويعوزه التحقيق والدراسة. وهناك عدد لا بأس به عالمات تجكانت من النساء اللواتي اشتهرن بتضلعهن في مختلف العلوم الشرعية واللغوية؛ حيث كان منهن من كانت لها محاضرة علمية تدرس الطلاب والطالبات.

كما قام علماء تجكانت بعدة رحلات إلى الحج، منها رحلة العلامة ابن الأعمش الجكني، ورحلة الشيخ سيدي ألمين بن حبيب الجكني، ورحلة حبيب الله بن مايبي الجكني؛ بحيث عرفنا برحلاتهم ضمن التعريف بهم وإسهاماتهم العلمية، فهم الذين ربطوا التواصل بين المغرب والمشرق، وسائر بلدان العلم.

وقد انتسب أغلب الجكنيين إلى الطرق الصوفية، نذكر منها: القادرية، والشاذلية، والتجانية. و كان التعليم المحضري العتيق هو أساس التعليم بالحواضر الصحراوية ؛ حيث تخرج منه أكابر العلماء والفضلاء من تجكانت وغيرهم، ولا شك أن هذه القبيلة كانت مشهورة بمحاضرها العلمية؛ التي اشتهرت منها محضرة الشيخ العلامة مُحمَّد المختار بن بونا الجكني، وتعدّ مؤلفاتهم من الكتب أهم المناهج التي يعتمد عليها التعليم المحضري.

- الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت

وقد ساهم هذا التأثير العلمي للجكانيين في تشكيل واقع ثقافي واجتماعي مميز لهذه القبيلة، يظهر ذلك من خلال الموروث الثقافي الذي تحتفل به هذه القبيلة في المواسم والأعياد؛ والذي يُظهر جوانب مختلفة من ثقافتها الشعبية التي تجلّت في عدّة ملامح تراثية للمجتمع البيضاوي عامة وتجكانت خاصة، سنتطرق إليها في الفصل الموالي.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

- المبحث الأول: النشاط التجاري لقبيلة تجكانت

أ- التجارة الجكنية؛ البضائع والسلع

ب- العملة المتداولة في تجارة تجكانت

ج- الطرق والمسالك والصعوبات التي تواجه القوافل التجارية

د- نماذج من تجار تجكانت

- المبحث الثاني: الواقع الاجتماعي لقبيلة تجكانت

أ- الخطبة والزواج

ب- مكانة المرأة عند تجكانت

ج- الاحتفالات الدينية وعادات الطعام والشراب لتجكانت

- المبحث الثالث: جوانب من الواقع الثقافي لتجكانت

أ- الثقافة الشعبية الحسانية عند تجكانت

ب- الأمثال والحكم في المجتمع الجكني

ج- الشعر والشعراء عند تجكانت

- خلاصة الفصل

- تمهيد:

يتكون سكان المنطقة (مجال الدراسة) من مزيج عرقي انصهر في بوتقة واحدة عبر التاريخ، ينحدر من ثلاثة أصول، مثل غالبية سكان بلاد المغرب الكبير، وهم: الأمازيغ (زناتة)، والعرب، والزنوج¹، وقد حصل بين هؤلاء السكان عبر التاريخ تمازج واختلاط؛ ضمن مجتمع متجانس له نفس العادات والتقاليد، وقد زاد الدين الإسلامي من ترابط أفراد المجتمع وتأخيهم. وعليه حرص الباحث على أن يفرد للواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي فصلاً كاملاً، وأن يتناول فيه حركة التجارة الخارجية ومراكز التبادل التجاري الهامة بالمنطقة والمناطق التي كانت لها علائق اقتصادية معها. ومعرفة أهم التجار من تجكانت والسلع والأسعار والموازين وكل ماله صلة بالمسائل التجارية الأخرى.

ولم يغفل الإشارة إلى أهم مظاهر التراث الشعبي في المجتمع البيضاني؛ كالعادات والتقاليد الاجتماعية، خاصة ما تعلق بالزواج، وعادات الطعام والشراب، والأعياد والاحتفالات، وتفاعل تجكانت مع القبائل الأخرى.

- المبحث الأول: النشاط التجاري لقبيلة تجكانت:

إن الواقف على الوثائق المحلية بخزانتني أهل العبد، وبلعشم بتندوف؛ يدرك ازدهار الحركة التجارية بسوق تندوف، ويدرك أيضاً الأهمية الاقتصادية لهاته الحاضرة الجكنية، فمعظم تلك الوثائق التي هي في معظمها عبارة عن تقايد توثق تجارة تجكانت بتندوف، حيث يلاحظ من خلالها أيضاً تنوع السلع والبضائع، واختلاف العملة ونوعية التعامل التجاري، كما تحمل في طياتها أسماء التجار، الذين اشتهر منهم الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي الجكني.

¹ - G.Salvy et Barthe: Les populations sahariennes Arabes, Cah. Ch. de Foucauld, 1955, p 75-100.

أ- التجارة الجكنية؛ البضائع والسلع:

- **الملح:** تعتبر منطقة تغازة، وتاودني بالأزواد من أهم مناجم الملح في الصحراء؛ حيث كان تجار تجكانت من تندوف يتجهون مرتين في السنة أو أكثر إلى تاودني بين شهري ديسمبر ومارس، في رحلة لمسافة 820 كلم، ثم ينقلونه لأروان على مسافة 450 كلم، ومن أروان إلى تنبكتو على مسافة 250 كلم¹.

- **الذهب:** هو معدن طبيعي لونه أصفر برّاق و هو أليّن معدن موجود في الطبيعة، لأنه يمكن طرقه و هو بارد، مع أنه أنقى فلا يفسد بالنار أو تحت الأرض. والذهب نوعان؛ التبر والعين، فالتبر هو ما لم يصقل ويصفى ويصنع من الذهب، فيسمى تبرا حين يبقى على حاله كما استخرج من منجمه، أما العين هو ما صُنع وضُرب دنانير وأصبح له شكل ويستعمل كعملة². ويعتبر مصدر الذهب في السودان الغربي سرا مكتوما من طرف أهله المنتجين، وأهم مصادره؛ منطقة البامبوك التي تقع بين نهر السنغال الأعلى و فرعه فاليمي، ومنطقة بوري عند ملتقى نهر النيجر الأعلى بفرعه تنكيسو. وكذلك منطقة لوبي، ومنطقة ساحل الذهب (غانا حاليا)³. وقد كان الذهب متوفرا في أسواق تجكانت، خاصة بسوق تندوف، وهو ما تدل عليه الوثائق التجارية المختلفة التي كانت عقودا توثق بها تجار تجكانت ببيعهم⁴.

- **العاج:** يؤتى به من المناطق الاستوائية قرب الأنهار، أين تكثر الفيلة و فرس النهر ووحيد القرن، ومن أجود أنواع العاج عاج بورنو، وذلك لبياضه الشديد وبعده عاج الهوسا الشديد

¹ - بريك الله حبيب: تجارة الذهب والملح بأسواق تندوف في القرن 19م من خلال الوثائق المحلية، في المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد 1 و2، المركز الجامعي تندوف، جوان 2016م، ص119.

² - بريك الله حبيب: تجارة الذهب والملح بأسواق تندوف في القرن 19م، المرجع السابق، ص 124.

³ - مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد، 13هـ/19م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2014م، ص 354.

⁴ - تقييد مخطوط بخزانة أهل العبد تندوف، ولاية تندوف، الجزائر.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

الصلابة، الذي يقدر ثمنه بحوالي نصف فرنك للكيلوغرام¹.

- ريش وبيض النعام:

كانت قوافل تجكانت تجلب بيض النعام من أسواق غرب إفريقيا على شكلين؛ فالشكل الأول تنقب البيضة وتفرغ من محتواها وتغلف بالجلد وريش النعام لتزيين المنازل وغيرها، والشكل الثاني تُترك البيضة طبيعية لتستعمل في تحضير بعض العقاقير لمعالجة عدة أمراض، مثل البرد و الروماتيزم²، ويمكن أن تحقق تجارة ريش وبيض النعام أكثر من مأتي فرنك في تجارة تجكانت³.

- العبيد:

تجارة العبيد كانت متواجدة في أسواق تندوف، وقد اختلف سعر العبد من خلال ما توضحه الوثائق التي تحتفظ بها خزانة أهل العبد الجكنية بتندوف، والتي تخص في معظمها التاجرين مُجد العبد بن مُجد الحرطاني، والتاجر الكنتي بن الصالح الشانعي الجكني، فقد وصل سعر العبد إلى 33 مثقال من الذهب، والأمة 40 مثقال خلال القرن 19م⁴.

¹ - مُجد العربي الزيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م، ص 168.

² - رولفس غيرهارد: رحلة إلى الكفرة تقارير الرحالة الألماني رولفس، تر: عماد الدين غانم، منشورات مركز جاهد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2000م، ص 266.

³ - المرجع نفسه، ص 266.

⁴ - بريك الله حبيب: القوافل العلمية والتجارية بين تندوف ودول الساحل في القرن 19 و20م، الملتقى الوطني حول التواصل الحضاري بين الجزائر وبلاد الساحل الإفريقي، بين القرن 16 و20م، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، منشورات جامعة حمه لخضر بالوادي 2017، ص 294. ينظر: وثيقة مخطوطة تتضمن تقييد عقد بيع للتاجر الكنتي بن المختار سنة 1304هـ/1886م، بخزانة أهل العبد تندوف، الجزائر. بريك الله حبيب: سوق النخاسة بتندوف في القرن 19م من خلال الوثائق المحلية، مجلة الدراسات التاريخية والقانونية، العدد 04، المركز الجامعي تندوف، ديسمبر 2017م، ص 82-83.

ب - العملة المتداولة في تجارة تجكانت:

لم يكن التعامل بالعملة أمرا شائعا في تجارة القوافل بين حواضر المغرب الكبير وإفريقيا جنوب الصحراء، حتى بداية القرن العشرين الـ 20 م، ومعظم التعامل كان يتم بمقايضة الملح، أو الذهب، أو التمر، أو الودع، أو قماش النيلة المعروف بالبيصة، أو الأنعام. ومن أهم العملات؛ نجد:

- المئقال الذهبي:

كان المئقال الذهبي عملة رائجة في الأسواق التجارية؛ حيث ذكر مارتان (Martin) أن المئقال المستعمل في توات وما جاورها من الحواضر مقداره 4.50 غ¹. وقدّر بارث (Barth) قيمة المئقال في تنبكتو منتصف القرن 19م بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف كوري⁽²⁾. أما لانز (Lenz)، فقال أن المئقال في تنبكتو يعادل ثلاثة آلاف وأربعة آلاف ودعة، أما سعره في المئقال أروان يساوي 8 إلى 10 فرنكات، وفي تنبكتو يساوي ما بين 10 إلى 12 فرنك⁽³⁾. ويتعامل بالمئقال أيضا في المغرب الأقصى، حيث أن الرحالة العياشي تعامل بالمئقال الأربيعيني الشريفي المضروب في سجلماسة عند زيارته إلى منطقة توات 1074هـ/1663م⁴.

- الريال:

هو قطعة اسبانية تزن 25 غرام، ويوجد الريال الفرنسي وهو يزن نفس الوزن مع الريال الإسباني، يساوي خمس فرنكات، وتوجد أيضا بهذا الاسم عملة عثمانية معروفة بالريال بوجو

¹ - Martin A.G.P: Op.cit, p 19.

² - عبد العزيز بن عبد الله: الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية (معلمة الصحراء)، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1976م، ص 177. مبارك جعفري: الأنواد خلال القرن 13هـ/19م؛ دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2021م، ص 374.

³ - Oskar lenz: Tombouctou voyage au Maroc au Sahara et soudan, librairie Hachette, Paris, 1987, p 103, 156.

⁴ - أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية ماء الموائد، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2006م، ج1، ص 465.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

يتراوح وزنها ما بين 8.5 غ إلى 20.2 غ، وتقسم إلى 8 موزونات¹، ووُجد الريال أيضا في أسواق غرب إفريقيا وتندوف، خاصة الريال العثماني، الذي كان يصنع من الفضة ويضرب دار السكة في كل من تونس وليبيا والجزائر وانتقلت هذه العملة من الشمال إلى أسواق غرب إفريقيا عن طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء².

- الملح:

استخدم كعملة ذات قيمة، وكان يقطع إلى قطع صغيرة مختلفة الأحجام والأشكال تستغل في البيع والشراء، فهناك قطع تساوي 20 دوخة أو 160 فرنك، و قطع تساوي 30 دوخة أو أربعين فرنك، و قطع تساوي 40 دوخة أو 320 فرنك و تساوي حمولة الملح في تنبكتو 80 دوخة على عهد الحسن الوزان³. وكانت الملح تستعمل في شراء العبيد أيضا حيث كان يباع بقطعة ملح بقدر رجليه، ثم ارتفع سعره ليصل إلى حمل بعير من الملح⁽⁴⁾.

- عملات أخرى متداولة، مثل:

- الدوخة بنوعيهما الذهبية و الفضية؛
- الدراخمة: و هي عملة مستوردة من الخارج من طرف التجار؛

¹ - Colonieu Commandant: voyage au Gourara et l'Aougurout 1860, Bulletin de la société de géographie d'Oran, TIIIX, 1903, p 62.

² - عثمان حساني: البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين 18 و 19م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم لإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2006-2007 م، ص 107.

³ - يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 48-49. مبارك جعفري: الأزواد...، المرجع السابق ص 375.

⁴ - أحمد ذكار: حاضرة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي من 1000-1301هـ/1591-1833م، مذكرة ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أدرار، السنة الجامعية 2009-2010م، ص 107.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

- المجيدي: و يساوي 4.5 فرنك؛
- المحبوب الذهبي: الشائع الاستعمال في بلدان المغرب العربي؛
- الموزونة الفضية: الشائعة الاستعمال في بلدان المغرب العربي؛
- الصائمة النحاسية: الشائعة الاستعمال في بلدان المغرب العربي؛
- الدورو الفضي: الشائع الاستعمال في بلدان المغرب العربي؛
- البنتو: وهي عملة أجنبية مستوردة من الخارج¹.

ج - المسالك الصحراوية والقوافل التجارية:

- الطرق والمسالك التجارية: أكثر تجارة تجكانت كانت تسلك محورين رئيسيين، وهما :
 - المسلك الشرقي طريق الذهب : اشتهر هذا المسلك تاريخيا بطريق الذهب، وينطلق من تافيلالت عبر توات، ويتجه نحو تنبكتو في عدة مسالك وهي:
 - طريق توات تنبكتو عبر رقان: و ينطلق من رقان نحو حاسي حسدة ثم حاسي البوز ثم حاسي الملح، ثم رقلة، ثم تنصر، ثم صبطي، ثم طرفية، ثم تدقوير، ثم تليق، ثم تاودسي، ثم تمبكتو.
 - طريق توات تنبكتو عبر أقبلي: ازدهر هذا الطريق خلال القرن التاسع عشر، حيث ينطلق من أقبلي ثم تين تني، ثم والن وبعد أيام تدخل القافلة صحراء تنزروفت؛ وهي صحراء قاحلة منبسطة ثم تصل إلى انغان ثم المبروك، ثم المامون، ثم بوجبيهة، ثم أروان، و هي محطة رئيسية للقوافل، ثم وأعوازن، ثم تصل القافلة بعدها إلى تنبكتو.
 - طريق عين صالح تنبكتو: وينطلق هذا الطريق من تديكلت بعين صالح ، ثم إينغر، تيط، أقبلي، زاوية حينون بأولف، المالح، ثم عين الشبي، تمادنانين، و هذه آخر نقطة في توات ثم بعدها يأتي حاسي تيابين، ثم والن، صحراء تنزروفت، لمبروك، المامون، بوجبيهة، تنبكتو، ومن

¹ - يحي بو عزيز: المرجع السابق، ص 49.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

المامون تذهب بعض القوافل إلى أروان ثم إلى تنبكتو¹.

- طريق توات قاو عن طريق الهقار: وينطلق ها الطريق من عين صالح بتوات ثم الهقار، ثم غات، كاهر، قاو، و قد ورد هذا الطريق في رحلة ابن بطوطة حيث أخذ هذا الطريق راجعا من قاو إلى توات².

- المسلك الغربي طريق الملح:

عُرف هذا المسلك بطريق الملح، ينطلق من واد نون جنوب السوس، ويتجه نحو ودان وتيشيت جنوب شنقيط؛ حيث تتزود القوافل بالملح، فتسير نحو نهر السنغال فيقع تبادل الملح بالذهب والعبيد وريش النعام وتستغرق الرحلة قرابة الشهرين³، وتعتبر حاضرة تندوف مركز التجارة الجكنية، ومحط القوافل بحكم موقعها الممتاز في المحور الغربي حيث تتجه القوافل من تندوف إلى تغازة على مسافة 615 كلم، وتستغرق فيها الرحلة 18 يوما، ومن تندوف إلى تاودني 820 كلم، وتستغرق فيها الرحلة 24 يوما، ومن تندوف إلى أروان 1270 كلم، وتستغرق فيها الرحلة 37 يوما، ومن تندوف إلى تنبكتو 1528 كلم، وتستغرق فيها الرحلة 44 يوما⁴.

¹ - مُجَّد حوتية: توات والأزواد...، المرجع السابق، ج1، ص ص141-161. مبارك جعفري: الأزواد...، المرجع السابق، ص ص 326-335.

² - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج4، ص 279. ينظر: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 03.

³ - عمر أفا: التجارة المغربية في القرن التاسع عشر (البنيات والتحولات 1830-1912م)، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006م، ص300.

⁴ - بريك الله حبيب: القوافل العلمية والتجارية بين تندوف ودول الساحل...، المرجع السابق، ص ص306-307. ينظر: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 03.

- العوائق والصعوبات التي تواجه القوافل التجارية:

إن المعيقات الطبيعية كالتضاريس والرياح، طرحت صعوبات كبيرة أمام حركة القوافل التجارية العابرة للصحراء الكبرى الأفريقية من الشمال إلى الجنوب أو العكس؛ لكنها لم تكن الوحيدة، بل هناك معيقات وصعوبات أخرى ناجمة عن تدخلات بشرية نقسمها إلى قسمين وهما:

- الصعوبات الطبيعية:

- الكثبان الرملية:

تعتبر الكثبان الرملية من الصعوبات الطبيعية، وذلك لصعوبة السير عليها لمسافة طويلة، لأنها تنهك الإبل الحاملة لأثقال البضائع والسلع وتثقل من سير القافلة. إضافة إلى أن الرمال الصحراوية متحركة تبعاً لحركة الرياح، وتسبب في ضياع معالم الطريق فتؤدي إلى تيه القافلة في الصحراء¹.

- هبوب الرياح:

تُعرف الصحراء الكبرى بزوابعها الرملية القوية، خاصة الرياح الساخنة، حيث يذكر مُجد العربي الزبيري نقلاً عن (موروا): إن رياح الجنوب داهمت إحدى القوافل القادمة من تنبكتو سنة 1805م وكانت مكونة من ألفين رجل وألف وثمانمائة جمل لم ينج منها أحد².

- قلة المياه:

تُعد ندرة نقط الماء، أو بعد المسافة بينها، من أخطر المشاكل التي كانت تواجه القوافل التجارية أثناء عبورها الطويل والشاق للصحراء؛ لذلك لعبت الآبار دوراً مهماً في توفير الماء

¹ - صالح معيوف مفتاح: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن 2هـ إلى أواخر القرن 3هـ، مؤسسة توالث الثقافية، د.ت، ص 33. مبارك جعفري: الأزواد...، المرجع السابق، ص 320.

² - مُجد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 163. ينظر: صالح معيوف مفتاح: المرجع السابق، ص 33.

– الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

للقوافل، حيث كانت آبار الماء محطات تستريح فيها القوافل، ويتبادلون فيها أخبار الطريق ويتعرفون على الأسعار ويؤدون بها الصلاة، وعادة ما تكون الآبار محفورة في وسط الأودية، وتختلف أعماقها باختلاف المنطقة التي حفرتها، فالأزواد مياها عميقة تصل إلى الخمسين مترا، بينما آبار تنزروفت وإقليم توات، تمتاز بقرب مياها التي لا تزيد عن الخمسة عشرة مترا، وإلى جانب البئر توجد سواقي ترد عليها الإبل والغنم إلا أن هاته الآبار أحيانا تقل فيها المياه أو تغور¹.

– الصعوبات البشرية:

وتتمثل في الهجمات التي تتعرض لها القوافل من طرف اللصوص وقطاع الطرق، سواء كانوا أشخاص أو قبائل، وما يدل على ذلك رسالة بخزانة أهل العبد بتندوف وجاء فيها أن قافلة من توات تعرضت لغارة وهجمة من طرف قطاع الطرق، فقتلوا منهم من قتلوا، وقاموا بتقييد الباقين بالقماش الذي يحملونه في بضائعهم، واستولوا على جميع ما يملكون، فلحقت بهم قافلة أخرى بما قبائل أولاد المولات من الأزواد، فأنقذوهم².

ويوضح لنا هذا أن القوافل كانت تتعاون فيما بينها لصد هجمات قطاع الطرق، كما أن القوافل التجارية تقطع مسافات شاسعة في ظروف مناخية صعبة، مما يجعلها مضطرة إلى أن تسلك طرق معينة تقع على جناباتها آبار ونقاط المياه، وهذا الاعتبار يسهل كثيرا مهمة قطاع الطرق، والقبائل التي تعيش على السلب والنهب. ويضاف إلى المشاكل التي تصيب القوافل؛ مشكلة الجوائح كالأمراض والأوبئة، التي تؤدي إلى هلاك الكثير من المشاركين في القافلة، وغالبا

¹ – محمد الصالح حوتية: آل كنته؛ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة 18/19م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008م، ص104. ينظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص49. مبارك جعفري: الأزواد...، المرجع السابق، ص318.

² – محمد: رسالة إلى أبيه باب حول تعرض قافلة توات لقطاع طرق، وثيقة مخطوطة بخزانة أهل العبد، تندوف، الجزائر، الورقة 1/و/ظ.

ما يُحجّر على القافلة من دخول السوق خوفاً من نقل العدوى¹.

ولمواجهة هذه المشاكل، تتخذ القوافل مجموعة من الإجراءات الوقائية؛ حيث كانت القوافل تتجنب انطلاق سفرها في فصل الصيف، سواء كان ذلك ذهاباً وإياباً، وإنما كانت تفضل فصل الخريف كي تستغل موسم برودة المناخ في نشاطها التجاري².

وكانت القافلة تأخذ معها الماء الذي يكفي احتياجاتها؛ إذ أنها تخصص بعض الجمال فقط لنقل الماء في القرب، وكانت القوافل أثناء رحلاتهم التجارية، تقوم بتسوير الآبار المعرضة لخطر الزوابع الرملية وترميمها من الداخل بواسطة عظام الإبل الهالكة، ثم يغطونها للمحافظة عليها، ومع ذلك كانت الآبار تتعرض لعملية الردم، مما يضطر قادة القافلة إلى نحر إحدى الإبل ويشق بطنها للاغتراف مما تخزنه من ماء؛ لأن هذه خاصية فقط للإبل⁽³⁾.

وكانت القبائل التي تقطن أو ترعى على طول مسار القوافل التجارية، تتنافس في حفر الآبار خاصة القبائل الكنتية باعتبارها صدقة جارية، فقد حفر الشيخ سيدي المختار الكبير بئرين بضواحي تاودني⁴.

كما تضم القافلة معها عدّة رجال يقومون بالخدمات الضرورية للمسافرين، كالدليل الذي له معرفة جيدة بالمسالك الصحراوية ومنزلها، والطبيب الذي له معرفة بالأعشاب الطبية، والفقير في الأمور الشرعية فهو يؤمّ الناس في الصلاة ويفتي المسافرين عن ما لبس عليهم من تساؤلات تخص الأمور الدينية، وكانت القافلة تتسلح وتضم أعداداً كبيرة من الحراس المكلفين

¹ - صالح معيوف مفتاح: المرجع السابق، ص66.

² - مُجّد الصالح حوتية، توات والقوافل التجارية، مقال ضمن ملتقى طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ، من 12 إلى 14 نوفمبر الجزائر، 2001 م، ص35.

³ - الحسين عماري: العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا، في دورية كان التاريخية، العدد التاسع، 2010م، ص35.

⁴ - مُجّد الصالح حوتية: آل كنته، المرجع السابق، ص104.

– الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

بالدفاع عن القافلة من خطر للصوص وقطاع الطرق ، وتتعاون القوافل فيما بينها حيث تتجمع فيما بينها في قافلة واحدة حيث يكثُر عددها فتكون أكثر أمانا من هجمات قطاع الطرق ، ويحدث هذا خاصة في الطرق غير الآمنة¹.

وقد اتخذت القوافل إجراءات للحد من المبالغة في المكوس، أو الضرائب التي تدفع في الطريق؛ حيث كان التجار يتصلون بزعماء القبائل بعدما يدفعون لهم إتاوة ويحصلون على الحماية، وتأخذ شكل اتفاقية يقوم بتحرير بنودها عالم أو إمام المنطقة، ويصبح شيخ القبيلة هو الحامي بموجبها مسؤولا عن كل ضرر يلحقه أفراد قبيلته بمصالح التجار المحميين ، كما يتعهد بأن يعيد كل ما سرق من البضائع والأموال لأصحابها. وعادة ما تختم عملية التعاقد بحفلة يقيمها التاجر المحمي ويكرم فيها أعيان القبيلة، وقد يقوم بهذه الحماية إضافة إلى زعيم القبيلة شيخ طريقة صوفية يتمتع بالتقدير والاحترام في المنطقة².

د – نماذج من تجار تجكانت :

1- مُجَّد العبد بن مُجَّد الحرطاني:

هو مُجَّد العبد بن مُجَّد الحرطاني المسعودي الجكني التندوفي، الذي كان له دور كبير في بناء حاضرة تندوف مع العلامة مُجَّد المختار بن بلعشم قائد تجكانت حيث يقول القاضي الأرواني: "... وأول من بنى تندوف لمربط بن الأعمش والعبد بن الحرطاني في جد أهل العبد، فالمربط من أولاد مسّان فهو العالم الولي الصالح القاضي المشهور صاحب الضيافة والتقدم في الأمور"³.

¹ - المرجع نفسه، ص 104.

² - إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 117.

³ - مُجَّد محمود سيدي بابكر الأرواني: المصدر السابق، الورقة 101 و

وقد كان القائد التاجر مُجَّد العبد بن مُجَّد الحرطاني صاحب مكانة عالية في قبيلته، وتندوف عامة؛ لما يتصف به من مكارم الأخلاق، والكرم والشجاعة، وكان صاحب مال وتجارة ولا أدل على ذلك من القيمة الكبيرة للتركة بعد وفاته رحمه الله، حيث ترك 16 ألف ريال بصرف الذهب، إضافة إلى مثقالين من الذهب، فقد كان من كبار التجار الذين عرفتهم مدينة تندوف؛ خاصة في تجارة الملح والذهب بين أسواق تاوديني وتنبكتو حيث كانت له رحلتين في السنة¹.

وكان كل من وفد إلى حاضرة تندوف يضيفه ويكرمه؛ مثل إقامة العلامة أحمد بن مُجَّد الكاملي الضيرير الدرعي عشر سنوات (1881-1892م)، وهو ما يدل على سعة الصدر، وواسع الكرم وحسن الضيافة، حيث كان منزله مقصدا لطلبة العلم، وتجار القوافل وعابري السبيل². ولم تسعفنا المصادر التي توصلنا إليها إلى تاريخ دقيق لوفاته رحمه الله إلا أنه حسب وثيقة تقسيم تركته تكون وفاته في الربع الأول من القرن 20م³.

2- التاجر الكنتي بن الصالح الشانعي الحكني:

هو التاجر الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي الحكني التندوفي صاحب تجارة كبيرة بين تندوف، وتنبكتو ساهمت في ازدهار تندوف اقتصاديا في زمنه، ولد سنة 1255هـ/1839م، وقد وفد الكنتي بن الصالح الشانعي إلى حاضرة تندوف، وعمره 30 سنة، وقد كانت له مكانة محترمة في تندوف بسبب نشاطه التجاري الذي يساهم في تحسين الأوضاع المعيشية لسكانة تندوف، ومما اشتهر في تاريخ الكنتي أنه امتنع من دفع حقوق الإدارة في أروان، وهو ما سبب له خلافا كبيرا مع ابن عمه مُجَّد البشير بن مُجَّد الحرطاني الرمضاني، وصل إلى حد القتال⁴،

¹ - بريك الله حبيب: العلاقات التجارية بين مدينة تندوف وإفريقيا الغربية...، المرجع السابق، ص 203.

² - المرجع نفسه، ص 205.

³ - تقييد تقسيم تركة مُجَّد العبد بن مُجَّد الحرطاني، وثيقة مخطوطة بخزانة أهل العبد تندوف، الجزائر، الورقة 1- 2/و/ظ

⁴ - بريك الله حبيب: العلاقات التجارية بين مدينة تندوف وإفريقيا الغربية...، المرجع السابق، ص 188.

وهي الفتنة التي قُتل فيها الكنتي الشانعي سنة 1309هـ/1892م، مع تسعين رجلا من تجكانت¹. وقد خلف الكنتي أبناء سلكوا دأبه في التجارة؛ فمنهم الصالح ومنهم المختار؛ الذي كان قائدا على مدينة تاودني، الذي اغتالته فرنسا المستعمرة رحمه الله سنة 1927م².

3- الشيخ عبد الله بن مُحَمَّد العبد بن مُحَمَّد الحرطاني :

هو الشيخ التاجر الكبير عبد الله بن مُحَمَّد العبد بن مُحَمَّد الحرطاني بن الطاهر بن أبي بكر المسعودي الرمضاني الجكني التندوفي، اشتغل بالتجارة بين حاضرة تندوف، وأسواق إفريقيا جنوب الصحراء، وتميز بخط جميل جدا، وأسلوب أدبي رائع جدا ينم عن تحكم وتضلع في اللغة العربية وفنونها يظهر جليا في التقايد التجارية التي كتبها في خزانة أهل العبد، كما كان له شأن كبير ومكانة في قومه، حيث كان منزله منزل كرم يستقبل الضيوف، وكل من مرّ بتندوف يكرمه، ويظهر واسع كرمه من خلال ما قاله فيه الولاقي في رحلته:

"...فنزلنا في دار أهل العبد عند عبد الله بن العبد فأحسن إلينا أتم الإحسان، وأنزلنا في دار واسعة أدخلنا فيها عيالنا، ومكثنا في تندوف عام وشهرا في بر وإحسان"³.

وقد أرسل إليه ابن عمه العلامة مُحَمَّد حبيب الله بن ماياي الجكني الشنقيطي (ت. 1364هـ/1944م) رسالة مدح فيها الشيخ عبد الله بن مُحَمَّد العبد، ووصفه أنه من أهل المروءات والجود والكرم والخصال الحميدة، ودعا الله في رسالته أن يجتمع به عن قريب؛ لما له من محبة صادقة في قلبه، توفي الشيخ عبد الله بن مُحَمَّد العبد رحمه الله في أوائل القرن العشرين

¹ - مُحَمَّد محمود سيدي بابكر الأرواني: كتاب الترجمان في تاريخ أزواد وأروان، مخطوط بمركز أحمد بابا التنبكي، تنبكتو

مالي رقم 73، نسخة منه عند محمود خونا الجكني بتندوف، الجزائر، الورقة 103 و.

² - بريك الله حبيب: المرجع السابق، ص 189.

³ - مُحَمَّد يحي بن مُحَمَّد المختار بن الطالب عبد الله الولاقي الشنقيطي: الرحلة الحجازية (جزء تندوف)، تح: بريك الله حبيب، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 67.

الميلادي¹.

4- مُحَمَّدُ البشير بن مُحَمَّدِ العبد بن مُحَمَّدِ الحرطاني:

هو القائد والتاجر الكبير مُحَمَّدُ البشير بن مُحَمَّدِ العبد بن مُحَمَّدِ الحرطاني بن الطاهر بن أبي بكر المسعودي الرمضاني الجكني التندوفي، كان تاجرا كبيرا ينتقل بتجارته إلى حواضر إفريقيا جنوب الصحراء، وكان غالبا يختار طريق الذهب؛ باتجاه تيجورارين وتوات، وصولا إلى تنبكتو، توفي رحمه الله تقريبا في العقد الثالث من القرن العشرين الميلادي².

5- عبد الله بن مُحَمَّدِ الصغير :

له مشاركة في العربية والشعر، أخذ العلم عن أهله وعن الفقيه سيداتي³ في أروان ، وكان تاجرا ، وهو حفيد العلامة مُحَمَّدُ المختار بن بلعمش ، توفي رحمه الله 1334هـ/1916م.

6- مُحَمَّدُ الصغير بن مُحَمَّدِ المختار بن بلعمش:

هو ابن العلامة مُحَمَّدُ المختار، كان شيخا، فقيها وتاجرا، اشتغل بالتجارة إلى تنبكتو فاكْتَسَبَ منها أموالا طائلة، وكان رحمه الله سخيا كريما، معروفا بقيام الليل سفرا وحضرا لا يفتر عن ذلك، وكان محاربا وقائدا شجاعا، مدافعا عن حوضه، وقبيلته من الغزاة والظالمين، توفي

¹ - مُحَمَّدُ حبيب الله بن مايابى الجكني : رسالة إلى الشيخ مُحَمَّدُ العبد بن مُحَمَّدِ الحرطاني الجكني: رسالة مخطوطة بخزانة أهل العبد ، تندوف، الجزائر ، الورقة 1 و.ظ

² - عبد الله حمادي الإدريسي: تندوف وتجكانت...، ج2، ص208-209 .

³ - هو العلامة مُحَمَّدُ سيداتي بن مُحَمَّدِ الكنتي الجكني التندوفي فقيه مالكي، ولد في ولاته وذهب به والده إلى أروان ، فنشأ وتعلم بها ثم انتقل إلى تنبكتو، ثم إلى تافيلالت سنة 1321هـ/1903م، وكان فيها إماما خطيبا إلى سنة 1336هـ/1917م، توفي سنة 1374هـ/1955م ، وترك رحمه الله عدة مؤلفات منها: شرح منظومة في الفقه، وشرح لمنظومة البيان، وعدة أراجيز فقهية. ينظر: خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص 154.

رحمه الله 1330 هـ / 1912 م¹.

7- تجار أروان الجكنيون:

ذكر القاضي مُجَّد محمود الأرواني في كتابه الترجمان في تاريخ أزواد وأروان؛ أن التجكانت هم أكثر من سكن أروان من التجار الواردين إليها، ومن بين التجارة الجكنيين بأروان الوالي بن عبد الرحمان، والوالي بن بهي².

- المبحث الثاني: الواقع الاجتماعي لقبيلة تجكانت.

يقوم النظام الاجتماعي لتجكانت في جوهره على أساس قبلي؛ فالقبيلة تُعد في بنية الثقافة البيضانية الجكنية، وهي بمثابة مؤسسة تقوم على روابط الدم، والقرباة في التشكيل الاجتماعي، والسياسي للمجتمع الحساني، وتظل في سيرورتها التنظيمية تخضع لسلطة الزعيم، ويعيش أعضاؤها في منطقة واحدة، ويتنسبون إلى أصل واحد، أو جد واحد، وللقبيلة أيضا أدوار ووظائف، ذات علاقة بالضبط الاجتماعي والأخلاقي والآداب العامة، وتنضوي بداخلها مجموعة من الأنماط السلوكية، والقيم، والعادات والتقاليد لترسيخ، واستمرار حياة الناس ضمن أنظمة اجتماعية متعارف عليها، لذلك فالقبيلة في النظام الاجتماعي البيضاني تتسم بخصوصيات منفردة، تجعل منها مؤسسة سلطوية تستمد دعائمها، ومشروعيتها من خلال حرصها الشديد على حماية الحقوق الفردية، والجماعية، والدفاع عن المصالح المشتركة³.

أ- الخطبة والزواج:

- الخطبة:

جرت العادة أن تتقدم أسرة الشاب إلى أسرة الفتاة لطلب يدها ويترك لهم وقت معين

¹ - مُجَّد المختار السوسي: المعسول، المرجع السابق، ج 18، ص 160.

² - مُجَّد محمود سيدي بابكر الأرواني: المصدر السابق، الورقة 100 و

³ - عبد العزيز فعراس: إدماج الثقافة الحسانية في المنظومة التعليمية، مجموعة البحث والدراسات حول ساحل الصحراء، منشورات المجلس الوطني لحقوق الإنسان، الرباط، المغرب، 2014م، ص 10-11.

تجري فيه الاستشارة، لتنتهي بالقبول أو الرفض، كما يوجد نوع من الخطبة تكون مبكرة جدا، أي منذ الولادة، وهذا منتشر في بعض الأعراف التي تميز قبائل البيضان، فمنذ طفولة الفتيان والفتيات تتفق الأسر على خطوبتهم، فمن تقاليدهم في الخطبة عقد الخيط، فعندما تولد بنت لعائلة شريفة أو ذات رحم، يُعقد خيط في رجلها، وتعهده من لها ولد كفاء لتلك البنت، كخطبة موعود بها، وترسل أم البنت في أيام الأعياد هدايا تتضمن مصحفًا، وأشياء أخرى ثمينة¹.

وفي الغالب الأعم، حينما ينوي الفتى الزواج بالفتاة، يصعب عليه أن يصارح والده مباشرة، لأنه يستحي منه، فيذكر ذلك لأمه، وإن كانت غير موجودة، يبحث عن آخر قريب من والده، وبعد قبول أهله وموافقهم، تذهب جماعة من أهل الخطيب إلى أهل الفتاة لخطبتها؛ حاملين معهم بعض الهدايا، وهو ما يسمى بالواجب، وفيما يتعلق باختيار الخطيبة أو زوجة المستقبل، يتم حسب معايير وأعراف القبيلة، حيث تكون بنت العم من أهم المرشحات حفاظًا على قوة روابط العائلة، وسلطة الأب مطلقة في هذا المجال، سواء من جهة زواج ابنته، وقبوله للخطيب، أو من جهة زواج ابنه، بحيث له سلطة في اختيار ولده لشريكة حياته، وغالبا ما يتم هذا الاختيار على أساس نسب الفتاة، كون النسب والدين هو المعيار الرئيسي، وقد يتم الزواج بدون معرفة الزوجين لبعضهما، بحيث يكفي أن يعرف نسبها ودينها².

وقبيلة تجكانت كغيرها من قبائل الزوايا المحافظة، تكون العلاقة وفق ما يحدده الشرع الإسلامي، كتجنب الخلوة، وغير ذلك من الضوابط الشرعية بين الخطيبين، وبالنسبة للفتاة فإنها تخضع لما يسمى عملية (لبلوح)، في فترة خطوبتها؛ وهو عملية التسمين القسري للبنت، لكي تكون مهياةً بدنيا للزواج، ولبلوح كلمة مخيفة جدا للبنت، لأنها تعني ألم ومعاناة، وشرب كمية

¹ – المختار بن حامد: حياة موريتانية (الحياة الثقافية)، المصدر السابق، ج2، ص183.

² – مُجَّد الصافي: المرجع السابق، ص126.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

كبيرة من الحليب، من الفجر حتى وقت متأخر من الليل، ويتبادر للذهن أن الكلمة مشتقة من البلحة؛ التي يسعى صاحب النخل جاهدا في سقيه والاعتناء به حتى تكبر، وتصبح وافية لكي تكون فيما بعد تمرا جيدا، وكذلك البنت تسقى من الحليب لتكون امرأة مكتملة جسميا للزواج، وعند انتهاء بلوح تفرح البنت المبلّحة يوم مغادرة مكان بلوح، لتلتقي بأهلها بعد أكثر من شهرين أو ثلاث؛ حاملة باليوم الذي تزف فيه عروسا إلى بيت زوجها، وتطوي بذلك صفحة معاناة بلوح¹.

لكل مجتمع عادات وتقاليد من الصعب أن يفهمها غيره، ففي المجتمع الصحراوي البيضاوي تكون المرأة الممتلئة مفضّلة، عكس الرجل الذي يجب أن يتميز بال نحافة والخفة، رغم كل هذا يبقى لبّوح عملية غير صحية، وتخلّف آثارا سلبية على صحة البنت، ولو صاحب ذلك آثار إيجابية على نفسيّتها، لأنها تبدو فيما يرضي المجتمع، فيقال لها بالحسانية (لابسة دراعة من التباط)، دلالة على جمال مظهرها².

- الزواج:

يُعد الزواج سنة وفضيلة، وهو كذلك ضرورة اجتماعية؛ إذ هو نقطة التحول الذي تدور حوله الحياة في المجتمع خاصة الصحراوي منه، وهو نقطة الارتكاز التي يقوم عليها البناء الاجتماعي وما يتضمنه من أنساق ونظم، وعلاقات اجتماعية، والتقاليد في المجتمعات الصحراوية تنظر إلى الزواج أنه وسيلة لإنجاب الأولاد واستمرار الجنس البشري، وتعزيز الروابط بين أعضاء الأسرة والقبيلة³.

¹ - المرجع نفسه، ص 126.

² - مُجد عمر سيدي مُجد: يوميات فتى من صنهاجة، د.د.ن، موريتانيا، ط1، 2018م، ص25. ينظر: أناس بن الشيخ : المرجع السابق، ص 94.

³ - مُجد الصائقي: شذرات من عادات وتقاليد المجتمع الصحراوية بجنوب المغرب، في مجلة الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، المنامة، البحرين، مج 11، عدد41، 2018م، ص122- 133.

– الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

وتتميز قبيلة تجكانت كغيرها من قبائل الزوايا أنها تعتمد على منطق الزواج الداخلي؛ لتقوية عصبيتها، فالزواج بينت العم من داخل القبيلة، يدخل في مبدأ الكفاءة، ويمثل موقفا واعيا للحفاظ على بنية القرابة للقبيلة، وإحكام نسيجها جيدا، حيث أن المصاهرات الداخلية تقضي على الصراعات الداخلية، وكذلك عرفت قبيلة تجكانت مصاهرات خارجية أكبرها مع قبائل الزوايا مثل قبيلة كنته، وتكون قليلة جدا مع غيرها من القبائل، كما أن عامل النسب مهم جدا في تجكانت حيث هو المهيمن، وعليه يبنى النظام الاجتماعي والسياسي، ويستمد رمزته من نسق القرابة أو عمود النسب الأبوي، وهكذا تبدوا القبلية كالشجرة التي يمثل كل فرع من فروعها مستوى معين من تفرعات القبيلة¹.

ويرتبط الزواج بصفة عامة عند البيضان بالأصل، والنسب الشريف، وكذلك بالمكانة الاجتماعية، والخلق والدين، والزواج مناسبة بالغة الأهمية في المجتمع البيضاني، ويفضله تنتج علاقات متينة بين القبائل، وتتعقد فيه التحالفات التي تؤدي إلى دمج أشخاص خارج القبيلة². وتتم مراسيم الزواج عند تجكانت بعدة مراحل تتمثل في:

– عقد القران:

هو المرحلة الأساسية في مراسيم الزواج، وهو عقد على مذهب الإمام مالك، سواء في ذلك قبائل الزوايا، وحسان واللحمة، أما الزوايا مطلعون بأحكامه، وأما قبائل حسان واللحمة؛ فيتولى لهم العقد أحد من الزوايا³. ومن مراسيم الزواج عند قبيلة تجكانت، أنه أثناء قدوم أهل العريس وبعد التناول يجتمع الناس على هؤلاء القادمين للترحيب بهم؛ فيقدم الأكل،

¹ – أناس ابن الشيخ : طقس الزواج ومكانة المرأة في المجتمع البيضاني ، في مجلة أنثروبولوجيا ، المجلة العربية للدراسات الانثروبولوجية المعاصرة، العدد 03، مركز فاعلون، الجزائر، 2016م، ص 92-93.

² – المرجع نفسه، ص94. ينظر: ينظر فيليب مارشزين: القبائل، الإثنيات والسلطة في موريتانيا، تر: محمد بن بوعلييه بن الغراب، جسر، نواكشوط، موريتانيا، ط1، 2012م، ص 27.

³ – أحمد بن الأمين الشنقيطي: المصدر السابق، ص 495.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

ويجتمع كبار القبيلة في الخيمة لعقد القران.

- المهر والدفوع:

يأتي أهل الزوج بصداق العروس المكون حسب التقاليد من الإبل والأثواب، والحلي، والسكر، والشاي، والبخور، والعطور، وكل هذا حسب القدرة. وخلال الموعد المحدد للزواج، يذهب أهل العريس في موكب جماعي إلى الفريك (مجموعة من عشرة خيام)، الذي يوجد فيه أهل العروس، وحينما يصلون يقوم أهل العروس باستقبال الوافدين وهذا الموكب تعلوه الزغاريد والأهازيج¹.

- الوليمة:

وفي نفس الليلة يكون الدفوع، ويعقد القران وتكون الوليمة، حيث يلبس فيها العريس الشاش والعباءة الفضفاضة التي تسمى: (الدراعة)، والأفضل أن تكون بيضاء اللون مع لثام أسود. وبالنسبة للعروس تلبس ملحفتين واحدة سوداء والثانية بيضاء مع الحلي والخرز، الذي يوضع على رأس العروس بشكل مزخرف². ويعلن النكاح بالدف، ويتبادل الأصدقاء الاحترام، والإكرام، ويحضر الزوج بعدها عند أصهاره، في أيام الأعياد، ويعد تخلفه استهانة إلا لعذر³.

- الرحيل:

يستأذن العريس أهل عروسه في الرحيل، بعد مرور فترة تختلف من قبيلة إلى أخرى تصل في بعض الأحيان عدة شهور، والرحيل هو من أصعب المراحل التي تمر بها العروس، لأنها ستفارق أهلها، المكان الذي عاشت فيه طفولتها، فيُحدد يوم للرحيل مسبقا، حتى يتمكن أهل

¹ - مُجَّد الصافي: المرجع السابق، ص126.

² - أناس بن الشيخ: المرجع السابق، ص96.

³ - المختار بن حامد: حياة موريتانيا (الحياة الثقافية)، المصدر السابق، ج2، ص183.

العروسة من تحضير جهازها، الذي سترحل به، حيث تزين العروسة، وتركب هودجها على ظهر الجمل الذي يقوده زوجها إلى أن يصل إلى (لفريك) أين يسكن أهله؛ حيث تقوم أم الزوج حينها ببناء خيمة للعريسين، ويعمل الزوج على تزيينها، وتقيم الزوجة مع عائلة زوجها أياما قبل أن تستقل في خيمتها¹.

ب- مكانة المرأة عند تجكانت:

تكتسي المرأة مكانة هامة في المجتمع الجكني؛ شأنها في ذلك شأن قبائل البيضان، كأنهن لم يخلقن إلا للتبجيل، والإكرام والتودد لهن، فلا تكليف عليهن، ولا تعنيف، فالمرأة هي سيّدة جميع ما يتعلق بالبيت من متاع وما شابه، والرجل بمثابة الضيف، فلها أن تفعل ما شاءت، وليس من العادة أن تفعل شيئا بيدها، إلا أن تكون في بيت فقير فتفعل ذلك، وتحتجب نساء الزوايا غالبا، وتمتزن بالقراءة الواسعة وحرصهن على طلب العلم والمعرفة خاصة حفظ القرآن والمتون الفقهية².

ومن بين الأعراف السائدة في تجكانت وعموم قبائل البيضان أن المرأة لا تشارك في الحروب، ويحظر ذهابها إلى الأسواق، ولا تشارك في الاجتماعات، وأكثر أوقاتها في خيمتها ورعاية أبنائها، ومما يدل على مكانة المرأة هو وجودها في الأمثال الحسانية، والنوازل الفقهية، وكل هذا يشير إلى المكانة المرموقة التي تحظى بها في المجتمع البيضاني، وأن قواعد التعامل معها لا تخرج عن الود والتقدير³.

ولا تشعر المرأة بالنقص أبدا، كونها مطلقة، ولو كان عندها أطفال، فهذا لا ينقص من حظها في الزواج مرة أخرى، وكذلك الأرملة، حيث لا تشعر أي منهما بالدونية، على عكس

¹ - مُجَّد الصافي: المرجع السابق، ص 127.

² - المختار بن حامد: حياة موريتانيا (الحياة الثقافية)، المصدر السابق، ج 2، ص 179-180.

³ - أناس بن الشيخ: المرجع السابق، ص 98.

بعض المجتمعات الأخرى، حيث تمارس المرأة المطلقة، والأرملة جميع وظائفها في الحياة بشكل طبيعي¹.

ج- الاحتفالات الدينية وعادات الطعام والشراب لتجكانت.

- الاحتفالات الدينية:

يحتفل الجكنيون ؛ كغيرهم من المسلمين بالأعياد الشرعية الإسلامية؛ كعيد الفطر وعيد الأضحى، وبالمولد النبوي الشريف في الثاني عشر من شهر ربيع الأول كل سنة، فتتلى المدائح في ليلته ويومه؛ منها قصائد الهمزية، وميمية البوصيري المعرفة بالبردة، وقصائد ابن مهيب، والغازاري.

وقد تبدأ في بعض الحواضر الجكنية بتلاوة هذه المدائح من منتصف شهر صفر، كما يقرؤون أيضا كتاب الشفا للقاضي عياض مع الشرح؛ ابتداءً من شهر جمادى الأول بين الظهر والعصر في كل يوم حتى السادس والعشرين من رمضان، وهذه الأعياد تشكل مناسبات للفرح، فتلبس فيها أجمل الثياب، ويوسّع فيه على العيال².

- عادات الطعام والشراب: كثيرة ومتعددة، نذكر منها:

- التمر واللبن: هو مادة أساسية عند المجتمعات الصحراوية بصفة عامة، ووجوده ضرورة في كل خيمة، وهو أول ما يقدم للضيوف.

¹ - بارك الله محمد وليو: صورة المرأة الصحراوية في الأدب الحساني ، مقال ضمن كتاب تمثّلات المرأة في المتخيل والتراث الشفهي المغربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ط1، 2008م، ص 55.

² - محمود محمد ددب التنبكي الأرواني: من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، المملكة المغربية، 1432هـ/2011م، ص 203-204.

- الكسكس:

ويتم تحضيره من طحن القمح، والعملية تُسمى البريم، وللكسكس عدّة أسماء، منها العيش، والطعام، وإنضاج الكسكس يكون عل البخار، ويؤكل بالمرق، أو بالدهن، أو بالحليب، والطعام هو وجبة الغذاء، وهو الطعام الذي يمكن تقديمه للضيوف نظرا لمكانته وأفضليته¹.

وهناك وجبات أخرى، مثل: العصيدة من القمح أو الدخن، وكذلك وجبة الكسرة وهي نوع من الخبز الذي يعجن وينضج في الرمل، ويجزأ إلى أجزاء صغيرة، ويؤكل بمرق اللحم، أو دهن الماعز أو البقر، وكذلك من الوجبات الأرز باللحم²، والبنافة وهي خليط من كبد وقلب ولحم الجمل وشحم ذروته.

- الشاي:

عرفت بلاد المغرب دخول عشبة الشاي في القرن 12هـ/18م، وانتشرت في كافة أرجائه في منتصف القرن التاسع عشر، ويذكر المؤرخون أن الشاي دخل بلاد المغرب الكبير على يد التجار الانجليز، وانتشر بحواضر الصحراء حتى وصل تنبكتو³.

وقد كان للشاي مكانة متميزة في المناطق الصحراوية؛ بداية من القرن العشرين الميلادي، وأصبحت له طقوس وعادات متميزة داخل المجتمع الصحراوي؛ حيث فرض الشاي حضوره الدائم في حياة المجتمع الصحراوي وعاداته⁴.

¹ - مُجَّد عمر سيدي مُجَّد، المرجع السابق، ص 40-43.

² - المختار بن حامد: حياة موريتانيا (الحياة الثقافية)، المصدر السابق، ج2، ص169.

³ - ينظر: عبد الحق المريني: الشاي في الأدب المغربي: في مجلة دعوة الحق، العدد 311، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب محرم-صفر 1416/ يونيو- يوليوز 1995.

⁴ - مُجَّد الصافي: المرجع السابق، ص129.

– الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

وهكذا أصبح الشاي يكتسي أهمية كبيرة بالصحراء الكبرى، وغرب إفريقيا، وهو الوسط الجغرافي لقبيلة تجكانت، خاصة بشنقيط، ومناطق السوس جنوب المغرب، وتوات بالجنوب الغربي للجزائر، وهو ما يتجلى في القصائد التي نظمها أدباء هاته المناطق، فقد أسهم هؤلاء بشكل خاص في ذكر الصفات والخصال التي يجب أن تتجلى في مقيم الأتاي؛ من الوقار، والتواضع، والاتزان، والحكمة إلى جانب النظافة وأناقة اللباس¹.

ويعتبر الشاي أحد المشروبات المنتشرة في جميع أنحاء العالم، وتختلف أنواعه وطرق تحضيره خصوصا في الحواضر الصحراوية؛ حيث يطلق عليه أتا، وله مكانته الخاصة حيث يُعتبر رمزا للترحاب وحسن الضيافة، ويتميز بطريقة خاصة في التحضير والتقديم، وقد حافظ الإنسان الصحراوي على أدبيات وطقوس إعداد الشاي، وأبرز هذه الأدبيات يطلق عليها؛ جيمات أتا، الثلاثة؛ أي الجماعة، (والجر)، وهو كناية عن استحسان إطالة المدة الزمنية لتحضيره، وهو ما يتيح للجماعة البقاء معا أطول مدة، والجيم الثالثة هي الجمر، إذ من الأفضل إعداد الشاي على الجمر، فلذلك لا يخلو أي بيت في حواضر تجكانت من مادة الشاي، وأواني إعدادها بما يسمى محليا (صينية لاتاي)².

وغالبا ما يشرب الجكينيون، وأهالي الصحراء ثلاثة كؤوس شاي في ثلاث دورات، في الصباح الباكر، وبعد وجبة الغذاء، وبعد وجبة العشاء، وهناك من يفضله وقت العصر، وهناك من يشربه بعد المغرب، وفي الغالب الشاي حاضر في كل المناسبات الاجتماعية المحزنة منها والمفرحة، حتى في بيت العزاء يقسم الشاي على المعزين، ومنه يمكننا القول أن الشاي مرتبط بالإنسان في كل أحواله، وكأنه المؤنس في فلاة الصحراء وقساوة مناخها، وبه أصبح عادة متجذرة بحيث أن من لا يشرب الشاي يكون محل تعجب في الوسط الصحراوي، و مما يدل

¹ – عبد الأحد السبتي وعبد الرحمان لخصاصي: من الشاي إلى الأتاي العادة والتاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1999م، ص45.

² – مُجَدِّ الصافي: المرجع السابق، ص130.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

كذلك على تمسك الجكنيين بالشاي وحبهم له؛ ما أنشده الشاعر مُجَّد العاقب الجكني في رائيته المتميزة التي يعبر فيها عن حبه للأتاي وفوائده حيث يقول:

أَتَايَ أَتَايَ لَابَسُّ ثَوْبِ شُبْهَةٍ تُنَازَعُهُ فِيهَا الْإِبَاحَةُ وَالْحَظْرُ
فَطَوْرًا لَهُ شِبْهُهُ الْعَسُولِ وَتَارَةً يَرِيكَ بِكِبْرِيَاءِهِ أَنَّهُ الْخَمْرُ
هُوَ الْخَمْرُ إِلَّا أَنَّ فِيهِ مَنَافِعًا وَليْسَ بِهِ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَلَا سُكْرُ

ويقول أيضا:

أَتَايَ هُوَ الشُّرْبُ الْحَلَالُ اكْتِشَافُهُ وَحَاشَاؤُهُ مِنْ أَنْ يُسْتَدَمَّ وَيُمنَعَا
مَنَافِعُهُ تُنْبِيكَ فَاسْتَفْتِ شُرْبَهُ وَلَا سِيَمًا مَا كَانَ مِنْهُ مُنْعَنًا¹

ولتحضير الشاي تلزم مجموعة من الأواني تطلق عليها أسماء محلية حسانية وهي:

-**الصينية:** وهي كلمة تطلق على الآنية المعدنية التي توضع عليها لوازم الشاي، ويطلق عليها كذلك طبله لاتاي.

-**المنديل:** يطلق عليه أيضا محليا الزيف، أو الدرة: وهي عبارة عن غطاء من الكتان لتغطية أواني الشاي وتخفيفها بعد غسلها.

- **البراد:** وهي التسمية المحلية لإبريق الشاي.

- **المقراج:** أو البقراج كلمة من أصل تركي، وتطلق على الإبريق الذي يسخن فيه الماء لإعداد الشاي، ويطلق عليه كذلك اسم الغلاي أو السخان.

¹ - المختار بن حامد: حياة موريتانيا (الحياة الثقافية)، المصدر السابق، ج2، ص175-178.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

- **المَجْمَر**: هو ماعون معدني يوضع فيه الجمر لطبخ الشاي، يسمى أيضا الكانون إذا كان من الطين.

- **الكيسان**: جمع كأس وهي الصيغة التي ساد استعمالها في اللهجة الحسانية، وتعتبر كؤوس البيلار، والطاوس، (والعقي) من أجود أنواع الكؤوس المستعملة لشرب الشاي التي ساد استعمالها بجواضر غرب الصحراء الكبرى¹.

- **كاس التشليلة**: كأس خاص يكون من المعدن في الغالب؛ يفرغ فيه الماء الذي عُسلت به أوراق الشاي في بداية تحضيره.

- **زمبيل أتاوي**: علبة معدنية خاصة بالشاي، وفي بعض المناطق تكون من القماش، أو الجلد للاحتفاظ بأوراق الشاي.

- **ربعية السكر**: وهي علبة معدنية؛ يُحتفظ فيها بالسكر.

- **مطرقة السكر**: أداة تستعمل لتكسير سكر القالب، وتكون من النحاس.

- **الرابوز**: أو الرابوس، هو منفاخ يستعمل لتقوية النار في الجمر، ويطلق عليه كذلك الكير.

- **المبخرة**: ماعون معدني صغير يستعمل لإحراق أنواع البخور خلال جلسة الشاي أو بعدها².

يُعتبر شرب الشاي موروثا ثقافيا متأصلا عند المجتمع الصحراوي، لأن له فوائد صحية عظيمة، منها أنه يساعد على الهضم؛ لذلك حرص شاربوه على تناوله بعد وجبات اللحم الدسمة، ومن فوائده أيضا أنه يقي من الأمراض الخبيثة، وهو منبه ومساعد على النشاط لذلك

¹ - عبد الأحد السبتي، عبد الرحمان لخصاصي: المرجع السابق، ص 401-402.

² - المرجع نفسه، ص 402-403. ينظر: مُجد الصافي: المرجع السابق، ص 130.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

كان رفيق العلماء والحكماء، وعموما لا يُعتبر الشاي في الصحراء مشروبا تقليديا فحسب، بل هو سمة من سمات كرم الصحراء، وعلامة من علامات الحفاوة، وحسن الاستقبال، وثقافة شعبية تميز المجتمع الصحراوي عامة، والبيضاني خاصة.

- المبحث الثالث: جوانب من الواقع الثقافي لتجكانت.

أ- الثقافة الشعبية الحسانية عند تجكانت:

إن اختلاف تعاريف الثقافة؛ يعكس لنا أنها مفهوم واسع النطاق، فحسب تايلور الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة، والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون والعرف، ومختلف القدرات التي يكتسبها الإنسان من المجتمع باعتباره عضو فيه، فهي إلى جانب كونها ذاكرة الشعوب والمجتمعات، تعد وسيلة تساعد على ربط الأفراد والجماعات¹.

وقد ساهم في تشكيل ملامح الثقافة الصحراوية الحسانية الكثير من العناصر البنيوية المرتبطة بفضاء، وطرق العيش بالبادية، فضلا عن الإبداعات، والعوائد، والطقوس الشعبية، والاحتفالات الاجتماعية، والدينية؛ التي ترسم في غناها وتعددتها هوية الإنسان الحساني البيضاني، الذي عاش داخل بيئته البدوية حياة طليقة بفكر بعيد عن التقييد².

وتعتبر اللهجة الحسانية جزء مهم ومميز للثقافة الحسانية ككل، وتسمى كذلك كلام البيضان؛ فهي إحدى اللهجات العربية الحية في منطقة غرب الصحراء الكبرى، وبالضبط في جنوب الجزائر و جنوب المغرب، وفي موريتانيا، وفي شمال مالي، وشمال النيجر، وأجزاء من السنغال، وقد نتجت اللهجة الحسانية عن امتزاج لغة العرب القادمين من المشرق مع لغة الأمازيغ من صنهاجة المثلثين، إضافة إلى امتزاجها بلغة قبائل السوننكي والبولار، والوولف،

¹ - عبد العزيز فراس : المرجع السابق، ص 07.

² - المرجع نفسه، ص 10.

والبنبارى المتواجدة في غرب إفريقيا¹.

فاللهجة الحسانية في مشهورها لسان لغوي ينسب إلى قبائل بني حسان، وهي نسبة اصطلاحية فقط إذا نظرنا أن هذه اللهجة لا يتحدثها بنو حسان فقط، وإنما يتحدثها جميع القبائل المكونة للمجتمع البيضاني الذي ينقسم إلى قبائل الزوايا التي تضم صنهاجة والشرفاء، وقبائل بني حسان، وقبائل اللحمة الذين هم خليط عرقي متعدّد².

وقد بدأت الحسانية بالظهور عند وصول الإسلام واللغة العربية إلى عُرق غرب الصحراء الإفريقية الكبرى، خاصة مع دولة المرابطين ويدل على ذلك أنها تحمل الكثير من الألفاظ الصنهاجية التي كان يتحدث بها المثلثون آنذاك، فقد كان انتشار الإسلام بهذه الربوع الصنهاجية بمثابة نفضة أدبية وفكرية شاملة؛ عرفت فيها اللغة العربية الاهتمام الكبير لارتباطها بالقرآن الكريم، وقد يأتي هذا التأثير مع السور القرآنية التي على المسلم أن يقرأها ويحفظها³. وزاد من انتشار اللغة العربية وتوسعها وصول القبائل العربية؛ التي تعرف بهجرات بني هلال وبني سليم واستقرارهم بهذه الأماكن، فتكونت عدة تنوعات متميزة في الحسانية أهمها:

- حسانية منطقة شريط الصحراء الأطلسية الساقية الحمراء ووادي الذهب، وقد تفاعلت مع اللهجات الكنارية، بفعل الترابط القديم بين سكان هاتين الضفتين⁴.

- حسانية منطقة تندوف ولحفيرة وأحوازها، وقد عززت رصيد الحسانية المعجمي والصوتي.

¹ - سيدي احمد ولد احمد سالم: التراث الصحراوي الذاكرة والتاريخ، ضمن أعمال ندوة الداخلة الدولية 16-17 ديسمبر 2011م، منشورات المجلس الوطني لحقوق الانسان، الرباط، المغرب، 2011م، ص 272.

² - سويدي تمكليت: اللسان الحساني بين إشكالية التأصيل وتأصيل الإشكال اللغوي، مقال ضمن كتاب اللسان الحساني بمجال الصحراء مجالا تأليلية ولسانية، تنسيق حمادي هباد وسويدي تمكليت، منشورات مركز الدراسات والأبحاث مشاريع، المطبعة والوراقة الوطنية، المملكة المغربية، ط1، 2013م، ص 30.

³ - مُجد المختار ولد اباه: الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط2، 2003م، ص 12.

⁴ - سويدي تمكليت: المرجع السابق، ص 46.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

- حسانية منطقة تيرس وأغوينت، وأحوازها وهي لهجة متميزة نوعا ما عن غيرها وقد ساهم في ذلك موقعها بين مجالي موريتانيا والصحراء الأطلسية .

- حسانية المجال الموريتاني، التي خضعت للتأثيرات الحدودية المجاورة لها، حيث دخلت إلى الحسانية بعض المفردات الولفية، مثل مفردة أجرجور وختان التي تعني الحديث أو الكلام، ومن جهة القبلة احتكت الحسانية باللهجات الزنجية خاصة السنونكي.

- حسانية منطقة الأزواد، التي تأثرت بلغة إيموهاغ الطوارق، فالعديد من مفردات اللغة التارقية دخلت إلى اللهجة الحسانية، وكل هذه التنوعات التي ذكرنا لهم صوت نغمي متقارب تعرف من خلاله أنها حسانية وتختلف في المفردات التي تحملها كل جهة نظرا لعلاقة التأثير والتأثر بالثقافات واللهجات المجاورة، وقد ساهمت في هذا التباين المرصود في الحسانية وراثه مجموعة من العوامل أهمها المحيط اللغوي الذي تتمركز فيه اللهجة الحسانية ومؤثراته¹.

- حرب شَرْبَةَ الأولى² ودورها في انتشار اللهجة الحسانية بغرب الصحراء الكبرى:

تعود الجذور التاريخية لهذه الحرب؛ حينما وصلت في بحر القرن 8هـ/14م قبائل عرب المعقل إلى مشارف بلاد شنقيط، وبدأت أفواج وحملات بني حسان المعقلين تتوغل في البلاد مؤدية إلى مزيد من السبية وصلت إلى أوجها باندلاع الحرب الصنهاجية الحسانية الكبرى المعروفة بحرب شربه الأولى(870-885هـ/1466-1480م)³.

¹ - المرجع نفسه، ص54. ينظر: ملحق الخرائط، الخريطة رقم 04.

² - سميت بحرب شَرْبَةَ أو شربيات نسبة إلى بيا وهو لقب الملك في إمارة أبدوكل. ينظر. حماه الله ولد السالم: بلاد شنقيط موريتانيا من العصور القديمة إلى حرب شربه الكبرى بين أولاد الناصر ودولة أبدوكل للمتونة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 169.

³ - الحسين بن محنض: تاريخ موريتانيا الحديث من دولة الإمام ناصر الدين إلى مقدم الإستعمار (1055-1322هـ/1645-1905م)، دار الفكر، نواكشوط، موريتانيا، 1431هـ/2010م، ص 09.

– الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

وفي القرن الرابع عشر ميلادي انتقل جد كنته سيد اعلي إلى غرب الصحراء الكبرى وتزوج أهو بنت مُجَّد بن آلم بن كنت بن زم رئيس أبدوكل اللمتوني، رزق منها ولد اسمه سيدي المُجَّد الكنتي، ورجع سيد اعلي إلى توات وبها توفي ودفن إلى جنب أبويه بقصر عزي.

وقد نشأ سيدي المُجَّد الكنتي بن سيد اعلي في أخواله صنهاجة، وحفظ كتاب الله وأتقن مختلف العلوم الشرعية واللغوية، واستوطن بمن معه من تلامذته منطقة بين تيرس والساقية الحمراء، فكان محترما معظما عند لمتونة وبني حسان¹. واختلف مع أخواله أبدوكل لما رأى فيهم من الظلم فارتحل عنهم، وهناك أسباب أخرى جعلت الشيخ سيدي المُجَّد الكنتي يغضب ويرحل منها: رفض أبدوكل شفاعته في رد المنهوبات التي يحصلون عليها من إغارتهم على قوافل تلامذته أو أصهاره من تجكانت، إضافة لذلك أن الشيخ الكنتي كان شديد الإنكار على أخواله بشأن المعاملات التي تخالف الشرع الصحيح، وقد صادف اتساع الهوة بين الكنتي وأبدوكل تربص القبائل الحسانية بإمارة أبدوكل²، فلما علم أولاد الناصر³ بذلك تحالفوا معه وطلبوا منه أن يعطيهم دولة لمتونة، فقال لهم: أعطيتكموها على شرط أنكم إذا بلغت منهم الحد الذي تامنون شوكتهم رفعتهم عنهم السيف. فعاهده أولاد الناصر على ذلك، وحاربوا أبدوكل وألحقوا بهم هزيمة كبيرة جدا، وكل من بقي منهم استسلم وأصبح لحمة بعدما كان سيادا، وفرضوا عليهم المغارم، ومن كان منهم من الزوايا أهل العلم والدين أبقوه على ماكان عليه، واجتمعت

¹ – حمه الله ولد السالم: بلاد شنكيطي موريتانيا من العصور القديمة إلى حرب شريبه الكبرى بين أولاد الناصر ودولة أبدوكل اللمتونية، المرجع السابق، ص 166.

² – المرجع نفسه، ص 168.

³ – أولاد الناصر هم أبناء ناصر، وقيل اسمه شهاب بن مغفر بن أودي(عدي) بن حسان بن مختار بن عاقل بن معقل الجد الجامع للقبائل المعقلية، وينقسم أولاد الناصر إلى قسمين؛ العناتر من أولادعنتر بن ناصر، والعيسات من أولاد عيسى بن ناصر، ومن أولاد الناصر في وادي نون أولاد أعمار، وأولاد اعلي، وأولاد مسعود، ولكرامة، وأولاد أحمد، وفي شرق بلاد شنقيط يوجد أولاد العباس، وأولاد الصغير، وأولاد الطالب، وأولاد أمرين، وأولاد انوال. ينظر: المرجع نفسه، ص 169.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

الجموع على سيدي أمجد الكنتي بالصحراء فصار إماما وشيخا مقدا بتأييد من أولاد الناصر¹.

وقد استند الشيخ سيدي أمجد الكنتي على فتوى قاضي تينيقي يعقوب الجكني بشرعية قتال أبدوكل، حيث دعمها الشيخ الكنتي وأفتى بها أيضا، ومن الطبيعي أن يعضد الجكنيون الشيخ الكنتي بحكم المصاهرة والرحم الذي يجمعهم².

وبعد انتهاء هذه الحرب الصنهاجية الحسانية شربه في أوائل القرن 10هـ/16م، استطاع الحسانيون تكريس نفوذهم وهيمنتهم، وإن لم يفلحوا في القضاء النهائي على العصبية الصنهاجية، حيث استطاعت بعض القبائل الصنهاجية أن تبني تحالفات موازية لشوكة القبائل الحسانية، وفرضت احترامها وهيمنتها دون سلاح حيث كانت محمية من طرف القبائل المحاربة بفعل الاعتبار، والتأثير الروحي الذي يجلبه العلم والتدين. وبعد قرنين أو ثلاث من مجيء بني حسان لغرب الصحراء الكبرى، عرفت المنطقة مجموعة من التحولات الاجتماعية والسياسية العميقة في المنطقة، حي نشأت أمة مندججة ذات طبيعة واحدة، ولغة واحدة، وعادات وتقاليد واحدة تسمى بأمة البيضان وأصبحت البلاد تسمى بلاد البيضان³.

وهكذا شهدت بلاد البيضان موجة تعريب شاملة، ظلت تترسخ طيلة العصور التالية لمقدم بني حسان، حيث أدت إلى التضييق على اللسان الصنهاجي إلا من جيوب قليلة في جنوب غرب بلاد شنقيط، كما تقاسم البيضان نفس التراتبية الاجتماعية، فوجد كل منهم في الزوايا

¹ - سيد أمجد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الكنتي الوافي: الرسالة الغلاوية، تح: حماد الله ولد السالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المغرب، 2003م، ص 150-151.

² - حماد الله ولد السالم: بلاد شنقيط موريتانيا من العصور القديمة إلى حرب شربه الكبرى بين أولاد الناصر ودولة أبدوكل اللمتونية، المرجع السابق، ص 172.

³ - الحسين بن محض: تاريخ موريتانيا الحديث من دولة الإمام ناصر الدين إلى مقدم الإستعمار (1055-1322هـ/1645-1905م)، دار الفكر، نواكشوط، موريتانيا، 1431هـ/2010م، ص 09.

والعرب واللحمة¹.

وقد ساهم سيادة النظام الأميري الحساني في بلاد شنقيط، بعد فشل مشروع دولة الإمام ناصر الدين (1076-1088هـ / 1665-1677م)، في انتشار اللهجة الحسانية، وتشكل الهوية البيضانية، وبالرغم من هذه الظروف السياسية لم تتخلى بعض القبائل كلياً عن لسانها الصنهاجية لصالح الحسانية، وظل ذلك إلى غاية قيام دولة موريتانيا المعاصرة بعد استقلالها عن فرنسا 1380هـ/1960م.

وبالرغم أن العنصرين الصنهاجي والحساني يمثلان أساساً للهوية البيضانية، فإنه من الخطأ إهمال الرافد الإفريقي الزنجي في ثقافة البيضان، فالفلكلور والموسيقى والأزياء البيضانية، وحتى بعض التقاليد الاجتماعية، مدينة في كثير من جوانبها للثقافة الزنجية المجاورة، وبهذا تمثل المجال البيضاني نقطة التقاء تلاقت فيها ثقافات شمالية وجنوبية مختلفة ظلت تتعدد على مر التاريخ بتعدد الهجرات البشرية التي احتضنتها الصحراء².

و انطلاقاً من ذلك، يمكننا القول بأن هذه اللهجة التي أطلق عليها الحسانية لا تعني بني حسان وحدهم، فهي من باب إطلاق الجزء على الكل، وقد يكون هذا بسبب قوة بني حسان المحاربين وانتشارهم في المنطقة كما ذكرنا؛ لكن الاسم الأصح والجامع مع قلة شهرته هو أن نطلق عليها اللهجة البيضانية، وهو منطلق كل من يتكلمها من صنهاجة، وأشراف، وعرب من مختلف فروعهم، وكذلك من اللحمة التي تضم مجموعات متعددة من الأعراق أغلبهم من المستضعفين.

¹ - المرجع نفسه، ص 09.

² - المرجع نفسه، ص 11-12.

ب- الأمثال والحكم في المجتمع الجكني :

لقد عرفت الإنسانية، ضرب الأمثال والحكم عبر تاريخها، فهي تعكس مشاعر الشعوب وثقافتهم، واختلاف طبقاتهم وانتماءاتهم، ومعظم مظاهر الحياة في تصوير دقيق، ودلالة قوية؛ ما يجعل المثل عصارة حكمة الشعوب وذاكرتها¹، لذلك لا تخلو أمة من أمثال تضرب في كلامها، ولا من حكم تصدرها لقيادة السلوك العام لأفرادها، والأمة العربية والإسلامية ككل الأمم تملك في رصيدها الفكري ثراء واسعا في هذا المجال ، فالمثل قول موجز صور فيه قائله حادثة معينة فصار مضربا في كل مناسبة شبيهة بتلك الحادثة ، والحكمة هي خلاصة لتجارب الناس المتكررة يستخلصها الحكيم، بغية النصح والإرشاد، وأملا في نفع الآخرين، لذلك فالفرق واضح بين المثل الذي يأتي على لسان أيّ كان من عامة الناس، أو خاصتهم، والحكمة لا ترد إلا ممن جرب ظروف الحياة وألوانها ، كما أن المثل قول موجز عامة ، أما الحكمة فقد ترد في عبارة موجزة، أو في بيت من الشعر².

تعكس لنا الأمثال والحكم في المجتمع الحساني عديد القيم التي يتمتع بها هذا المجتمع الصحراوي، لأنها تعكس لنا الواقع الثقافي للمجتمع ومميزات سلوكه ، الذي يقدم لنا صورة عن قيمه المتوارثة عبر الأجيال، والمتتبع لهاته الأمثال والحكم يجدها غنية، حيث تحثّ على التحليّ بالقيم والأخلاق الفاضلة، وتذم وتنكر غير ذلك من السلوكات المشينة التي تنقص الفرد، وتلحق النقص بقبيلته؛ لأن كل فرد يعتبر سفيرا للقبيلة في المجتمع القبلي البيضاني، وهذا الواقع ساهم في انتشار الفضيلة بين أفراد هذا المجتمع، كطلب العلم، واحترام العلماء وانتشار المحاضر العلمية، كما تميز المجتمع البيضاني بالجد والكرم ، ونصرة المظلوم، وهذا لايعني عدم وجود

¹ - مبارك بن الحاج مولود قومني: المنتقى حكم وأمثال شعبية من عمق الجنوب الجزائري، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، جيجل، الجزائر، 2019م، 12.

² - أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: مجمع الأمثال، المكتبة الخضراء للطباعة والنشر، الشارقة ، الجزائر، د.ت.ن، ص03.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

بعض السلوكات السلبية في المجتمع البيضاني، حيث ستبين لنا من خلال الأمثال والحكم التي هي عصارة فكر المجتمع وتراكماته المعرفية؛ أنها كانت تدعو للتخلي عن كل الصفات المذمومة، واذمها، والتحذير من يقترب منها وعزل أصحابها، كوقاية لهذا المجتمع من الانحرافات التي قد تضر به وبسمعته، ومن بين الأمثال والحكم البيضانية المتداولة عند تجكانت:

- تقدير الصغير ومصاحبته:

يقولون في ذلك (قليب بلا غش)؛ أي أن قلب الصغير لم يدخله الدرن وغيره من أمراض القلوب، ولهم مثل آخر يقول: (ابرك من طفيل محني أيدوا)؛ أي أن الطفل الصغير تلتمس منه البركة خاصة عندما يقدم لك شيء، لا بد أن تأخذه منه في المجتمع الصحراوي عامة، واشهر كذلك قولهم: (ولدك ربيه بين الشح والرخا)، وهي إشارة إلى الاعتدال في تربية الأبناء.

- توقيير الكبير:

من الأمثلة في ذلك: (يشوف الشيباني القاعد اللي ما شاف العذري الواقف)؛ حيث يتضح لنا من هذا المثل أن الرجل الكبير في السن يرى بحكم خبرته في الحياة وهو جالس مكانه ما لا يراه الصغير وهو واقف. وكذلك ورد قول: (اللي بلا كبير بلا تديير)، وفيه إشارة إلى ضرورة استشارة كبار السن ذوي الخبرة، ومن يقرر دون الرجوع إليهم، ليس له تديير أو عقل راجح¹.

- الحث على لزوم الجماعة:

يعتبر التعاون والتكافل الاجتماعي من أهم ميزات المجتمع الصحراوي الحكني الذي

¹ - بوزيد الغلي: التربية على القيم من خلال الأمثال الحسانية، مجموعة البحث والدراسات حول ساحل الصحراء، منشورات المجلس الوطني لحقوق الإنسان، الرباط المغرب، 2014م، ص 44-46.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

اشتهرت فيه عدة أمثال وحكم تدعوا إلى وحدة الصف، ونبذ الفرقة منها: (أيد وحدة ماتصفق)، وتعني أن الفرد المنعزل، لا يستطيع أن يقوم بالمهام الجسام. ومثل آخر يقول: (حمل الجماعة ريش)، وفي سياق هذا المثل يتضح أن الأمر والشأن الصعب الثقيل إذا قامت به الجماعة وتعاونت عليه يكون خفيفا، سهلا ميسرا¹.

- حب العلم والحث على طلبه واكتسابه:

حث الإسلام على طلب العلم، وشرف أهله، وفضلهم على غيرهم، ومن هذا نجد أن عدة أمثال وحكم اشتهرت في المجتمع البيضاوي الإسلامي تدعو إلى طلب العلم، واحترام أهله، مثال ذلك: (العلم ما فيه سحوة)، الذي يحث الطلبة على عدم الحياء في السؤال. ونجد أيضا مثلاً آخر جاء فيه: (العلم زين وفخرة)؛ أي أن العلم شيء جميل ويُفتخر به.

- بر الوالدين والإحسان إليهما:

من واجب المسلم أن يكون باراً بوالديه، وهو من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى؛ وقد اشتهرت في المجتمع البيضاوي عدة أمثال تحث على البر وتبين مكانة الوالدين منها قولهم (أرقب من حق الوالدين)، ويشيرون به إلى تعظيم أمر ما، فعندما يقول ها المثل معناه أنك تريد من أمرك هذا أن يكون أكبر من حق الوالدين وهو شأن عظيم. وكذلك قولهم (البو ما يخلي العدو)، ومعناه أن الأب هو الدرع الحامي الذي يدافع عن أهله².

- الحث على العمل ودم التقاعس:

تتطلب الحياة العامة في الحواضر الصحراوية عامة قوة واجتهادا واتكالا على النفس بعد الله تعالى، لذلك اشتهرت عدة أمثال وحكم في المجتمع البيضاوي، تحث على العمل وتدم

¹ - مبارك بن الحاج مولود قومي: المرجع السابق، ص 38.

² - بوزيد الغلي: المرجع السابق، ص 44 - 46.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

الخمول والتواكل من بينها المثل الذي يقول: "اللي لابس لباس الناس عريان"، هذا المثل يشير بشكل واضح إلى ضرورة الاعتماد على النفس والزهد في ما في يد الغير.

ويوجد مثل آخر جاء فيه: "اللي ما حلب ماشرب، واللي ما خيط ما لبس"، وفي ثنايا هذا المثل الذي يوضح أن الذي لا يحلب شاته لا يمكنه شرب الحليب، ومن لم يخط ثوبه لا يمكنه أن يلبسه، وفيه حث على أن يقوم الشخص بشؤونه، ودعوة إلى العمل والاجتهاد.

وفي هذا السياق هناك مثل آخر يقول: "اللي بغى العسل يصبر على قريص النحل"، حيث يشير أنه لا بد للمجد من مشقة وتعب، ويشبهون ذلك بأن جاني العسل لا بد له أن يصبر على لسعات النحل.

- ذم الأنانية:

من بين الصفات السيئة التي ينبذها الإسلام والمجتمع هي الأنانية، والإفراط في حب الذات، حيث رغب الإسلام في الإيثار ونفع المسلمين؛ وهو ما يقوي أواصر المحبة، والأخوة بين أفراد المجتمع المسلم، وفي هذا وردت عدة أمثال حسانية مثل قولهم: "الناس مع الناس، والكيرع وحدو"، ويتضمن هذا المثل دعوة إلى التعاون، وتحذير الشخص الأناني من العزلة التي يفرضها عليه المجتمع.

- ذم البخل والشح:

البخل هو أن يبخل الإنسان على غيره لا على نفسه، والشح أن يبخل على نفسه وغيره، وهو من سيئ الخلق، التي ينبغي للمسلم أن يتعد عنها، فالبخيل مذموم في المجتمع المسلم الذي يميزه الجود والكرم، لذلك نجد عدة أمثلة متداولة في المجتمع البيضاني تدم البخل والبخلاء، منها قولهم: "اليد الباخلة ما لها دنيا ولا آخرة"، وفيه تحذير من العاقبة السيئة للبخل. واشتر أيضا مثل: "يخنق الديك على الحبة"، الذي يتضمن شدة بخل البخيل وحرصه الذي قد

– الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

يؤدي به إلى قتل الديك خنقا من أجل حبة قمح، وهي كناية على أنه من يفعل ذلك لا طمع في كرمه فقد تأصل البخل في قلبه¹.

– ذم الكذب:

من بين الأمثال الحسانية المتداولة في المجتمع الجكني: "الكذب حبلو قصير"، وهو تشبيه الكاذب بالحبل غير المتين سرعان ما ينقطع، كذلك الكاذب سرعان ما ينفذ.

– ذم السرقة:

من ذلك قولهم: "يسرق حدة الغزال"، وهو كناية عن خفة اليد في السرقة أي أنه يسرق أثر الغزال وهو يعدوا سريعا.

– الاعتناء بالهيئة والهندام:

اشتهر في العناية بالهيئة واللباس مجموعة الأمثال الحسانية منها: "ايشوف لباسك اللي مايعرف امعاشك"؛ أي بالفصحى يرى لباسك من لا يعرف معاشك، ومنه يعتبر اللباس مرآة عاكسة لشخصية الفرد ومستواه المادي، والمثل يدعو إلى اعتناء المسلم بلباسه².

ج- الشعر والشعراء عند تجكانت:

جادت قريحة الشاعر الجكني بالعديد من القصائد الشعرية؛ في الشعر الفصيح والشعر الحساني؛ عكست طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية التي كانت تعيشها تجكانت في مختلف حواضرها، وقد اشتهرت كثير من قصائد شعراء تجكانت في الأمصار لقوتها وجمالها من حيث بلاغتها ومضمونها.

¹ – عبد العزيز فراس: المرجع السابق، ص 46

² – بوزيد الغلى: المرجع السابق، ص 50-51.

1- الشعر العربي الفصيح:

أورد الشيخ عبد العزيز بن الشيخ الجكني في كتابه ثمرات الجنان، في شعراء بني جاكأن حوالي مائة وواحد وعشرين شاعرا جكنيا في مختلف العصور التاريخية، فقد ترك لنا شعراء تجكانت شعرا غزيرا جميلا في مختلف الأغراض الشعرية، يمثل ثراء أدبيا، وقوة لغوية ، أبانت عنها قصائدهم الجميلة¹. وقد اشتهر منهم شعراء أفذاذ، أصحاب دواوين شعرية، وقصائد خالدة، في أغراض شتى مثل: المختار بن بونا الجكني (ت 1220هـ/1805م)، عالم وشاعر مجيد²، وكذلك ابنه عبد الله كان شاعرا بليغا، له قصيدة جميلة جدا يناجي فيها الله سبحانه وتعالى ويدعوه³. ومن الشعراء الذين اشتهروا بغزارة الشعر وبلاغته، نجد:

- الإمام محمد ألفغ الجكني:

اسمه محمد ، وهو تصحيف لمحمد، عاش حياته خلال القرن 13هـ/19م، مكث 16 سنة في محضرة المختار بن ابيه الجكني، وصفه أحمد بن الأمين الشنقيطي في كتابه الوسيط بأنه أشعر تجكانت. ويُروى عنه أنه وصلت إلى شيخه العلامة المختار بن بونا قصيدة من المأمون اليعقوبي يهجوها بها، فقال لطلبته من يحسن أن يرد عليها منكم، فأشاروا جميعهم إلى الإمام محمد بن ألفغ لنبوغه، وتمييزه في مجال الشعر والقافية⁴.

¹ - عبد العزيز بن الشيخ الجكني: ثمرات الجنان في شعراء بني جاكأن، دار المحبة، دمشق سوريا، دار آية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 129.

² - أحمد بن الأمين : المصدر السابق، ص 234.

³ - عبد العزيز بن الشيخ الجكني: المرجع السابق، ص 288-291. ينظر الملحق

⁴ - المصدر نفسه ، ص 285.

وقد مدح شيخه العلامة بن بونا بشعره اعترافا بفضله، وكان يدافع عليه بشعره ضد خصومه¹، كما كان رحمه الله ميالا إلى الشعر الحماسي، وكثير الفخر بقبيلته، له رحلات كثيرة في طلب العلم لحواضر المغرب، وقد ترك رحمه الله ديوانا شعريا متنوع الأغراض. ومن أشهر قصائده قصيدة قالها على سرير المرض الذي أصابه عندما كان يرأس ركبا من قبيلته مسافرا لأداء فريضة الحج، فلما وصلوا سجلماسة أصابهم مرض الجدري²، فقال:

آه لمرضى رهانٍ في سجلماسٍ ناء الموانسِ والعوَادِ والآسِ

واهٍ لها من حشاشاتٍ تُساوئُهَا تنوا جُسومٌ إلى تصعيدِ أنفاسٍ³

- عبد الرحمان بن آفلواط بن محمد الجكني: من شعراء تجكانت المشهورين ولد سنة 1361هـ/1891م بتكانت، أخذ العلم عن أبيه العلامة آفلواط الجكني، وعن علماء بلدته،

وكان رحمه الله ثاقب الفهم، متخصصا في الفقه والأصول، وشاعرا بليغا، من أهم أشعاره قصيدة قالها عندما سافر إلى حاضرة تجكانت القديمة تينيقي، فوقف على أطلالها وأنشد قائلا:

تنيقُ قُومي بإذن الله قائمَةٌ قد يُنشر الله أقوامًا وإن ماتوا

فاللَّهُ أفناكِ يومًا لا مردَّ له وسوف يُحييكِ والأيامُ تاراتُ

جاكان أقوام حربٍ خربوك بها فالشملُ منك بأيدي القومِ أشتاتُ

أيديهمُ قَطَّعتْ أيديهمُ سَفَّها لا عارَ ما لعدوِّ فيكِ إشتاتُ

وله كذلك أبيات جميلة يبين فيها مذلة الدَّين:

¹ - ينظر: ملحق القصائد الشعرية، القصيدة رقم 7، 8.

² - عبد العزيز بن الشيخ الجكني: المرجع السابق، ص 135.

³ - ينظر: ملحق القصائد الشعرية، القصيدة رقم 6.

ألا بالذَّين هَانَ الأكرمُونَ وحطَّ مراتبًا ما كان دُونًَا
جَرِيرَتُهُ تَدُورُ بِكُلِّ يَوْمٍ يُسَاءُ بِهَا الأَبُونَ أَوْ الأَخُونَ
وهلْ بَعْدَ الإحاطَةِ لَفْظُ شَوْمٍ وبالذَّينِ المحيِطِ (يُعَيَّرُونَ)¹

توفي رحمه الله سنة 1309هـ/1942م.

2- الشعر الشعبي الحساني:

كان هذا النوع من الشعر حاضرا بقوة في الحركة الأدبية لقبائل المجتمع البيضاني في الصحراء الغربية، وتندوف، وبلاد شنقيط، وتطور هذا النوع من الشعر حتى واكب الشعر الفصيح في نموه وازدهاره، حيث كان أكثر انتشارا، وذا صلة مباشرة بالتعابير الموسيقية، ومن هذا المنطلق أطلق عليه اسم (لَعْن)، حيث تعود المصطلحات المستعملة في بحوره في أكثرها إلى اللغة العربية، فالبيتان منه اسمهما (القاف)، جمع (القيفان)، وعندما تتألف القصيدة من ثلاث أبيات فما فوق تسمى (الطلعة)، ومعناها أنها طلعت وتعدت حدود البيتين إلى أكثر من ذلك.

ويلاحظ الباحث أن موضوعات الشعر الملحون تشبه الشعر الفصيح في أغراضه المتنوعة بين الفخر، والمدح، والرثاء، والهجاء، وغيرها، كما يوجد صنف آخر من الشعر الملحون يسمى: (أْتِيهِدَّن)، من هَدَن، وهو نوع من الشعر الملحومي؛ الذي يتناول مفاخر القبيلة وأعيانها، ولقد اعتاد منشدوه، وهم غالبا من الرجال أن ينشدوه على الجمال، ضابطين أصواتهم على وقع حماسي خاص يناسب مقاما من السلم الموسيقي. ولقد كانت الأناشيد، والألحان، والكلمات تحدث ثورة في النفوس، وتدعوا إلى علو الهمة، وتركيز النفس، والتخلي بما هو جميل، والتخلي عن كل قبيح، كما كانت هذه الأهازيج تزيد في همة المحاربين، وتربط على قلوبهم في

¹ - عبد العزيز بن الشيخ الحكني: المرجع السابق، ص 14-148.

معاركهم، وغزواتهم أو في دفاعهم على أنفسهم¹.

و من الذين اشتهروا من تجكانت؛ وهم كثر في هذا النوع من الشعر، صاحب الديوان الكبير في الشعر الملحون، المحفوظ في خزانة أهل العبد بتندوف؛ عمر بن لعرب بن مولود بن محمد الحرطاني بن أبي بكر الحكني الرمضاني، الذي سمي ديوانه الشعري: ديوان حسان؛ فكان رحمه الله شاعرا وأديبا ولد سنة 1271هـ/1854م، أخذ العلم عن أسرته العلمية، ومن الشيخ أحمد الكاملي الدرعي، وعنه أخذ الطريقة الصوفية التجانية².

ولم تسعفنا المصادر التي عثرنا عليها في تحديد سنة وفاته، وله رحمه الله ديوان شعري مخطوط باللهجة الحسانية، أتمه يوم 29 جمادى الأولى 1303هـ/05 مارس 1886م³.

واشتهرت كذلك في الشعر الشعبي السيّدة لالة مياسة بنت عابدين بن عبد الحي الرمضانية الجكنية، حيث كانت رحمها الله ولية صالحة عابدة زاهدة، وكانت شاعرة مدّاحة لرسول الله ﷺ باللسان الحساني، ومدائحها متداولة عند تجكانت والصحراء عموما، واشتهرت بقصيدة يفتح بها النساء المديح بتندوف ليلة المولد النبوي الشريف، تسمى المياسة عاشت رحمها الله حياتها الطيبة خلال القرن 13هـ/19م⁴.

- خلاصة الفصل:

ومما تقدّم يمكن القول، بأن النظام الاجتماعي لتجكانت كان يعتمد على القبيلة، ويظهر أن لها العديد من الأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية، خاصة ما تعلق بالزواج، وعادات الطعام والشراب، والأعياد والاحتفالات.

¹ - المرجع نفسه، ص 17.

² - عبد الله حمادي الإدريسي: تندوف وتجكانت ...، ج2، ص199.

³ - عمر بن لعرب بن مولود: المصدر السابق. الورقة 1و، 2و ينظر: ملحق صور المخطوطات، الوثيقة رقم 2.

⁴ - عبد الله حمادي الإدريسي: تندوف وتجكانت ...، المرجع السابق، ج2، ص210.

- الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت

كما حظيت بها المرأة الجكنية بالمكانة المرموقة ، وساد في المجتمع البيضاني الحساني جملة من القيم الأخلاقية ، وتجلى ذلك في العديد من الأمثال والحكم التي تدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق؛ كالأمانة، والصدق، وطلب العلم، وتدعو كذلك إلى التخلي عن سيئ الأخلاق وذمها، كالكذب، والسرقه، والخيانة، وغيرها.

كما تميّزت الثقافة الجكنية؛ باهتمامها بالشعر بنوعيه الفصيح والشعبي، وبرز العديد من شعراء تجكانت، وكان لهم أيضا دور في النشاط التجاري من خلال تجارة القوافل العابرة للصحراء التي ساهمت في تعزيز التواصل بين ضفتي الصحراء في مختلف الجوانب الحضارية.

- خاتمة

في ختام هذا البحث، نجد أن هذه الدراسة قد توصلت إلى جملة من النتائج والملاحظات الهامة؛ نحملها في النقاط الآتية:

- تعتبر الصحراء الإفريقية الكبرى وغرب إفريقيا الوسطى الجغرافي الذي احتضن قبيلة تجكانت، حيث تركزت حواضرها في وسط الصحراء وغربها؛ كتوات وتندوف، كما تركزت أيضا في غرب إفريقيا وبلاد التكرور؛ كحاضرة تنيقي، وشنقيط، وتقبه، و كان لعلماء تجكانت إسهامات علمية كثيرة في عدة حواضر، سواء بالحجاز أو في مصر، مثل الشيخ العلامة محمد حبيب الله ولد مياي الحكني الشنقيطي الذي مكث بمصر واستقر فيها مدرّسا في كلية الدعوة وأصول الدين بالأزهر الشريف إلى أن توفي هناك.

- تُشكّل قبيلة تجكانت القبيلة الأم للكثير من الفروع والعروش في الصحراء الإفريقية الكبرى، ويعود أصل تجكانت إلى قبائل لتونة، (وهي من أشهر قبائل صنهاجة) ، ويُدعى جدهم الكبير جاكن الأبر. وهي من أكبر القبائل البيضانية في موريتانيا، والمغرب الأقصى، والصحراء الغربية، والجزائر؛ فضلا عن كونها من أقدم وأعرق قبائل العرب بشمال إفريقيا وأصعبها مراساً وأكثرها عدداً وعدّة. ويعود الفضل لهذه القبيلة دون منازع في نشر العلم والفقه وتدريس القرآن الكريم وتفسيره وتعليم الشريعة لجميع قبائل البيضان وغيرهم من التجمّعات القبلية الأخرى.

- تُعدُّ حاضرة توات؛ بمثابة النواة الأولى لتجمّع قبيلة تجكانت واستقرارها بعد سقوط دولة المرابطين، ثم انتقلوا بعدها إلى جنوب آدرار بأرض التكرور؛ أين أسسوا حاضرتهم الشهيرة تنيقي، ومنها انتشرت فروع تجكانت في مختلف الحواضر بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، وهو ما يدل أن قبيلة تجكانت جزائرية المنشأ إفريقية الامتداد.

- كان لقبيلة تجكّانت دور حضاري قوي بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا؛ وذلك من خلال مشاركتهم في الواقع العلمي لمجموعة من العلماء الكبار، برز منهم على سبيل المثال لا الحصر: العلامة محمد المختار بن بلعمش، والعلامة محمد المختار بن سعيد المعروف بين بونا الجكّني، حيث ترك هؤلاء العلماء مؤلفات كثيرة، والعديد من الطلبة والعلماء الذين تتلمذوا عليهما، فقد كانا رحمهما الله لهما وزن علمي كبير .
- كان لعلماء تجكّانت حضور في التصوف السني المعتدل الذي يحقق مقام الإحسان، وأشهر الطرق الصوفية التي انتهجها الجكّنيون هي : القادرية، التجانية، والشاذلية.
- عرفت تجكّانت رحلات علمية لبعض أفرادها وعلمائها، لعل من أشهرها الرحلة الحجية لابن الأعمش المدونة، وهناك من الذين رحلوا إلى الحج من استقر هناك بالحرمين الشريفين، ومنهم من بقي في مصر، ومنهم من رجع من حيث خرج، وقد عبّروا عن حبهم للحرمين الشريفين وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصائدهم الشعرية، سواء باللغة العربية الفصحى أو باللهجة الحسانية.
- شكّلت الرحلة الحجية لعلماء تجكّانت، فرصة لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام، وهي في الوقت ذاته وسيلة أيضا لطلب العلم والاستزادة من المعرفة وتبليغها؛ بسبب ورودهم على عدّة حواضر بين بلاد المغرب والحجاز، وما يكون فيها من تواصل ثقافي، وأغلب أصحاب هذه الرحلات كانوا يدوّنون رحلاتهم بتفاصيلها؛ بحيث تجد في رحلاتهم وصف للطرق والمسالك، والحواضر، والواقع الاقتصادي والاجتماعي، والثقافي والسياسي، فالرحلة أضاءت جوانب تاريخية لم تكن معروفة إلا من خلالها، وبهذا تكون الرحلة مصدراً مهماً للمؤرخ تستحق الدراسة والتحقيق. والرحلات الحجية المدونة ذات علاقة مباشرة بالأدب، لأن الأسلوب الذي استخدم في صياغتها

ارتفع إلى فنون الأدب، إذ أن أبرز ما يميزها أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق، والأسلوب السهل الممتنع.

- تُعدُّ قبيلة تجكانت من قبائل الزوايا المرابطين المنشغلين بالعلم والقرآن؛ الذين لهم مكانتهم العالية في المجتمع، فهم محل احترام وتقدير من طرف القبائل الأخرى، لأن محاضرتهم العلمية وعلماءهم منتشرين في معظم الحواضر في الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، وهذا لا يمنع من عدّة خلافات وحروب وقعت فيها تجكانت مع غيرها من القبائل لمختلف الأسباب التي تنجم عادة عن طبيعة الاستقرار في هذه المناطق الصعبة، فأغلب حروبهم كانت دفاعا عن أنفسهم وأعراضهم.

- لاحظ الباحث أن بعض حواضر تجكانت تحتضن حاليا عدّة خزائن للمخطوطات التي تحوي على مئات المخطوطات لعلماء تجكانت، وغيرهم في مختلف الفنون العلمية، سواء في العلوم الشرعية واللغوية، أو العلوم الأخرى، كالتاريخ والطب والحساب والفلك وغيرها. ولعل من أشهرها خزانتي أهل العبد، وبن بلعمش بتندوف؛ اللتان تحتويان على نفائس المخطوطات و الوثائق النادرة ، وهي أرض خصبة لكل الباحثين، والمهتمين في تاريخ الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا.

- كان للمرأة الجكنية حضورا ومشاركة قوية في الواقع العلمي والثقافي بصفة خاصة، حيث عرفت هذه القبيلة عدّة عالمات مدرسات ومؤلفات، لعل من أبرزهن أم الخيرات بنت أحمد بن المختار الجكنية، التي من تأليفها نظم معجزات المصطفى صلى الله عليه وسلم في 1700 بيت، وكذلك العاملة الفقيهة خديجة بنت ألمين الجكنية، وخديجة السلامة بنت سيدي عبد الله الجكنية التي تخرج على يدها عديد الطلبة والعلماء، كما اشتهرت زينب بنت الدو الجكنية، وفاطمة بنت بونا، وسلمة بنت البات الجكنية بمحاضرتهم العلمية خلال القرن 13هـ/19م

- نبغ في قبيلة تجكّانت شعراء أفذاذ اشتهروا بكثرة شعرهم وجودته، سواء في الشعر العربي الفصيح أو الشعر الملحون، وقد كان لهم أيضا دواوين تضمّنت مختلف الأغراض الشعرية.
- يُعدُّ نظام المحاضرة أو التعليم الحضري عمود التعليم عند قبيلة تجكّانت، فقد تخرج علماء أجلاء من هذه المحاضر العلمية المنتشرة في البوادي والحواضر، وأسس أعلام تجكّانت بدورهم محاضر علمية اشتهرت وأصبحت محجّ طلاب العلم من كل الجهات، مثل محاضرة العلامة محمد المختار بن بونا، كما ساهم ميسوري الحال من التجار في نشاط واستمرارية التعليم الحضري من خلال تكفلهم ونفقتهم على المحاضر العلمية وطلبة العلم. ولم تكن مشيخة المحاضر من اختصاص الرجال فقط، بل اشتهرت عدّة عاملات بتأسيسهن للمحاضر العلمية، وتدريسهن لطلاب العلم ذكورا وإناثا، وقد ساهمت هذه المحاضر في كثرة الإسهامات العلمية لعلماء تجكّانت، خاصة في مجال التأليف، حيث أصبحت تأليفاتهم في مختلف الفنون كتب تدرس في التعليم الحضري؛ كمناهج مثل كتاب منظومة المترادف التي تخص علوم القرآن لمحمد مولود بن أحمد فال الجكّني، وكتاب المحتوى الجامع لرسم الصحابة وضبط التابع لعبد الله الجكّاني، وكتاب وسيلة السعادة في العقيدة للعلامة محمد المختار بن بونا، وكذلك كتابه الاحمرار على الألفية في النحو، ونظم في علم الفلك ليحيى بن أحمد فال الجكّني، والجكّنية في المحذوف من حروف الكلمات القرآنية للناظم الجكّني، وغير ذلك من التأليف التي وجدت قبولا بين أهل العلم، وانتفعوا منها باعتماد تدريسها في محاضرتهم العلمية.
- انتشر الفقه المالكي في كل منطقة الغرب الإسلامي منذ عهود بعيدة. وترجع نشأة المذهب المالكي إلى آراء وفتاوى إمام المدينة مالك بن أنس الأصبحي (ت. 179هـ) وآراء تلامذته من بعده. إلى جانب ذلك ساد المذهب المالكي في عموم حواضر

تجكانت، سواء في المغرب العربي أو في إفريقيا جنوب الصحراء، فقبيلة تجكانت هي من القبائل المتمسكة بالمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، ويظهر ذلك من خلال آثارهم العلمية، خاصة ما تعلق منها بالنوازل والفتاوى.

- تقوم الحياة الاجتماعية في قبيلة تجكانت على التعاون، والتكافل وعلى الحشمة الوقار، والوقوف عند حدود الله ونصرة المظلوم، فكانوا يتورعون عن عديد العادات السيئة التي كانت منتشرة في محيطهم عند قبائل أخرى، بحكم أن قبيلة تجكانت من قبائل الزوايا أهل العلم، فهم محافظين وأكثر اشتغالهم بالعلم والأعمال الشريفة التي تقوم بها حياة البادية كاللجاجة والرعي والزراعة.

- حظيت المرأة في المجتمع الجكني بمكانة محترمة؛ فلا تكليف مشق عليها ولا تعنيف، فهي السيدة في جميع ما يتعلق بالبيت، فلا تشارك في الحروب، ولا تذهب إلى الأسواق، ولا تختلط بالرجال من غير محارمها، مع شهرتهن بالعلم والقراءة والتدريس.

- عادات الطعام عند تجكانت هو ما اشتهر في حواضرهم من المأكولات؛ كالكسكس، والعصيدة والثريد، والأرز، إضافة إلى ما تجود به المراعي من حليب، ولحم الإبل والماعز، ويعتبر الشاي مشروباً مهماً، وعادة متجذرة في المجتمع الصحراوي، والرفيق الدائم للجلسات والاحتفالات، وكأنه المؤنس في فلاة الصحراء وقساوة مناخها.

- لاحظ الباحث أن أغلب أفراد قبيلة تجكانت يتكلمون اللهجة الحسانية، وهناك من يطلق عليها اللهجة البيضانية؛ التي تجمع في أكثر مفرداتها الكلمات العربية والصنهاجية القديمة، وتعتبر قبيلة تجكانت أحد أعمدة الثقافة الحسانية المنتشرة في غرب الصحراء الكبرى وإفريقيا جنوب الصحراء، والتي تحوي عديد القصائد الشعبية والأغاز والقصص، والأمثال والحكم المستوحاة من عمق الصحراء وتجربة الحياة، بحيث تعتبر

منهج حياة يتركها الأجداد للأحفاد، وتحمل في طياتها عديد القيم التي يتميز بها المجتمع البيضاني.

- تميّزت تجكّانت بفنونها المعمارية الجميلة خاصة في الحواضر التي أسستها كحاضرة تينقي، وتندوف التي تتميز عن غيرها من فن العمارة في الحواضر الأخرى، وتتجلى خصوصيتها في أنها تجمع بين الفنون المعمارية المتواجدة في الحواضر الشمالية في المغرب العربي وحواضر إفريقيا جنوب الصحراء؛ وذلك بحكم أن قبيلة تجكّانت تمتد في هذا الفضاء الجغرافي الذي يبدأ من الصحراء وينتهي ببلاد السودان، وأبرز فنون العمارة الجكّانية تظهر على في التخطيط العام للحواضر من حيث ترتيب البيوت وبناء المسجد والسوق، وكذلك يتجلى هذا الفن المعماري في مسجد بلعش ودويرية أهل العبد بتندوف.

- اتّضح لنا من خلال تتبع تاريخ تجكّانت؛ أنها قبيلة تنتهج التنظيم وحسن التهيكّل؛ خاصة خلال دولة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين خلال القرن 5/11م، حيث كانت جزءا مهما من جيشها القوي، وبعد سقوط دولة المرابطين حافظت تجكّانت على تنظيمها السياسي وهو ما ساهم في تأسيسها لعدة حواضر بعد ذلك؛ بدءا بحاضرة تينقي، وحاضرة تقبة، وحاضرة تندوف. وقد ساعد كذلك حسن التنظيم السياسي للقبيلة في فرض مكانتها الحضارية داخل المجتمع الصحراوي خاصة من الناحية الاقتصادية والثقافية.

- تبيّن الوثائق المخطوطة بخزانتني أهل العبد وبن بلعش بتندوف النشاط التجاري الكبير لتجار تجكّانت، وقد برز منهم عدّة تجار اشتهروا بثرائهم وكرمهم، مثل التاجر الكنتي بن الصالح الشانعي، والتاجر محمد العبد بن محمد الحرطاني الذي تذكر المصادر التاريخية كرمه وأخلاقه الفاضلة، حيث ذكر العلامة محمد يحيى الولاقي في رحلته إلى الحج أنه أقام

عند ابنه عبد الله عاماً وشهراً في إحسان وكرم بمتزله 1316هـ/1898م، وأقام كذلك العلامة أحمد بن محمد الكامل عشرين سنة (1881-1892م) عند الشيخ التاجر محمد العبد بن محمد الحرطاني، وهو ما يدل على سعة الصدر، وواسع الكرم، وحسن الضيافة، وسمو الأخلاق.

- كان أكثر تجار تجكّانت يسلكون مسلكين نحو أسواق إفريقيا جنوب الصحراء، فالمسلك الأول هو المسلك الشرقي الذي ينطلق من تافيلالت جنوب المغرب الأقصى ثم تندوف، ثم توات، وعبر توات في عدّة طرق تتبعها تجكّانت حسب الوضع الأمني وتوفر الماء إلى حاضرة تنبكتو، والمسلك الثاني هو المسلك الغربي، وهو الأكثر نشاطاً عند تجار تجكّانت الذي ينطلق من وادي نون جنوب السوس إلى تندوف ومنها إلى تغازي، ثم تاودني ثم أروان، ومن أروان إلى تنبكتو في رحلة تصل إلى 88 يوماً على ظهر الجمل، كما راجت في تجارة تجكّانت عدّة بضائع وولع؛ أهمها: الملح، والذهب، والعبيد والعاج، حيث كانت تتم أغلبها بالمقايضة مع وجود بعض العملات من الذهب والفضة وعملات أخرى أوروبية وعثمانية كانت منتشرة في أسواق الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا.

- تستدعي مسؤولية البحث العلمي من الباحث ضرورة عدم الحسم في القضايا النسبية التي لا يزال الكثير من معلوماتها مجهول أو غير موثوق، أو هي بحاجة لمزيد من الحفر المعرفي المستمر لتتضح جميع معطياتها، لأن المجازفة في الجزم في مثل هذه المواضيع؛ سيثير مشاكل اجتماعية لا تخدم البحث العلمي بأي حال من الأحوال، لأن مثل هذه الدراسات الاجتماعية التاريخية يحكمها المنطق النسبي عند كل القبائل، خاصة القبائل القديمة التي كانت تزهد في تدوين أنسابها، فعلماء تجكّانت أسهموا تقريباً في العديد من فنون العلوم الشرعية واللغوية، ولم أعتز لهم على مؤلف واحد لهم في علم الأنساب، مما

يدل على زهدهم في ذلك، أو لتجنب الآثار الاجتماعية السلبية التي تنجم عن ذلك، لكن يبقى الذي أوردناه في هذه الدراسة هو تجميع ما يقتضيه البحث العلمي لمختلف الآراء التي لها علاقة بأصول قبيلة تجكانت.

- بدأ الاستعمار الأوروبي مع مطلع القرن العشرين الميلادي بالتوغل في أقصى غرب الصحراء الإفريقية الكبرى، خاصة بحاضرة تجكانت بتندوف، التي تعرضت تندوف للاستعمار الفرنسي سنة 1934م، وهنا تبدأ أطوار تاريخية أخرى تخص هذه المنطقة تبقى إشكاليات بحثية مطروحة لمن سيكمل هذا العمل في دراسات أكاديمية تزيح اللثام على هذه الفترة من تاريخ أقصى جنوب غرب الجزائر.

- التوصيات:

وبناءً على ما توصلت إليه من استنتاجات، لا بأس أن نورد بعض التوصيات الآتية:

- الاهتمام بالتاريخ الحضاري للحواضر الصحراوية، وتاريخ العلاقات الحضارية فيما بينها، لأنها تحوي مادة تاريخية مهمة للمهتمين والمختصين في مجال البحث التاريخي، ولنفض الغبار عن العديد من كنوزها الحضارية الدفينة خاصة في خزائن المخطوطات الجكنية.

- ضرورة الحرص على فهرسة خزائن المخطوطات الجكنية، وخاصة خزانة أهل العبد، وخزانة بن بلعش بتندوف، وإتاحتها للباحثين كونها تحوي مخطوطات نفيسة لم تفهرس، ولم تحقق بعد، ولا أدل على ذلك من النسخة الوحيدة الموجودة في العالم لمخطوط تاريخ ميورقة لابن عميرة المخزومي، والذي تخصّ تاريخ الأندلس، وهذا ما يعكس لنا ثراء هاته الخزانة، لأن تيندوف بصفة عامة كانت ملتقى الثقافة والتجارة.

- الاهتمام بأعلام الحواضر الصحراوية عامة، وأعلام تجكانت خاصة، وذلك بالتطرق لترجمات وافية عنهم في كتب أو موسوعات تاريخية.

- فhib بأصحاب المخابر العلمية المتخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية التطرق والاهتمام في وحدات أبحاثها أو الملتقيات التي تبرمجها لهاته القبائل الصحراوية عامة، وقبيلة تجكانت وأعلامها خاصة؛ لأنها تشكل ميدان خصب لمواصلة للبحث والدراسة، كما أن بها علماء يمثلون تاريخ الأمة الإسلامية وحب علينا دراسة سيرهم، والتطرق إلى مآثرهم والاهتمام بآثارهم العلمية وإتاحتها للأجيال القادمة لربطها بتاريخها، كالعالم محمد محمود التركي، والعلامة محمد المختار بن بلعمش، والعلامة محمد المختار بن بونا.

- عثر الباحث في خزائن تيندوف على عدّة رحلات حجية مخطوطة لعلماء تجكانت، مثل رحلة محمد حبيب الله بن ماياي الحكني، ورحلة ابن الأعمش الموجودة في خزانة بن بلعمش بتندوف؛ والتي هي بحاجة إلى دراسة وتحقيق لما تتضمنه من معلومات سياسية، وثقافية، واجتماعية، واقتصادية عن الحواضر والمناطق التي يسلكها ركب الحجيج من أقصى غرب الصحراء الكبرى إلى الحجاز.

- الاهتمام باللهجة الشعبية البيضاء الحسانية من طرف المختصين في اللسانيات، والدراسات اللغوية، وذلك لما تتضمنه هذه اللهجة من مفردات متنوعة ذات الأصل العربي، والأمازيغي، وحتى من لغة الزوج بإفريقيا، فاللهجة البيضاء تحمل في طياتها روافد ثقافية متنوعة تنم عن تاريخ المنطقة في مراحل متعدّدة.

- تساهم الحياة القبلية في تكوين مجتمع منظم ومهيكل، يخضع لسلطة العرف وفق أحكام الشريعة الإسلامية، وهو ما ساهم تحديد مسار تاريخي مشرف للقبيلة يقوم على التفوق والريادة الحضارية؛ يكون منهجا للخلف كأسوة حسنة، يُحافظ على استمراره عبر الأجيال.

- تمثل بعض القبائل المنتشرة بين حواضر المغرب الكبير وإفريقيا جنوب الصحراء، مثل قبيلة تجكانت وقبيلة كنته، وقبيلة فلان، وقبائل الطوارق همزة وصل ومقوم تواصل بين عدّة بلدان حاليا وهي الجزائر، والمغرب الأقصى، والصحراء الغربية، وموريتانيا، والسنغال، ومالي،

والنيجر، وبوركينا فاسو؛ وهو ما يشجع على التواصل ويعزز الروابط والتعاون بين هذه الدول في مجالات متعددة ثقافية، سياسية، اقتصادية، وهي دعوة للاستثمار في هذا المقوم الحضاري.

هذا بالإضافة إلى ضرورة فتح أسواق تجارية لتمتين الروابط وتسهيل التواصل بين هذه البلدان، وتيسير التبادل الحر بين هذه الأقاليم الصحراوية؛ بهدف كسر الجمود، والركود التجاري؛ على غرار ما كان سابقاً، مثل سوق الأهقار بتامنغست، الذي فتح باب التبادل التجاري ما بين سكان الأقاليم المجاورة.

- المساهمة في إنشاء تجمعات سكانية على طريق آبار المياه المتواجدة بغرب الصحراء الكبرى، وإحياء المدن التي مسّها التصحر، بسبب الطرق الحديثة التي تحولت عنها؛ مثل حاضرة بوجبيهة، وأروان التي أصبحت بلدان منعزلة، بعدما توقفت تجارة القوافل الصحراوية.

...إن هذه الدراسة، هي بمثابة حجر الأساس، للتعريف بهذه القبيلة وما تزخر به من أثر حضاري غزير، حاولنا أن نلفت بها أنظار الباحثين بإثارة عدّة إشكاليات وتساؤلات بحثية لتجد من يتمم دراستها والبحث في مختلف جوانبها، فترات تحكّنت لا يمكن جمعه في دراسة واحدة، بل يحتاج لعمل موسوعي، وتعاون دولي بين الباحثين كونه موزع في خزائن المخطوطات بالجزائر، وموريتانيا، والمغرب والأزواد، وحتى بالشرق العربي.

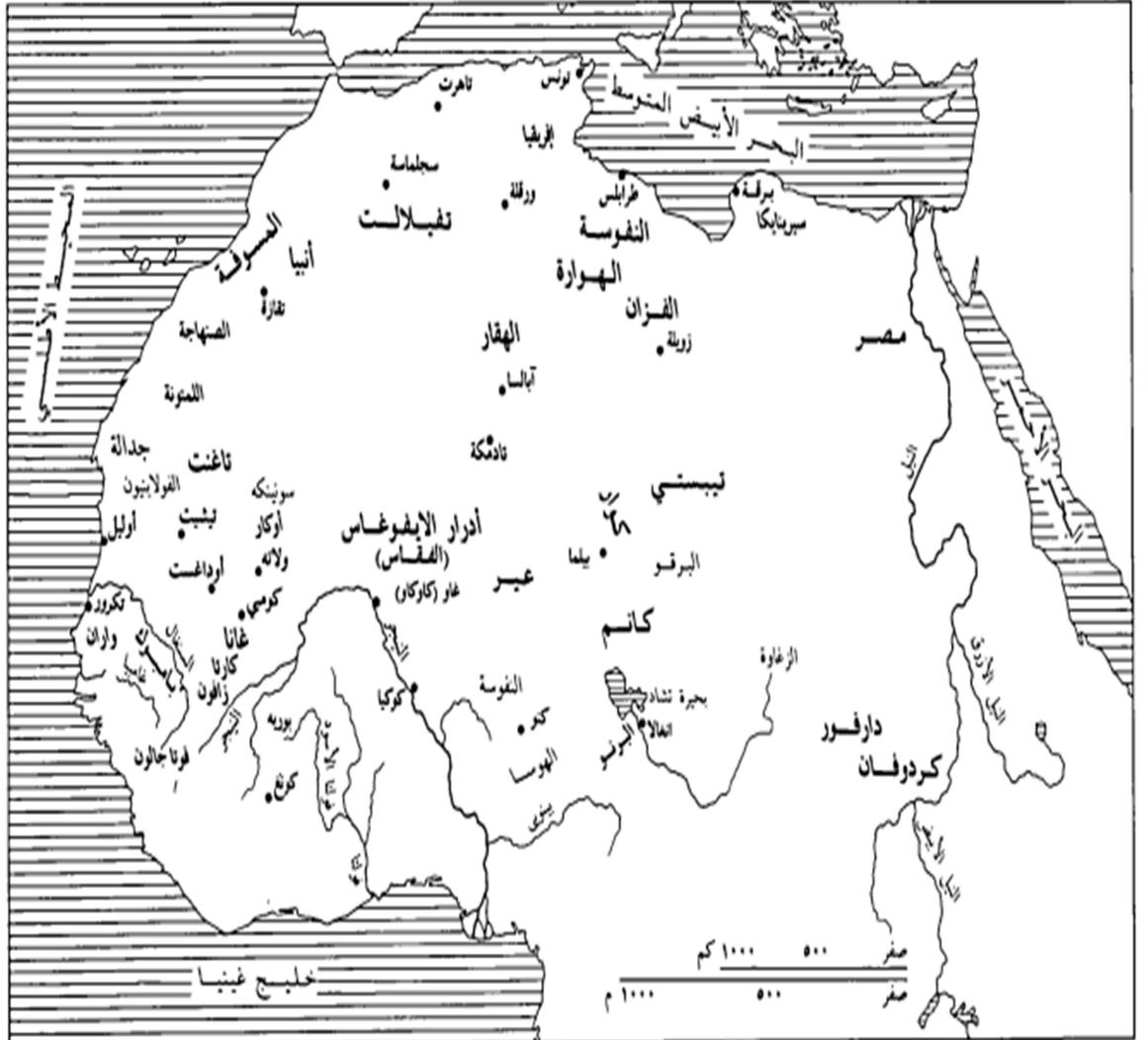
ولا يفوتني أن أشير في الختام إلى أن هذا العمل يعتبر بمثابة خطوة أولى لدراسات أكاديمية لاحقة، ستساهم في إكمال ما بدأناه، وتغطية الجوانب البحثية التي لم نستطع الوصول إليها، لوضع لبنة جديدة لكتابة التاريخ الوطني الجزائري خاصة والإفريقي عامة.

والله ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرأً .

- الملاحق.

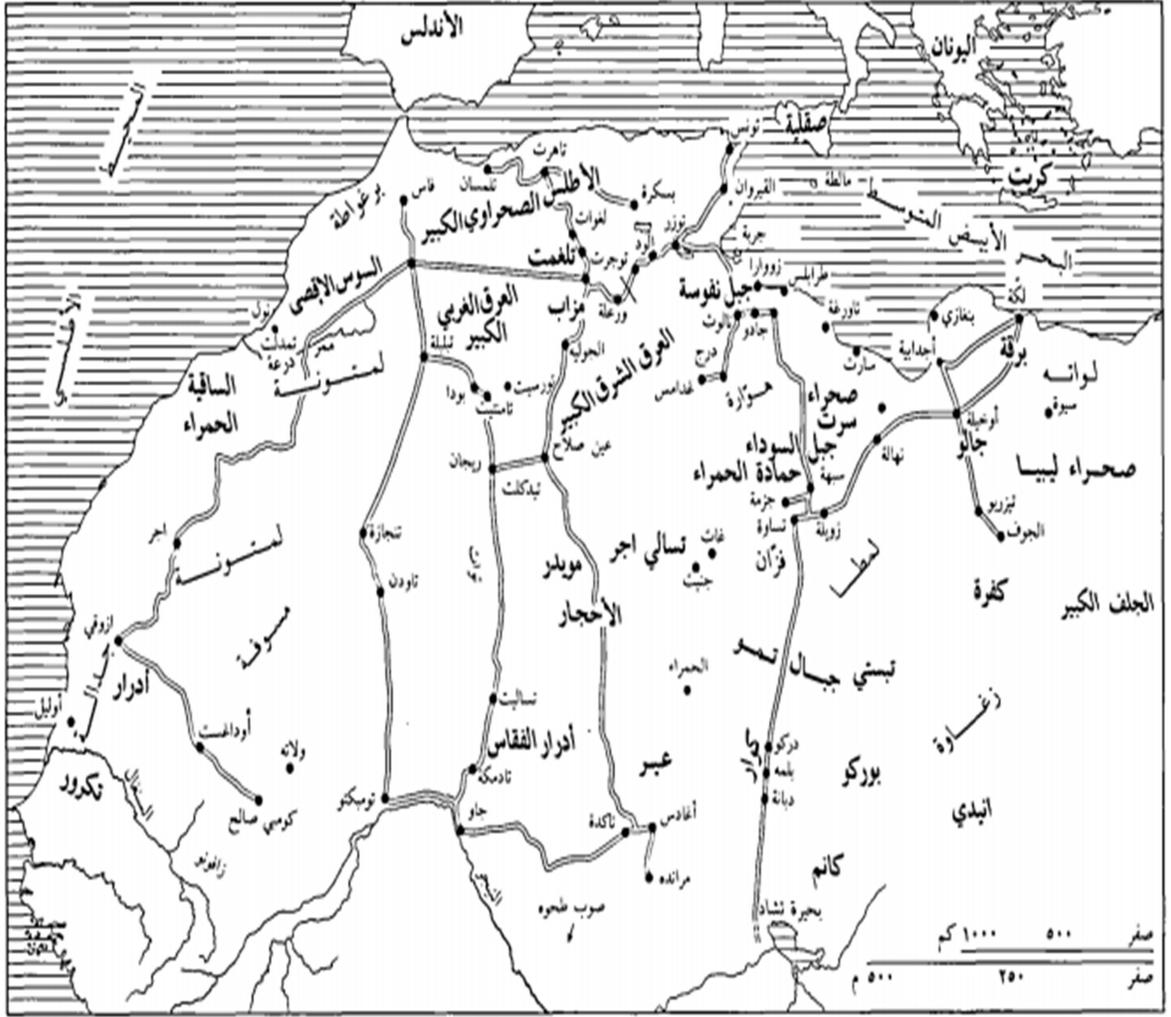
- ملحق الخرائط

- الخريطة رقم 01 : خريطة توضح الأنهار والبحيرات في الصحراء الكبرى (نهر النيل - نهر النيجر - نهر السنغال - بحيرة تشاد - بحيرة بيلما)¹



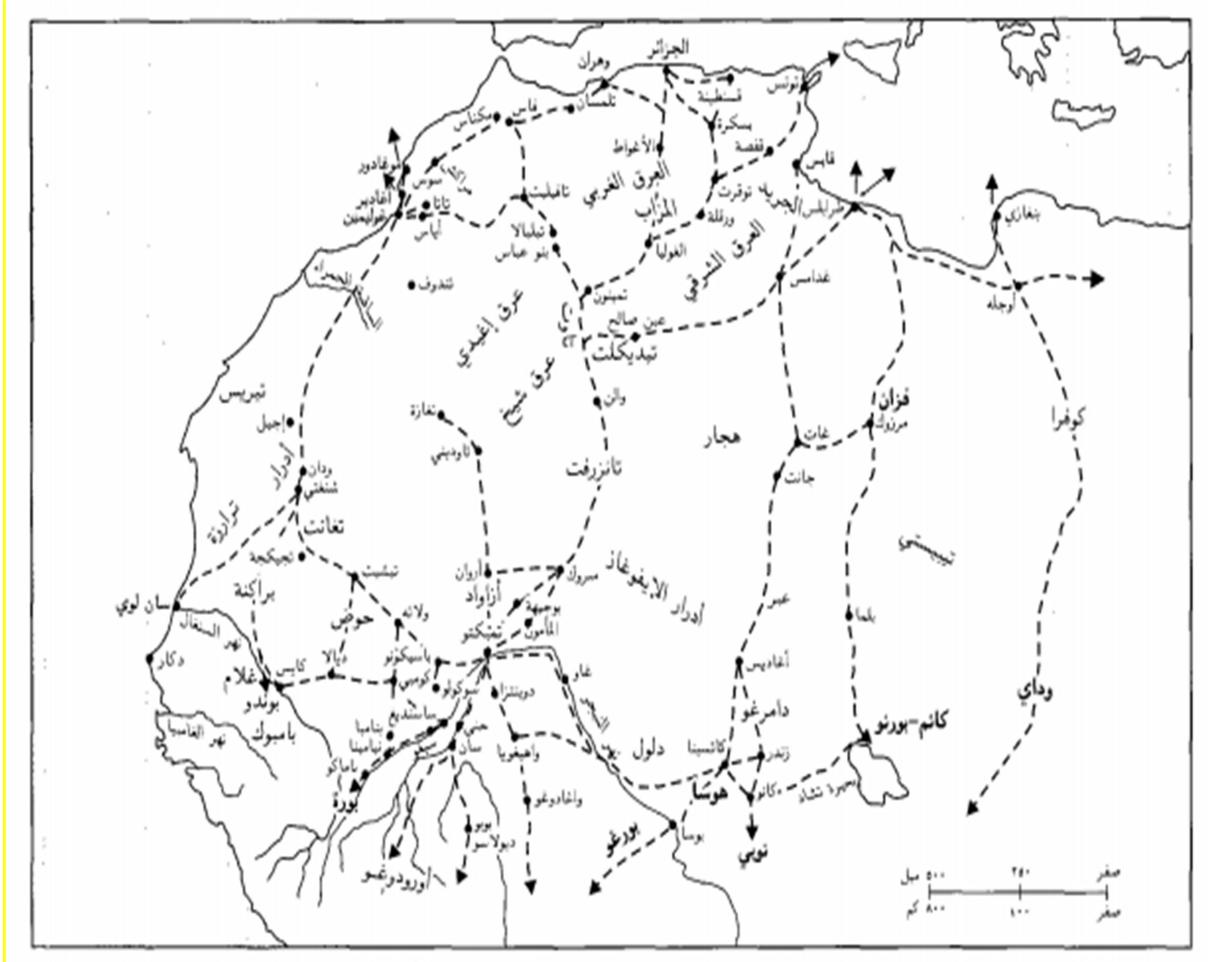
¹ - تايدوز ليفيتسكي: دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، مقال بتاريخ إفريقيا العام، ج3، إشراف محمد الفاسي وإيفان هربك، اليونسكو، باريس، 1994م، ص 312.

- الخريطة رقم 02: خريطة توضح توزيع فروع صنهاجة بغرب الصحراء الكبرى ؛ جدالة، ولمتونة، ومسوفة¹.



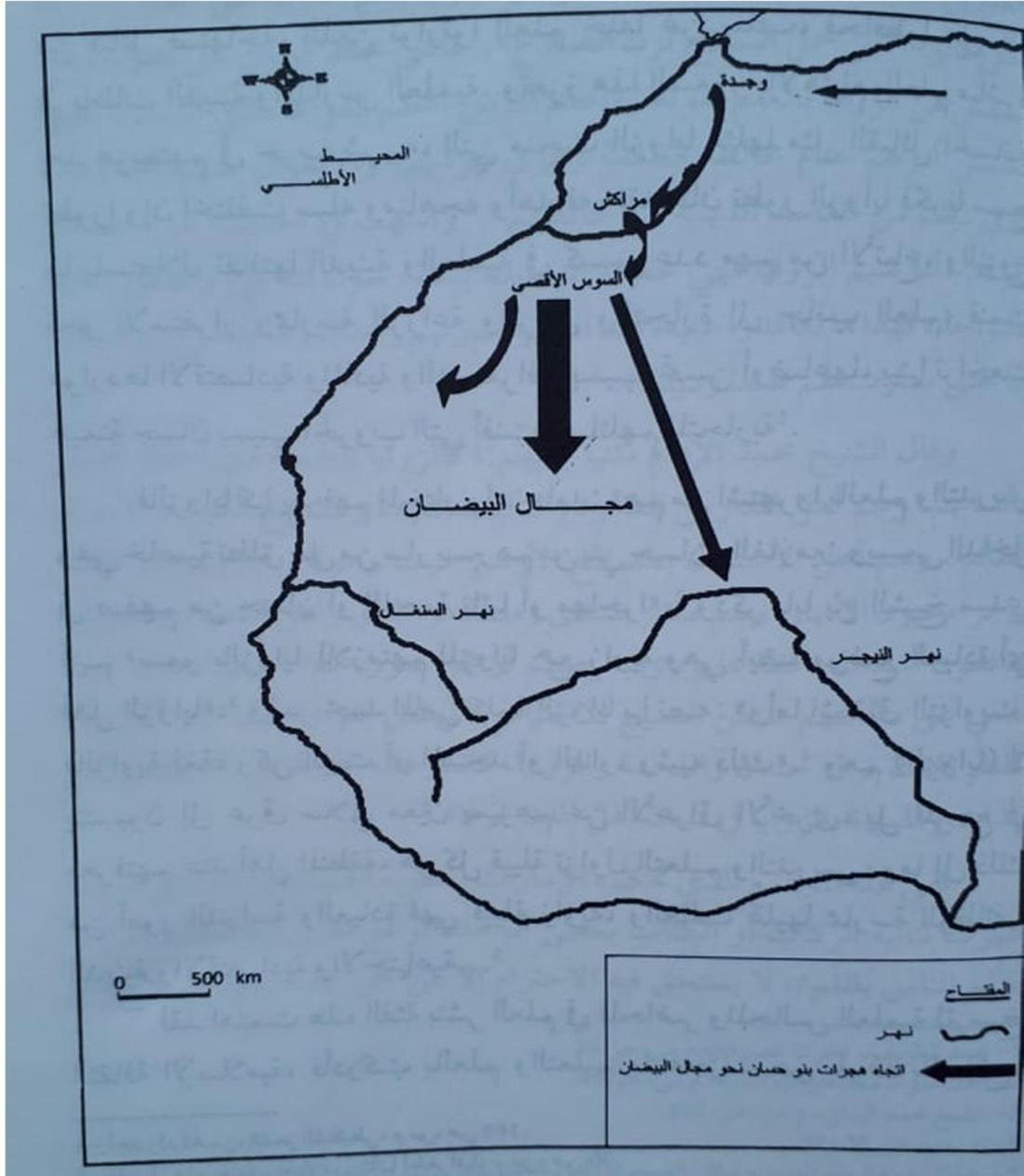
¹ - فرنسوا دي ميديروس: شعوب السودان، مقال بتاريخ إفريقيا العام ج3، إشراف محمد الفاسي وإيفان هريك، اليونيسكو، باريس، 1994م، 147.

- الخريطة رقم 03: خريطة توضح طرق وحواضر تجارة القوافل الصحراوية¹.



¹ - م. أبيتبول: نهاية إمبراطورية الصنغاي، مقال بتاريخ إفريقيا العام، ج6، اليونيسكو، طباعة حسيب درغام وأولاده، لبنان، 1997، ص 346.

- الخريطة رقم: 04: تحديد المجال البيضاوي وانتشار قبائل بني حسان¹



¹ - الحسين حديدي: المرجع السابق، ص 69.

- ملحق صور المخطوطات

- الوثيقة رقم 1: الورقة الأولى والأخيرة من مخطوط معرفة المباني لصحة المعاني والإعانة للمقصر العاني للعلامة محمد المختار بن بلعمش الموساني الحكيم.

الحمد لله وحده وكأبداً والحمد لله الملك

الحمد لله وحده

وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي

مكتبة آل بلعمش
الموساني الحكيم
تكملة لكتابه

الأطراف

قال شيخ الإسلام مجيب الجفاف للعلامة السيد الاستمارة والبرهان
علاء الأناج تاج الأناج فتاح الأناج أبو البركات أبو الأناج محمد المختار
ابن محمد بن الأناج الذي عجزت ألسنة عن وصفه وأقلام عن وصفه

حمداً لما نزل علينا كتاباً به عجزنا ما ياتيه البياض من غير ريب ولا من خلعة تنزى
بم حكيم مجيباً حكمتها آياتها وحججها كلماتها وبهرت بلاغتها العقول وكهنتها وياتها
فصل حقه على كل مفرد وكل من اجتزاه واعجزه وتقلنا من حقيقته وحججه
وتبانت على الحسنى مصلحته وحسن كل البيان جوارحه واعتدك مع اجزائه وحسن
نظمه وانكشف على كثرة جوارحه غنائه وعظمته وصلاة وتسلطنا من علمنا اننا
رسول محمد ام القاسم والقاسم محمد وعبيدنا كالحب الجميع ضغفنا ومنسى
وارحم العالمين غفلاً وحلماً واكتمهم علماً وعلماً وحجبه من علمه مغنى
الاجابة وسما واتوا به حكمة وحكماً حشر كانوا خير امته ارضيت للتأثير راحة
ورحماً واشترى على الكرم عزاباً وحلاً بعد انشؤ الله تعلم فلو بنا انوار البصير
والكفاية كان لثمة لكف اوليائه المنفير الذين هم من بني والكتابه واوحشتم
من الخليفة بقرته وبهم بين كتابه المجموعه في جميع وعيشه فانه غلبه اجمع
مجموعاً معتزلاً على مقدمته في فضل الذكر من قوماً وفيه آيات في تجويد الفهم والكم
في محاربه الجور وبالجملة السنن المألوفه وخاتمة في حكم الجزب المألوفه لبيبي
منه لثمة يشايح به صدر العروفي وبشمت به فروع من ذلك المألوفه المفترمة
الموعود بها في فضل الذكر في قول والله تعلم النوف للقيم ان افضل الذكر كلام الله
لما فيه من الروعة التي تلحق قلوبها معيدوا سماعهم عند سماعه والمعيه
التي تعتم بهم عند نلها وقد لفت حلاله وانا فقهكم وسد الكون اعلم على
حتم كان ثقلاً عليه سماعه ويزيدك بقوا كذا لغير يزدك تعلمه كتاباً
ويوه انقضاءه الذي احتدله ولنا افعال عليه الصلوة والسلام الفروع صعب
مستصعب علوم كرهه ومعالجته واما المومنين ولا تنزل حقيقته وروعتنا

الرحم 43

ويكره النوم وينزبه النشايه وقال بعضهم يستحب الجمع ببعض
 الغراء والاسهل ربيعه ان المسر قد يمل ما يسهو والمعا على يكل يستخرج
 بل الاسرار اتقى ما بين كره ايضا وقال بعد ذلك قال شيخنا المحقق في شرح
 عن الحصص الحصر بعد نقله كلام السيوطي ملاذ او المنسله فهو يكثر
 الزيل والثلاخ فيمنه منقشتم شميم ومختار المحققين في بيع الفسول
 بالمنع وعمر النعجان ايدلا (ابن سيار) ووجه الرد عليه انه يسهو
 وقال ايضا صاحب الفواعل في فاعله من فواعله للزمان كمن يسهو
 بحيث يتصرف مباحه يسهو او منع او لا احد او وجوب ويره مشروبه
 ومباحه لمنع او كرايمه واما مثله ذلك ان لا تمنعوا ابياد منسطر جهر القه تعالى
 وقدمه لنا البيوع ما لم يعمره به من المساجد لعلنا ان لا تمنعوا ابياد منسطر جهر القه تعالى
 وصعبه بلا اطراف (ام كان منهم اعز من الكبريت اذرى) فضل اذى وعلوه
 كتيبه قوت تفرد اذى لا يجوز منسليم وقدر صح عن الثوري وغيره
 اجتمع فروع في بيتهم بيوت الله يفره من الفراء وبيوتهم (الاصح)
 بعم الملبسه وعضيتهم الرحمة وذكر مع الله جيلنا عند جملة اذليل منسوخ
 في نوب فراهه الحزب وكل ذلك على اصل الشارحه ومفيدة وامل منسوخ
 ما لا رحمه الله تعالى مع ذلك الا ائمة اخرج عمل السلف وسره ربيعه
 لا يتراجع بل ان يادة علمه لك ولعله لم يثبت عند المحدثان المتقدمان
 وقد وقع ما اتفاه رضى الله عنه انفسه وقد سمعته معرفة البيات
 لصحة المعلى والاعانة للمفيع العلى والله اسئل ان ينفع
 وان يتقبله قبول الخالص من عمل المرء ونسبه وان يفتح لنا كما فتح
 للعارفين من حزيه بالنسب وداله حجه انه على ما يشاء قد
 وعلما به السراسر وكلح وخيسر وطرا الله علم من هو بالخبر ان
 بشيم وبغير ما ذكره ونزير وكثيرة ما معه في من القعد عساه
 في الحمر المختارين بالدمشك لاه الله تعالى عليه وكرم امير

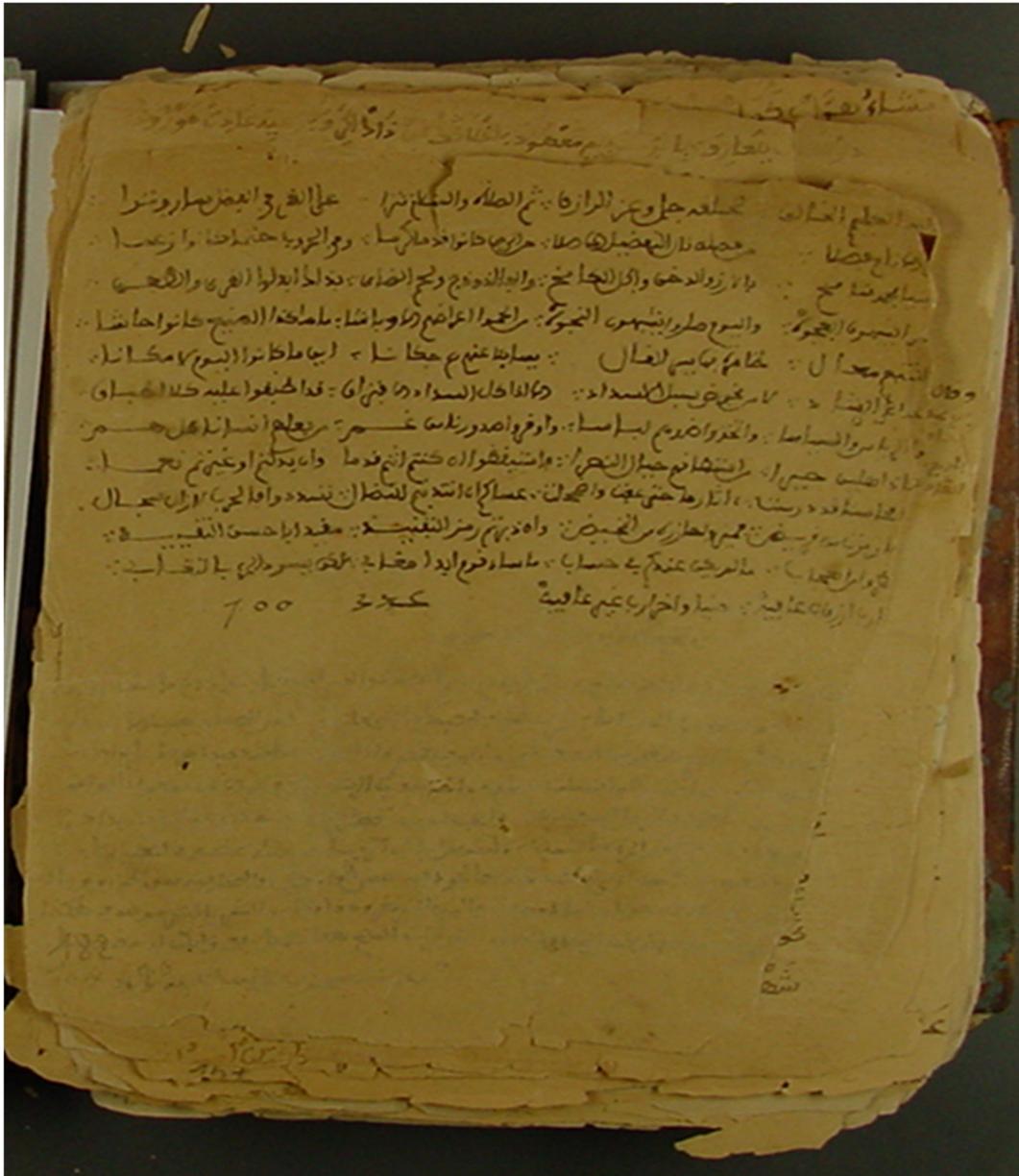
في
 في
 موضوع
 في الامور
 وعنى

- المصدر: محمد المختار بن بلعمش: معرفة المباني لصحة المعاني والإعانة للمقصر العاني،
 مخطوط بجزانة محمد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر، الورقة 1، 17و.

- الوثيقة رقم 2: الورقة الأولى والأخيرة لمخطوط ديوان حسان لمؤلفه الشاعر عمر بن

العرب الجكني.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً
مباركاً كما تنزههم من كل عيب
الحمد لله بجميع محامده كلما ما علمت منها وما لم اعلم والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كما بدأنا به يوم طابوا به يتسمى
وبعد فإله العبد الضعيف الخفي الذليل المذنب الخاطيء كثر الخلل
انراحم جفوموكا المتصفا بجاء استاذة ملكي احرار وجاه استاذة
السمرجهراني فاسم وجاه استاذة ملكي احرار التهان بجاهم الرسول
الذي وجاه رسول الله كل الله عليه وسلم الى وجهه الذي يسمي
عمرانه نوره وسنن محبوبه ورضي والديه والعقل الالحوا الخور زمان
صفت والنواضع ذلكا ونفا قلبه من الحقد والحسد وقول الزور ومن
جميع ذلكا بحال السيئة الكريمة التي يحج البلاء بها نسا الذي الله بك ولا
نسا لك يا حرمي يا باوي يا منين يا صديق يا فدي يا ذا الجلال والكرام
يا من موحى لا يموت يا ارحم الراحمين يا رب العالمين يا ولى المؤمنين
يا من لا يتنوع عليه زمان يا من لا يختص بمكان دون مكان اذ العزة
والجبر وفيه يا الله يا الله يا يد يد السموات والارض يا من لا يخفى عليه خافية
يا بصير يا عباد يا من يفتي يا منع يا من لا اله الا هو يا ارحم الراحمين يا من لا اله الا هو
يا ديو من ادحك وحققتك بفضلك فغناوا عبيدك ونبيك
محمد صلى الله عليه وسلم اجمعين ولوالديه وجميع المؤمنين اجمعين
وسعت كل شئ بحرس ذلكا عمر بن بن مولود بن محمد بن حسان بن الشاعر
سما يدرك الجكني الرضوي السعدي النشدي في اراداه بفتح كتابه على السأه
ابتداء جنسه وانع وردنا مقامه لافيه برده احد منكم فيك اي ما ابتداء
جنسه ورمع ابتداء حساه مع علمه اه جوقا كل ذم علمه واليه للموجوه
للموايبا والربابه الثابت انه على كل شئ فدي وبلا جبانة حديد واهول
الرقم ٤



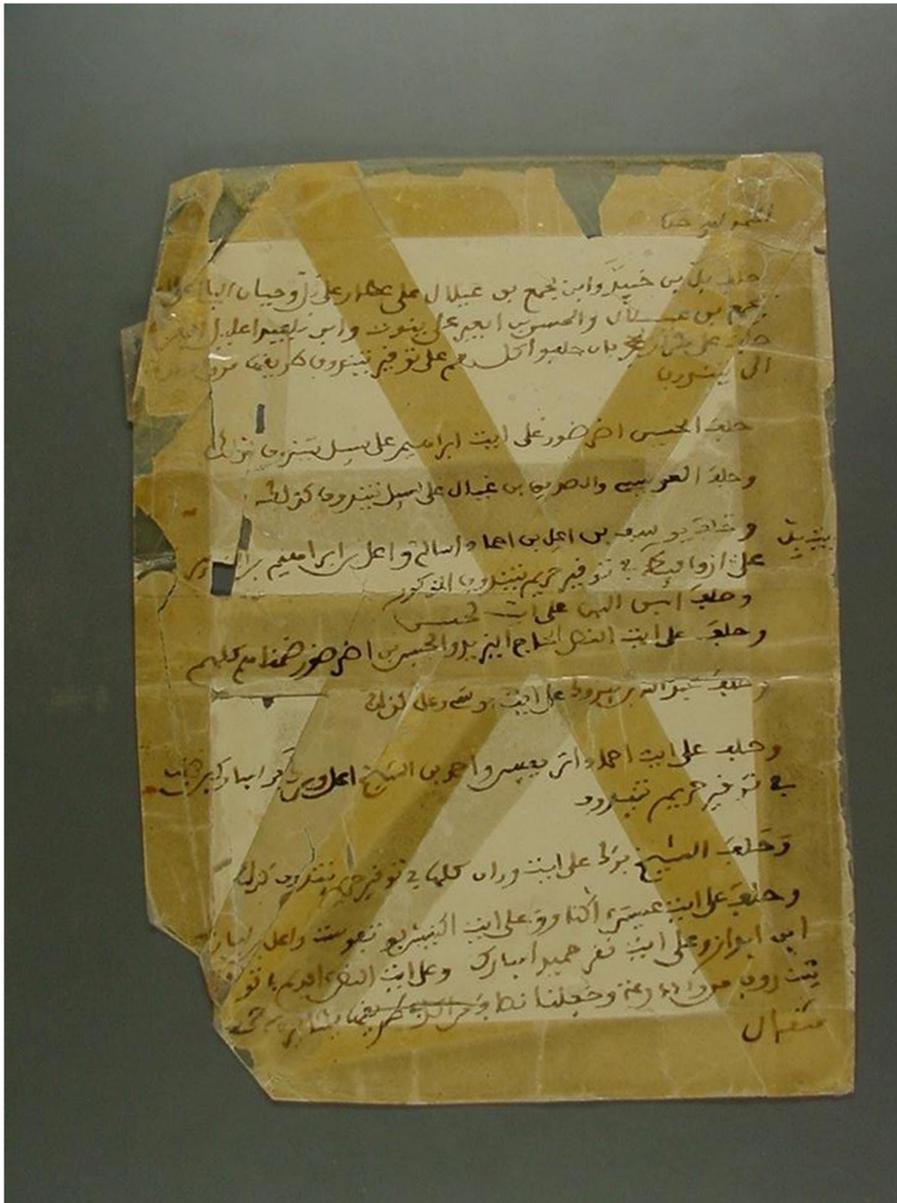
- المصدر: عمر بن العرب بن مولود الحكيم: ديوان حسان ، مخطوط بخزانة أهل العبد بتندوف ، الجزائر. الورقة 1و، الورقة 100و

- نص الوثيقة: "الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. هذا ما تعاقدت عليه جماعة تجكانت وجماعة أرقبيات على أيدي الشيخ احمد متكفلا بما لزم أرقبيات، وممن حضر منهم هنا إبراهيم ولد ابريك امبارك، ويحيى بن أحمد بن الحسن، وأحمد مولود بن الخروف، وأب أعل بن ابريك بن أب اعل والبشير بن منصور وسيدي علال لبيهي، وتكفل أيضا دحمان بن الشيخ امبارك بما لزم تجكانت وممن حضر منهم هنا المصطفى بن الديمان، وامحمد بن الصالح، وسيد اعل بن أحمد الحاج بوبكر، وعبيد بن المخطار، وأحمد يكن بن شيخنا سيدي محمد المختار، وأحمد بن سيدي أحمد، وهذا ماتعاقدوا عليه في إبرام السلم بينهما، وأن أيت موسى وعل وأيت بل واقفون جميعهم بينهم، وأن من غدر أحدا من الفريقين يرد ما أخذ ويؤدي دية من قتل، وإلا فجميع تكن كلهم عليه يدا واحدة ، وأن من غدر من الفريقين يعطي الشيخ ستة قناطير. وتحمل من حضر هنا من أرقبيات بجميع أرقبيات وبما لزمهم ، وكذلك يعطونه للشيخ احمد أي يعطونه ما أخذوا كم مال و من أي تحمل قوم لكواسهم المذكورين للشيخ احمد بجميع ما لزم أرقبيات، وتحملوا أيضا لتجكانت بجميع ارقبيات. كما تحمل من حضر من تجكانت بجميع تجكانت. وبه كتب بأمر كل الفريقين، لعشر خلون من صفر عام 1281هـ محمد فال بن أحمد جد اليعقوبي أصلا الجكني وطنا، لطف الله به وبالمسلمين. وقولي للجماعة أعني بما الشيخ احمد فإن من غدر يعطي الشيخ محمد ستة قناطير، ولذلك ضربت على لفظ الجماعة ،كرر اسمه محمد فال.صح ما ذكر محمد فال من قبل القبيلة والسلام كتبه أحمد يكن بن محمد المختار بلعمش لطف الله به. صح مني ذلك المغراوي بن مولود الجكني لطف الله به، وشهد بما فيه حرفا بحرف وتاريخا بتاريخ عبد ربه محمد بن محمود الأبيهي أرقبيي تيب عليه. صح بما أعلاه حرفا بحرف... عبد ربه علال بن إبراهيم بن القاسم لبيهي، وعبد ربه عباس بن الرقيبي تيب عليه"

- نص الوثيقة: "... الصلاة والسلام على من لا نبي بعده . أشهدني جماعة القواسم سوى الفقر أنهم تبرؤوا وانفصلوا مع جماعة تجكانت من جملة الديات المدعين بما أهل ابراهيم اداو من الجنح وغيرهم وكذا ما ادعاه البيهات والعياش أبرؤوا تجكانت مما ذكر كليا... بحيث لاقيام لهم فيه طال الزمان أم قصر ولم يبق بينهم سوى تبعات المال الكائنة بين الفريقين لم تدخل في الإبراء وبه كتب من أشهدوه القواسم أعني وفدهم منه أصل بن ابراهيم بن الخروف ومحمد الأمين بن البيلال العباس وسي أحمد بن البالل وييل وحيمن الجنحا وهم بحال يتم به الإشهاد أواسط شوال من 1302هـ عبد ربه الحسين بن عبد الرحمان الزفاط الملازم .

قراة ... في مسجد المرابط سيد محمد المختار بن الأعمش نفعنا الله ببركاته وبزاويته وبأولاده وبمن احترم به آمين ومن قراه من الخوايا."

الوثيقة رقم 5 : قسم زعماء القبائل على احترام وتوقير أرض تجكانت وتندوف¹

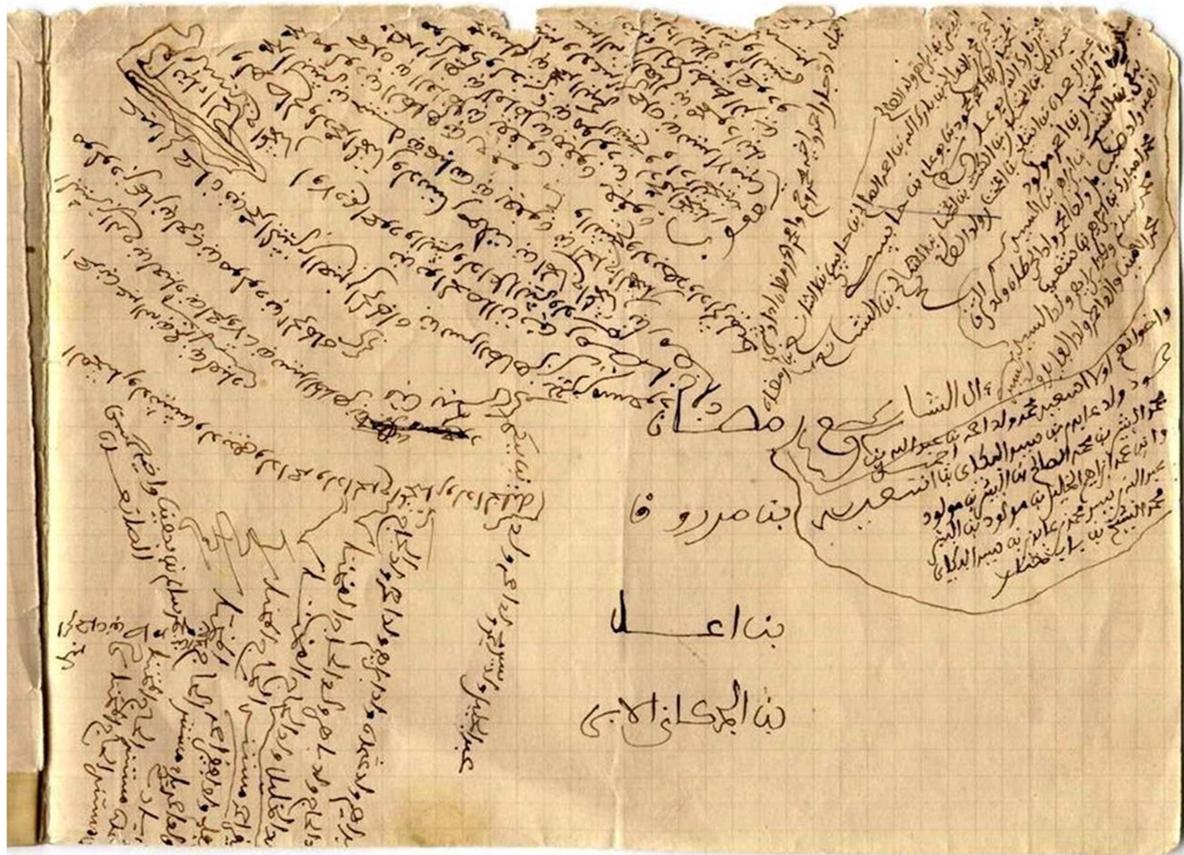


¹ - قسّم زعماء القبائل على احترام حدود أرض تجكانت وتندوف، وثيقة مخطوطة، خزانة محمد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر، الورقة 1و.

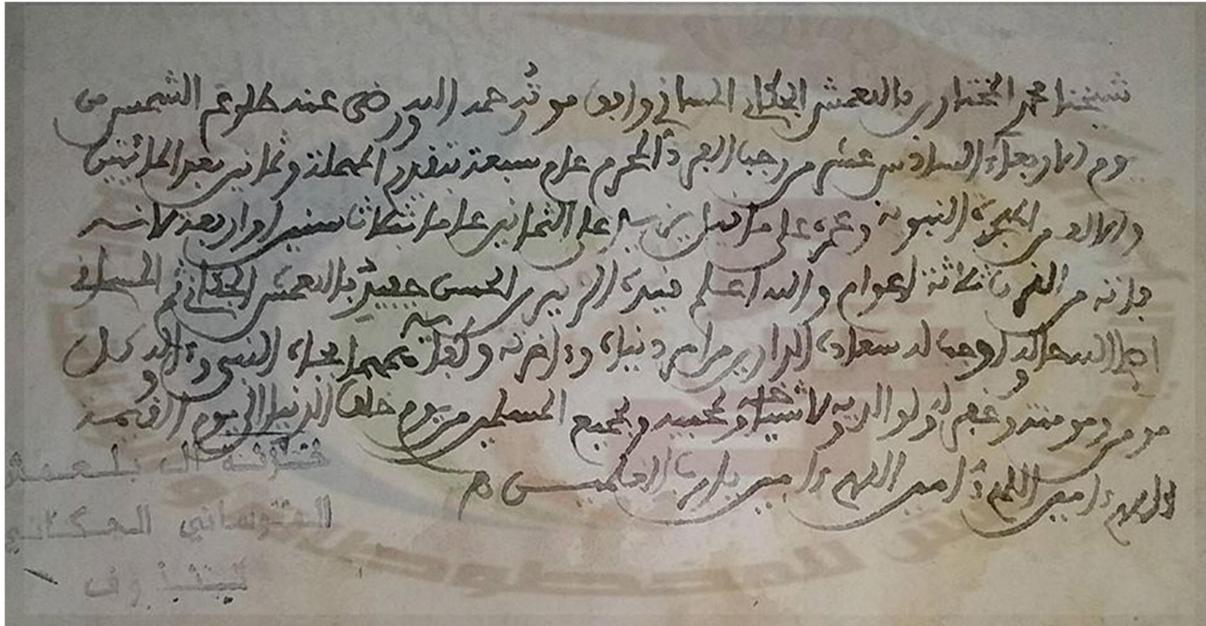
- نص الوثيقة: " حلف بلّ بن خيّر وابن جمع بن عيلاّل على عصار على بل وحيان الباى على بجمع بن عيلاّل والمسرّين ايعير على بنوت وابن بلعيد اعليل أجمعين حلف... حلفوا كلهم على توقير تيندوف طريقها من واد درعة إلى تيندوف حلف الحسن اضرضور نيابة عن قبيلة أيت ابراهيم على سبل تيندوف كذلك وحلف يوسف بن اعل بن احماد وغيره نيابة عن قبيلة ازوافيط في توقير حريم تندوف المذكور، وحلف ابن النبي نيابة عن قبيلة أيت لحسن، وحلف على أيت النص الحاج اليزيد والحسين بن اضرضور ضمناهم كلهم.

وحلف عبد الله بن بيروك نيابة عن قبيلة أيت يوسى وعلى لزان، وحلف الشيخ برك على أيت ودان كلها في توقير حريم تندوف كذلك، وحلف على أيت عيسى أكتاو وعلى أيت اكيشي بوتفوست واعل لبارح ابن ابراز وعلى أيت نقر حميد امبارك وعلى أيت النص اقديم في توقير تيندوف من وادي درعة... "

1 - الوثيقة رقم 6: شجرة فرع الرماضين من قبيلة تيمكانت



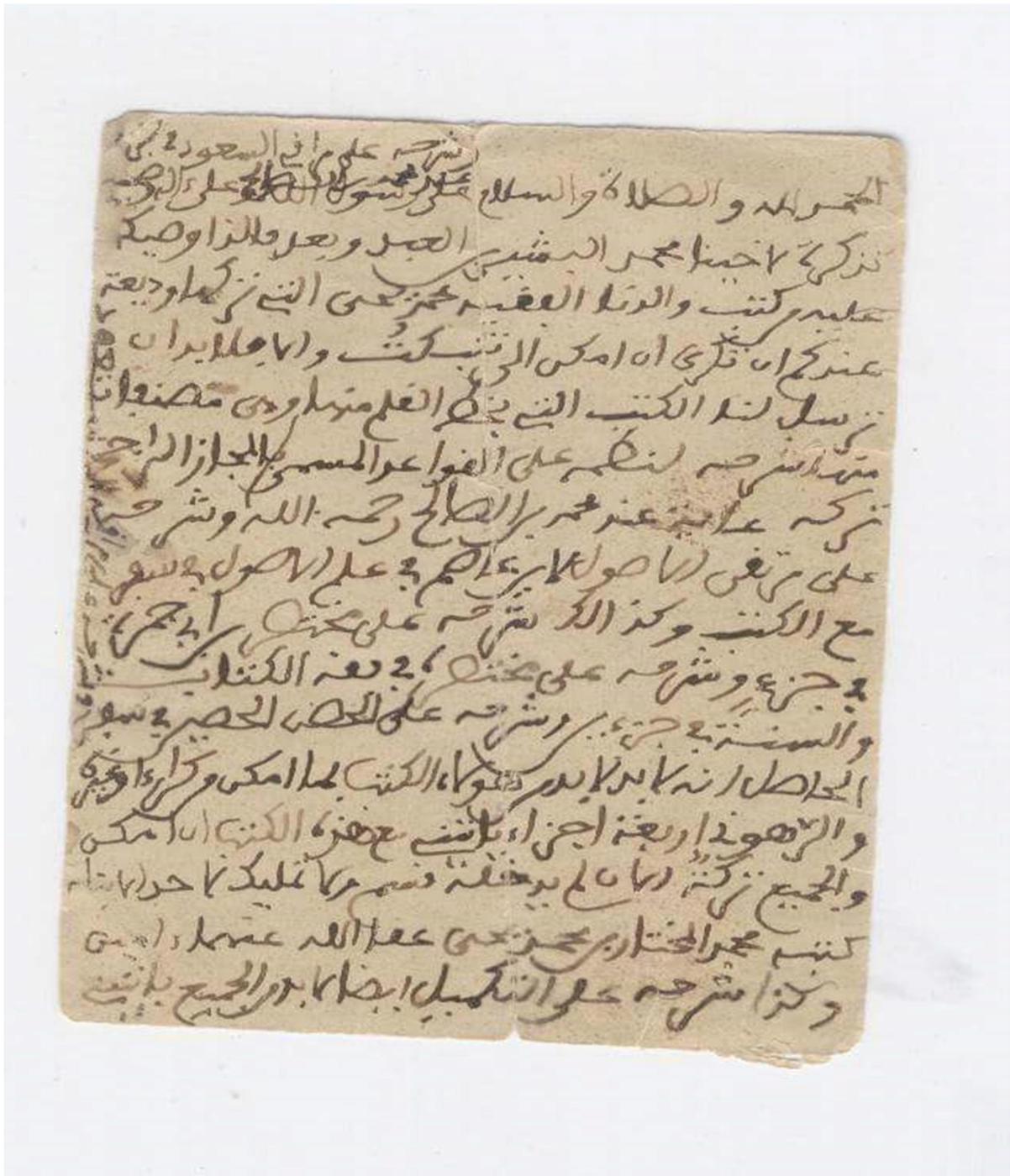
¹ - سيدي أحمد بن محمد بن الصالح بن برك الله الحكني: شجرة فرع الرماضين، وثيقة مخطوطة، خزانة أهل العبد، تندوف الجزائر، الورقة 1و.



- نص الوثيقة: " شيخنا محمد المختار بن باللعمش الحكاني المساني وافق موته رحمه الله ورضي عنه طلوع الشمس من يوم الأربعاء السادس عشر من رجب الفرد المحرم عام سبعة بتقديم المهملة وثمانين بعد المائة والف من الهجرة النبوية، وعمره على ما قيل يزيد على الثمانين عاما بثلاث سنين او أربعة، لأنه فاته من القرن ثلاثة أعوام، والله أعلم، قيده الزبير بن الحسن حفيد باللعمش الحكاني المساني، أصلح الله حاله وأوجب له سعادة الدارين من أمر دنياه وآخرته وكفاه همهما بجاه النبي وآله وكل مؤمن ومؤمنة وغفر له ولوالديه ولأشياخه ولحببيه ولجميع المسلمين من يوم خلق الدنيا إلى يوم القيامة، اللهم آمين اللهم آمين يارب العالمين"

¹ - مجهول: تقييد وفاة العلامة محمد المختار بن بلعمش، وثيقة مخطوطة بخزانة محمد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر، الورقة 1و.

- الوثيقة رقم 8: رسالة ابن العلامة محمد يحيى الولاقي لمحمد البشير بن العبد الحكيم¹



¹ - رسالة من محمد يحيى الولاقي إلى محمد البشير بن العبد الحكيم حول كتب والده ودعوة عند أهل العبد، وثيقة مخطوطة، خزانة أهل العبد تندوف، الورقة 1و.

- نص الوثيقة: "الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وصحبه

تذكرة لأخينا محمد البشير بن العبد فالذ أوصيكم به من كتب والدنا الفقيه محمد يحيى التي تركها وديعة عندكم أن تكري إن أمكن إلى تنبكت وإلا فلا بد أن ترسل لنا الكتب التي بخط القلم منها ومن مصنفات منها شرحه لنظم على القواعد المسمى بالمجاز الراجح تركه عارية عند محمد بن الصالح رحمه الله وشرحه على مرتقي الأصول لابن عاصم في علم الأصول في سفر مع الكتب وكذلك شرحه على مختصر بن أبي حمزة في جزء وشرحه على مختصره في فقه الكتاب والسنة في جزأين وشرحه على الحصن الحصين في سفر الحاصل أنه لا بد من هؤلاء الكتب بما أمكن من كراء وغيره والزهوني أربعة أجزاء يأتي مع هذه الكتب إن أمكن والجميع تركة الأب لم يدخله قسم ولا تمليك لأحد الأيتام كتبه محمد المختار بن محمد يحيى عفا الله عنهما ءامين وكذا شرحه على التكميل أيضا لا بد من الجميع يأتي شرحه على مراقبي السعود"

- نص الوثيقة المترجم:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله؛ سينتهي إلى المعنى بالأمر أن حدود
الأملاك الخالصة لله ولتجكانت المنتمين إلى تندوف حيث كانوا يقيمون بالحدود كما يلي:

يمينا تغازة إلى تندوف، وقبلة زكدو إلى تندوف، وبحرا تفكومت إلى تندوف، ويسارا من
بنتيلي إلى تندوف، وإن معسكراتهم هي: لفجيج، إيموران، بوغسيسم، الجبيلات، وعوينة
بلقرع، وتينقليت، تاكوميا تينفوشي، هيهاس، لكحال، ابسييسا، والجفيرات، وواد بوزيارازير،
خنيق لجواد، أم القراجيم، وواد الكيهون، وزمول حيث مدفون سيدي المنير بن محمد بن
القاضي الحكاني. والبويرة، والبنقات، والهيرام، وخنيق لمهار، وواد الرويجانة، وفرقش،
وتفكومت، وفم لعشار، وقلب سيدي ابراهيم بن رزق الله حكاني. والدجيديرية، وسبيس
لحماد وراس بوعميرة، والتدجراين، وبير تقشيت، وآحفير وقلاب حاسي الهدجار.

إن محرري هذه الوثيقة هم: محمد بن السنهوري بن محمد سالم الحكاني الموساني، ومحمد
المختار بن بلعمش، وإبنا عمه الوالي ولد عبد الرحمان ولد بهيا، وسيدي علي الحكاني، والعبد
ولد الحرطاني الرمضاني الحكاني، ولعباد ولد سيد الطاهر الحكاني الرمضاني، وبوعام ولد لحبيب
الرمضاني الحكاني، وسيد المختار ولد الحاج المختار الحكاني الرمضاني، وأولاد سيد الحاج،
وسيدي بلال، وأولاد بونعامة ولد القاضي الموساني، ومحمد محمود ولد الحاج سيدي علي
الحكاني، وحمو ولد عبد الرحمان ولد التركي الرمضاني الحكاني، وبن القرعة بن عبد الله
الموساني الحكاني .

حررت سنة ألف ومائتين وثمانية وستين من هجرة النبي

- الإمضاء: محمد المختار بن بلعمش

- ترجمة مطابقة تندوف ديسمبر 1959م

- ح.ب. نيقوسي الكاتب المترجم يليه توقيع وطابع مقاطعة تندوف الصاوره.

والحمد لله والسلام على من أرسله صلى الله عليه وسلم
 أما انحر فدا زوكتت صخر عبر النهر في بدران، وكالة
 موهنة على امرار غبوي التي تسمى تينقي
 بجران، اذ نت في ذلك جماعة أبناء موساي ودا
 دون ومي وجرت مي بتي رمضان واذ يثقف وانبأ ابراهيم
 واكثر البيل كما يبعها بل يتصرف فيها كيف يشاء من
 أنواع المعاملات والعريه لم يربح وثقايه ويكتب انما عريه
 عبر النبي نجم الدين الحكني الموساني لعشر بقين
 من ربيع الثاني عام احمري وسبعين وثلاثمائة والاربع
 من هجرة صلى الله عليه وسلم
 Louange à Dieu et les deux saluts sur le prophète Mohammed.

qui m'a donné l'assurance
 pour l'affaire de Kephonia qui s'appelle encore "Binquii"
 Cette procuration incontestable a été donnée après avis de la
 Djemâa des oulâs Mourrany, celle des Ehl' Bauna et ceux que
 j'ai pu voir de la djemâa de "K'madhrine", de "Jelichrif", de oulâ
 Borakim, des Leqoilil;
 C'est à condition qu'il ne va de pas cette terre mais il peut la louer
 la prêter à des gens de confiance en mentionnant chaque fois
 qu'elle est simplement prêtée.
 Signé: Abouallah et Raymond chef général de l'adjakant à Boutdim
 Boutdim le 25 Janvier 1952
 au: Le Résident



¹ - بدي ولد أحمد: أولاد موساني الكيلة تاريخا وأدبا، د.د.ن، موريتانيا، د.ت.ن، ص 295.

- ملحق الصور

- الصورة رقم 01: زاوية العلامة محمد المختار بن بلعمش بتندوف



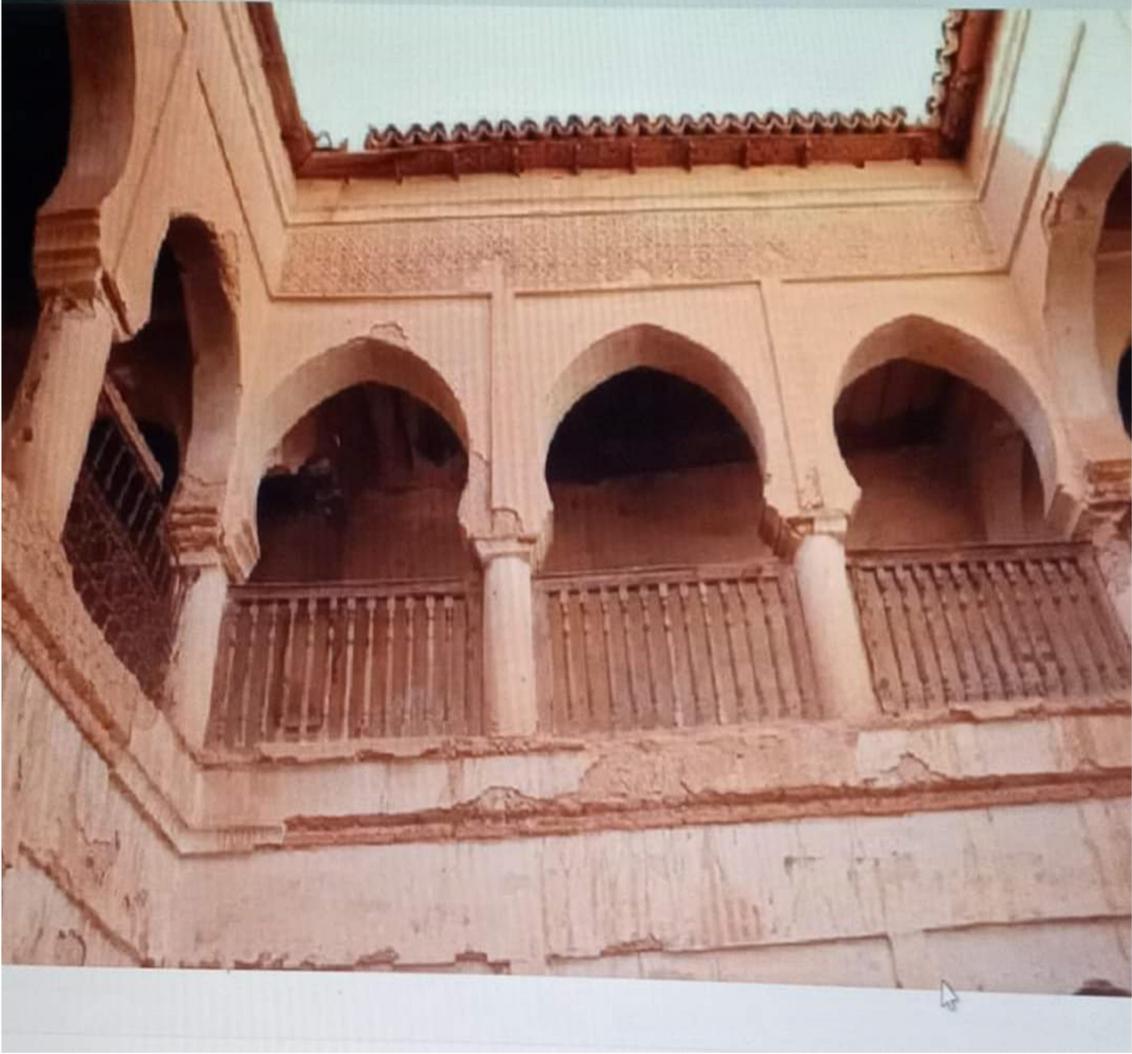
- المصدر/ الصورة ملتقطة من طرف الباحث يوم 22 فيفري 2017

- الصورة رقم 2: دويرية أهل العبد بتندوف (الطابق الأرضي)



- المصدر: الصورة ملتقطة من طرف الباحث يوم 22 فيفري 2017

- الصورة رقم 3: دويرية أهل العبد بتندوف (الطابق العلوي)



- المصدر: الصورة ملتقطة من طرف الباحث يوم 22 فيفري 2017

- الصورة رقم 05: سقف غرفة بعمارة تجكانت



- المصدر: الصورة ملتقطة من طرف الباحث يوم 22 فيفري 2017

- ملحق القصائد الشعرية

- القصيدة رقم 1: قصيدة أحمد يكن بن محمد المختار بن بلعمش إلى العلامة محمد يحي

الولايي¹:

إلى العالم الأَرْضَى الكَرِيمِ المُبَجَّلِ
وحائزِ خِصْلِ السَّبْقِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
مَنْ أَحْيَا بِهِ الرَّحْمَانَ كُلَّ شَرِيعَةٍ
سَلَامٌ يَفُوقُ الْمِسْكَ رِيًّا وَطَعْمُهُ
فموجِبُهُ إِعْلَامُكُمْ بِمُحِبَّةِ
وَإِنِّي عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ إِلَيْكُمْ
فَلَا تَنْسَنَا فِي كُلِّ حِينٍ بِدَعْوَةٍ
وفَاتِقِ رَتَقِ الْمَشْكَلاتِ مِنْ أَوَّلِ
وَرَاضِعِ أَلْبَانِ الْعُلُومِ بِلَا مِثْلِ
أُمِيَّتَتْ وَأَخْرَجَتْ مِلَّةَ الظُّلْمِ وَالْجَهْلِ
أَلَّذُ مَذَاقًا مِنْ حَنَى النَّحْلِ وَالنَّخْلِ
مِنْ الْحَائِرِ الْمُحْتَاجِ لِلْحَدَنِ وَالشَّكْلِ
وَإِعْلَامُكُمْ مِنْ وَاجِبِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ
جَلِيلَةٍ قَدْرِ يَا إِمَامَ ذَوِي الْفَضْلِ

- القصيدة رقم 2: ورد عليه العلامة محمد يحي الولايي بقوله :

سَلَامٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ فَاحَ لَهُ عَرْفُ
سَلَامٌ يَفُوقُ الْمِسْكَ طَيِّبًا تَحْفُهُ
سَلَامٌ إِلَى كَهْفِ الْمَكَارِمِ مَنْ إِذَا
إِلَى أَحْمَدَ الْبِرِّ الْفَتَى الشَّامِخُ الَّذِي
هُوَ الْفَضْلُ نَجَلُ الْفَضْلِ وَالْفَضْلُ جَدُّهُ
وَبَعْدُ فَإِنَّ الْبِرَّ وَالْفَضْلَ وَالنَّدَى
تَبَرَّهُمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْقِرَى
وَإِنْ جَاءَ غَرُّ ثَانٍ لَعَلِمَ سَقِيَّتُهُ
وَإِنِّي لَكُمْ حَبُّ جَمِيعِ وَدَادِهِ
فَتَاهَتْ عَلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ نَشْقِهِ الْأَنْفُ
تَحِيَّةُ تَكْرِيمٍ يُرَافِقُهَا أَلْفُ
بَدَا وَجْهَهُ اسْتَحَى لِهَيْبَتِهِ الطَّرْفُ
لَهُ الْعَدْلُ يَمْنَى وَالْكَرَامَةُ وَالْعُرْفُ
لَهُ أَكْرَمُ الْأَحْسَابِ وَالنَّسَبُ الصَّرْفُ
وَإِكْرَامُ أَهْلِ الْفَضْلِ سِيَمَى لَهُمْ تَصْفُو
وَتَكْرِمُهُمْ دَابًّا وَتَرْفُو وَلَا تَهْفُو
بِأَكْوَسِ عِلْمٍ زَانَهَا اللَّطْفُ وَالْعَطْفُ
يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ وَلَا يَجْفُ²

¹ - محمد المختار السوسني: المعسول، ج18، المرجع السابق، ص 161.

² - المرجع نفسه، ص 162.

- القصيدة رقم 3: قصيدة أحمد يكن للعالم أبا محمد الطاهر التامانارتي:

إِلَى الطَّاهِرِ الأَرْضَى الكَرِيمِ المَبْجَلِ
وَوَارِثِ أَرْبَابِ المَكَارِمِ وَالتَّقَى
سَلَامٌ كَعُرفِ المِسكِ أَزكى أَرْيَجُهُ
وَأطيبُ فِي الأَسْمَاعِ مِنْ صَوْتِ مِزْهَرِ
تَشْفَعُهُ أَسْنَى التَّحِيَا وَرَحْمَةً
يُرُومُ بِذَا عِرفَانِكُمْ وَوِدَادِكُمْ
حُزْنِيَّتُمْ بِإِحْسَانِ كَثِيرِ وَنِعْمَةٍ
فَلَا رَلْتُمْ لِلْحَقِّ رُكْنَا مَشِيدًا
وَلَا غَرَوُ أَنْ كَانَتْ مَأْتَرُ فِيكُمْ
فَأَنْتَ بِذَا أَوْلَى وَأَحْرَى وَليسَ مَنْ
وَصَلَّى عَلَيَّ عَيْنِ الوُجُودِ مُحَمَّدِ
رَضِيْعَ لَبَانِ الجُودِ وَالعِلْمِ وَالفَضْلِ
مِنْ أَجْدَادِهِ حَتَّى عَلا كُلُّ مُعْتَلٍ
وَأشْهَى مَدَاقٍ مِنْ رَحِيْقٍ مُعَسَلٍ
بِكَفِّ خَبِيرٍ بِالعِنَا مُتْرَسَلٍ
تَدُومُ مَدَى الإِصْبَاحِ مِنْ مَتَطَفَلٍ
وَحَبِّكُمْ فَالفَضْلُ لِلْمُتَفَضِّلِ
وَخَيْرِ كَثِيرٍ دَائِمٍ مُتَسَلِّلِ
مَتِينًا قَامِعًا أَقَاوِيلَ مُبْطَلِ
وَرَاثَةَ نُورٍ عَنِ كِرَامٍ وَأَوَّلِ
يُبَارِيكُمْ فِي القَوْلِ صَاحٍ أَوْ الفِعْلِ
دَوَامَ انْدِفَاعِ السَّيْلِ مِنْ هَاطِلِ الوَيْلِ¹

- القصيدة رقم 4: قصيدة أحمد يكن بعد إتمامه لشرح صحيح البخاري:

حَمِدْتُ الذِّي أَوْلَى مِنَ الفَضْلِ مَا يَكْفِي
فَلَا نَاسِجَ مِثْلَ البُخَارِيِّ قَدْ أَتَى
كِتَابُ غَدَا لِلدِّينِ جَامِعُ شَمْلِهِ
أَصْحُ كِتَابٍ بَعْدَ قُرْءَانِ رَبَّنَا
فَقَدْ جَمَعَ الإِيْمَانَ وَالعِلْمَ وَالهُدَى
أَحَادِيثُهُ تُنْبِئُكَ عَنِ عِظَمِ شَأْنِهِ
فَقِيَّةٌ مِنْ أَسْرَارِ الشَّرِيعَةِ أَصْلُهَا
فَمَا تَصِفُ الأَمْدَاحُ فِيهِ وَكَيْفَ لَأ
فِيَارِبُّ بِجَاهِهِ وَبِمَا حَوَى

عَلَى خَتَمِ هَذَا الجَامِعِ الحَسَنِ الصَّرْفِ
بِنَسْجِ يُحَاكِي ذَا الصَّحِيحِ مُؤَلَّفِ
بُعِيدَ شَتَاتٍ يَالَهُ مِنْ مُصَنَّفِ
وَاجْمَعُهُ لِلدِّينِ ضِعْفًا عَلَيَّ ضَعْفِ
لِقَارِنِهِ أَحِبُّ بِهِ مِنْ مُشْرِفِ
تُفِيدُكَ تَبْيَانًا وَنُظْهَرُ مَا خَفِي
يَرَى ذَاكَ مَنْ عَانَاهُ مِنْ كُلِّ مُنْصِفِ
وَأَلْفَاظُهُ مِنْ خَيْرِ أَلْفَاظِ مُصْطَفِي
مِنَ العِلْمِ وَالعِرْفَانِ وَالأَمْرِ بِالعُرْفِ

¹ - المرجع نفسه ، ص 163.

وَجَاهِ رِجَالٍ لِلصَّحِيحِ قَدْ أَسَدُوا
فَإِنَّا تَوَسَّلْنَا بِمَا فِيهِ مِنْ هُدَى
وَمِنْ كُلِّ قَاصِدٍ مَضَرَّتْنَا وَمِنْ
إِلَهِي فَارْدُدْ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ
وَأَمِنْ إِلَهِي قَصْرْنَا لَا يُسْوِؤُهُ
بِجَاهِ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ خَلَقِهِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقُ¹

مُتُونًا لَهُ خَلَّتْ عَنِ الْوَهْنِ وَالضُّعْفِ
لِتَحْفَظَ هَذَا الْقَصْرَ رَبِّ مِنَ الْخُتْفِ
عَدُوِّ غَشُومٍ جَارٍ فِي الظُّلْمِ وَالْعَسْفِ
وَأَشْمِتْ بِهِمُ أَعْدَاءَهُمْ رَبِّ بِالْخُتْفِ
مُسِيئٍ فَأَنْتَ اللَّهُ ذُو الْحِفْظِ وَاللُّطْفِ
وَأَصْحَابِهِ الْأُسْدِ الْغَضَابِ لَدَى الرَّحْفِ
وَمَا نَاحَ قَمْرِي بِلَيْلٍ عَلَى الْإِفْ¹

- القصيدة رقم 5: قصيدة المختار بن بونا الحكني.

حَدْتُ حُدَاةَ بَنِي يَحْيَى بْنِ عُثْمَانَ
وَعَنْ قَرِيبٍ سَتَحَلُّوْا غَيْرَ وَأَنِيَّةٍ
وَنَحْنُ رَكْبٌ مِنَ الْأَشْرَافِ مُنْتَظِمٌ
وَقَدْ اتَّخَذْنَا طُهورَ الْعَيْسِ مَدْرَسَةً
نَتْلُو كِتَابَ إِلَهِ الْعَرْشِ كُلَّمَا
عَلَى نَجَائِبِ هَوْجٍ لَا وِنَاءَ بِهَا
تَطْفُو وَتَرَسُّبُ طَوْرًا فِي نَفَانِهَا
وَتَارَةً فِي الْأَوَادِي مِنْهُ تَحْبَسُنَا
وَلَوْ تَرَى إِذْ هَبَطْنَا حَامِلِينَ لَنَا
هَوَتْ مِنَ الْأَرْضِ نَحْوَ الْجَوِّ حَامِلَةً
وَالْمَجْدُ فِي أَيِّ أَرْضٍ تَبْلُغُونَ ثَوَى
إِنِّي إِبْنُهُمْ وَهُمْ أَهْلِيٌّ وَلَكَسْتَ تَرَى
أَقْلَامُنَا قَدْ أَبَتْ ذَاكُمْ وَأَسَيْفُنَا
مَاذَا عَسَى قَدْ يَضِيرُنَا أُولُو حَسَدٍ

إِبْلِي بَزِيْزٍ فَانْرَمْرَا فَوَازَانَا
حَدَاتِنَا نَيْنَ كُرُومٍ وَدَامَانَا
أَجَلٌ ذَا الْخَلْقِ قَدْرًا دُونَ أَدْنَانَا
بِهَا نُبَيِّنُ دِينَ اللَّهِ تَبْيَانًا
وَكُلَّ يَوْمٍ نَلْقَى تَوْفَانَا
تَطْوِي الْمَهَامَةَ بُلدَانَا فَبُلْدَانَا
تَخَالِهَا مِنْ بَحَارِ الْآلِ نَيْنَانَا
فُلُكَ النَّصَارَى بِمَجْرَانَا وَمَرَسَانَا
مِنْ كَرْمِيلَ كَانَا فِيهِ عَقْبَانَا
تَوْمٌ أَفْرَاخُهَا بِالْوَكْرِ جَدْيَانَا
مُسْتَوِطِنَا حَيْثَمَا حَلُّوا بِجَاكَانَا
مِنَ الْبَنِيْنَ وَلَا الْأَهْلِيْنَ أَكْفَانَا
مَنْ ذَا يُدَافِعُ مَا الرَّحْمَنُ أَوْلَانَا
أَنْ يُكْثِرُوا فِي ضَمِيرِ السَّرِّ أَضْعَانَا

¹ - أحمد يكن بن محمد المختار بن بلعمش، قصيدة التوسل والدعاء بعد ختم صحيح البخاري، وثيقة مخطوطة،

خزانة محمد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر، الورقة 1و.

وَمِنْ تَكُنْ هَمُّهُ الْأَقْدَارُ نُصْرَتُهُ
 حِلْمِي وَصَبْرِي يَمُدَّانِي وَلِي خُلُقٌ
 وَلِي سَرِيرَةٌ خَيْرٌ سِيرَتِي حَمَلْتُ
 وَهَمَّةٌ دُونَهَا هَامَ السَّمَاءِ وَمَنْ
 أَمَّا الرَّجَالُ فَرَنَاهَا بِالْخُطُوبِ وَلَا
 وَلَا تَقُلْ ذَا فَتَى يُرْجَى لِنَائِبَةٍ
 وَهَيْبَةٌ مُبْلِتٌ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَلَوْ
 وَلَا يُنْهِنُهُنِي عَنْ حَاجَةٍ جَزَعٌ
 وَلَا أَعُولُ فِي أَمْرِي عَلَى أَحَدٍ
 لَمْ تَقْدِرِ النَّاسُ أَنْ تَهْوِيَ لَهُ شَانَا
 قَدْ كَانَ لِي فِي جَمِيعِ النَّاسِ عِرْفَانَا
 بِهِاءَ فَضْلِي ذَكَائِي مَنْصِبِي صَانَا
 هَمَّتُهُ دُونَهَا هَامَ السَّمَاءِ دَانَا
 تَجْعَلُ لَهَا الْعَيْنَ قَبْلَ الْخُطْبِ مِيزَانَا
 وَلَا أَخُونُ خَلِيلًا لِي وَإِنْ خَانَا
 نَظَرْتُ شَزْرًا إِلَى أَقْصَى الْوَرَى حَانَا
 وَلَا أَلَيْنُ وَإِنْ ذُو لَوْتَةٍ لَانَا
 وَلَا أَنَائِي حَمِيمًا نَاءَ أَوْ دَانَا¹.

- القصيدة رقم 6: قصيدة الإمام محمد ألفغ الحكني عندما أصابه المرض في سجلماسة

آهِ لِمَرَضِي رِهَانٍ فِي سِجْلِمَاسِ
 وَآهِ لَهَا مِنْ حَشَاشَاتٍ تُسَاوِفُهَا
 وَمِنْ عِظَامٍ وَأَشْلَاءٍ مُمَزَّقَةٍ
 مَا كَانَ أَطْوَلَ أَيَّامٍ عَلَى حُسْنٍ
 كَأَنَّمَا شَرَبُوا فِيهَا وَمَا شَرَبُوا
 صَهْبَاءُ طَافَ مَهِينِ الْيَهُودِ بِهَا
 سَقَاهُمُ الْجُدْرِيُّ كَاسًا بِهَا شَرَبُوا
 مِنْ كُلِّ جَلْدٍ عَلَى الضَّرَاءِ مُصْطِيرِ
 يَصْحُو الْمَرِيضُ وَيَنْسَى مِنْ مُعَاهَدَةٍ
 يَهْتَرُ مِنْهُ ذِمَاءُ كُلَّمَا سَجَعَتْ
 تَبْكِي لَهَا آخِرُ أَبْدَانِهِنَّ كَمَا
 هَذَا وَمَا زَالَتِ الدُّنْيَا دَوَائِرَهَا
 أَرْسَوْا عَلَى كُلِّ نَجْدٍ مِنْ مُحَاضِرِهِ
 نَاءَ الْمَوَانِسِ وَالْعَوَادِ وَالْأَسِ
 تَنَوَّأَ جُسُومٌ إِلَى تَصْعِيدِ أَنْفَاسِ
 كَأَنَّمَا لَبِثْتُ حِينًا بِأَرْمَاسِ
 وَصَحْبُهُ ظَلَّتْهَا مِنْهُمْ عَلَى يَاسِ
 عُصَارَةَ الْكَرَمِ مِنْ بَيْسَانَ أَوْرَاسِ
 دِبَابَةٌ فِي عِظَامِ الظَّهْرِ وَالرَّاسِ
 تَقْدِيهِمُ النَّفْسُ مِنْ شَرْبِ عَلَى كَاسِ
 يَقْسُو إِذَا لَانَ مِنْ ضَرَّائِهِ الْقَاسِ
 يَوْمًا وَمَا هُوَ بِالصَّاحِي وَلَا النَّاسِ
 خُطْبَاءَ تَبَعَتْ مَا بَالُوا لَهُ الْأَسِ
 خَطَّ الزُّبُورِ يَهُودِيٌّ بِقِرْطَاسِ
 تَدُورُ كَالْفَلَكَ الدُّوَارِ بِالنَّاسِ
 خَيْمًا مَثَابَةً أَضْيَافٍ وَجُلَّاسِ

¹ - محمد المختار ولد اباه: المرجع السابق ص 352-353.

يُقُونُ لِلصَّيْفِ مَا أَلْقَى مِرَاسِيَهُ
 مِنْ الْمِلْحِ الطَّرِيفَاتِ اللَّوَا نَشَاتُ
 رَحْبُ الْمِرَاحِ عَزِيزُ الْجَاهِ فِي حَوْلِ
 مَحْضُ النَّجَائِبِ يَسْقِيهَا وَيُطْعِمُهَا
 هَذَا وَلَا أَشَمَمْتَ الْعَاوِي بِأَرْضِهِمْ
 مِنْهَا مِرَاسِي أُوْتَادٍ وَأَمْرَاسٍ
 مِنَ الْوَلَدَانِ وَالْوَلْدَانِ أَكْيَاسٍ
 مِنْهَا سَدَائِفٌ لَمْ تُوزَنْ بِقِسْطَاسٍ
 وَلَا تَدَاعَتْ زَوَايَا رُكْنِهَا الرَّاسِي
 مِنْهُمْ وَلَا أَوْحَشْتَ مِنْ بَعْدِ إِيْنَاسٍ¹

- القصيدة رقم 7: قصيدة محمد ألفغ الحكني يمدح فيها شيخه ويرد على من هجاه:

أَمْخْتَارَنَا الْبُونِي يَا شَيْخِنَا الرِّضَى
 رَأَيْتَكَ عِيُونَ النَّاسِ عَيْنٌ يَقِينَا
 فَهَابَكَ مَنْ يَلْقَاكَ مِنْهُمْ بَدِيهَةً
 فَمَا فِي نَضَالِ الْقَاصِرِينَ غَضَاضَةً
 هَجُوكَ وَلَمْ يَلْقَ بِأَثْوَابِكَ الْهَجَا
 فَإِنَّكَ مَنَا آلَ جَاكَانَ غَرَّةً
 يَفِيءُ عَلَيْهِمْ مِنْكَ ظِلُّ رِيَاسَةٍ
 إِذَا فَرَعُوا مِنْ غَائِلٍ قَرَعُوا إِذَا
 فَإِنَّكَ شَمْسٌ فِي الْعُلُومِ مُنِيرَةٌ
 وَبِحْرِكَ إِلَيْهِ الْمَعَالِي فَلَا خَلَتْ
 وَيَا زَيْنَ نَادِينَا إِذَا عَظُمَ الْأَمْرُ
 رِضَى فَاسْتَوَى فِيكَ الْمَجْرَبُ وَالْعَمْرُ
 وَيَرْغَبُ فِيكَ السَّائِرُونَ لَكَ السَّرُّ
 عَلَيْكَ إِذَا الْأَقْوَامُ غَيْرَهَا الْخَبْرُ
 فَأَنْتَ نَضَارٌ إِئْمَا يَصْدَأُ الصَّفْرُ
 وَإِنَّ زَوَايَا الْخَافِقِينَ بِنَا غِرُّ
 سِيرَتَهَا التَّقْوَى وَسِيرَتَهَا الْبَشْرُ
 إِلَى أُطْمٍ مِنْهَا مَعَارِجُهُ وَعَرُّ
 يُخَالُ السَّهَى مِنْ نُورِهَا أَنَّهُ الْبَدْرُ
 صُدُورُ النُّوَادِي مِنْكَ يَا شَمْسُ يَا بَحْرُ

¹ - عبد العزيز بن الشيخ الحكني: المرجع السابق، ص 145-147. ينظر. محمد سعيد القشاط : أعلام من الصحراء، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1997، ص 49.

- مساجلة شعرية 08: مساجلة شعرية بين محمد ألفغ الحكني تلميذ العلامة المختار بن بونا الحكني، والمامون بن محمد الصوفي اليعقوبي.

من المساجلات الشعرية في بلاد شنقيط ما كان بين تلامذة المختار بن بونا الحكني وشعراء اليعقوبيين، وسببه أنه لما ظهر المختار بن بون وانتشر ذكره في الإقليم ، صارت الناس تنثال إليه من كل وجهة ، وأرى الناس الطريقة النافعة في التعليم ، وكان من أكثر قبائل الزوايا آنذاك علما قبيلة إديقب، خصوصا في علم العربية¹، فأستجلبوه إليهم، ليأخذوا عنه علم النحو والكلام، فوقعت بينه وبينهم مناظرات وصلت حد الشقاق، حيث قاله المامون بن محمد الصوفي اليعقوبي:

قَدْ جَرَّتْ مَعْتَسِفًا يَا هَادِي الطُّرُقِ	وَإِنَّهُ الْبَحْرُ لَا يَفْتُنُكَ بِالْعَرِقِ
أَكْثَرْتَ حَزْكَ فِيمَا لَوْ دَرَيْتُ مَفْصَلَهُ	فَادِرِ الْمَفَاصِلَ قَبْلَ الْحَزِّ وَاسْتَفِقِ
مَا الدِّينُ إِلَّا الَّذِي تَسْعَى لِتَوْهِنَهُ	آي النَّبِيِّ وَأَثَارِ الْهُدَى الْعَتِقِ
لَا كُلُّ خَبَطٍ عَنِ الْيُونَانِ مُبْتَدِعٌ	قَدْ سَنَّ بَيْنَ أَصُولِ الدِّينِ مُخْتَلِقِ
تَحْصِي قَوَاعِدَ رَسْطَالِيَسَ تَحْسَبُهَا	دِينًا لَكَ الْوَيْلُ نَبْهَنَاكَ فَاسْتَفِقِ
إِنْ قُلْتَ سَاعَتَ لِمَنْ تَمَّتْ قَرِيحَتُهُ	أَوْ أَنْ تَخْلَصَ لَنَا مِنْ مُسْلِمٍ تَلَقِ
رَدًّا بَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ قَدْ أوردَهَا	وَرَدَّهَا الْمُصْطَفَى مِنْهُ عَلَى تَأَقِ
كَمَا الْبُخَارِيُّ فِي التَّوْحِيدِ أَخْرَجَهُ	وَالْحَبْرُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّارُ فِي طُرُقِ
إِنْ كُنْتَ تَوْرِدَ نَسَخًا أَوْ مُعَارَضَةً	لِذِي الْأَحَادِيثِ فَاذْكُرْ مَا تَرَى وَسِقِ
وَإِنْ تَكُنْ قَاصِرًا عَنْ كَوْنِهَا ثَبَّتْ	فِيمَا حَوَى سَرْحَهُ الْحِفَاطُ فِي الْوَرَقِ
فَأَنْتَ وَيْحَكَ فِي وَهْدِ الْحَضِيضِ فَلَا	تَعْرُضُ لِمَنْ خَاضَ فِيهَا شَاسِعَ الشَّقَقِ
فَاعْرِفْ مَقَامَكَ فِي دَرْكِ الْعُلُومِ وَلَا	تَمُدُّ يَدَيْكَ لِمَاوِي فَارِقِ الْأَنْقِ ²

¹ - أحمد بن الأمين الشنقيطي: المصدر السابق، ص 220.

² - المصدر نفسه، ص 280.

فلما وصلت للعلامة المختار ولد بونا هذه القصيدة التي هجاه بها المأمون اليعقوبي قال لتلامذته من يحسن أن يجيئها منكم فقالوا له الإمام بن محمد أبلغ الحكيم، وهو ما فعله حقا برد شعري قوي يقول فيه:

نَشَى فِي مَسْمَعِي لَهُ إِنْصِيَابٌ وَفَعُلٌ فِي الْفُؤَادِ لَهُ صِيَابٌ
مَعَاهِدٌ أَرْضَعْتَنِي فِي رَبَاهَا نَخِيلَةٌ وَالْمَدَارِسُ وَالشَّبَابُ
وَلَكِنَّ الْمَعَاهِدَ فِي رَبَاهَا قَدْ اخْتَلَفَ الْحَبَابُ وَالْحَبَابُ
عَرَائِسُ لَّا غِطَاءَ وَلَا وَطَاءَ بَلَى ذَاكَ السَّمَاءُ وَذَا الثَّرَابُ
عَلَى رَعْمٍ تَكْلُفُهَا الزَّوَايَا هِيَ الْحُمُرُ الْعِدَابُ أَوْ الْكُلَابُ
وَبَعْدُ وَلِلْخِطَابِ لِيُعَدِّ فَصْلٌ وَلَمْ يَرْتَجِ عَلَى الْأَدْبَاءِ بَابُ
مِنَ الْمَأْمُونِ يَرْتَقِبُ الْعِتَابُ وَتُرْتَقِبُ النَّصِيحَةَ لَّا السَّبَابُ
وَلَكِنَّ كُلَّ ذَاكَ لَهُ مَقَامٌ وَقَدْ يَخْفَى عَلَى الْفِطَنِ الصَّوَابُ
أَعْتَبَا بَعْدَ مَا أُوْدِي عَتِيي وَنَصَحًا بَعْدَمَا بَلِي الشَّبَابُ؟
فَلَوْ مِنْ قَبْلِ ذَا لِأَفَادَ نُصْحِي وَلَوْ مِنْ قَبْلِ ذَا نَفَعِ الْعِتَابُ
وَمَا الْآنَ إِذْ حَلَبْتُ صُرَامَ وَإِذْ عَاوَتْ فِرَاعِلُهَا الذِّيَابُ
وَعَنْ قَوْسٍ رَمَيْتُ وَحَنَّ قِدْحِي وَفَارَتْ مِنْ نَوَافِقِهَا الضَّبَابُ
فَإِنَّكُمْ الْخُزُولَةَ لَيْسَ إِلَّا وَجَاكَانَ الْعَشِيرَةَ وَالنَّصَابُ
لِقَدْ رَمَتِ الْأَوَانُ بِكُلِّ طَوْدٍ هُوَ الْمَرْمَى بِجَاكَانِ الْقِيَابُ
عَلَى أَنْجَادِ آكَانِ الْأَعَالِي بِحَيْثُ الدَّهْرُ يَنْسَكِبُ الرَّبَابُ
وَنَحْنُ النَّازِلُونَ ذُرَى الْمَعَالِي وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا يُعَابُ
وَنَحْنُ بَنُو النَّضَالِ فَنَحْنُ أَدْرَى كَأَنَّا أَهْلُ مَكَّةَ وَالشَّعَابُ
مُرَادَ بَيْنَ أَحْفَادِ مُلُوكِ مَكَاسِبِهَا الْوِجَاهَةُ وَالرَّقَابُ
رِقَابُ الْأَشْقَرَيْنِ وَكُنَّ أَنْسًا وَلِلذُّوبَانِ مَا لِهَمِّ تُهَابُ
فَحَاطُوهَا بِجَاهِهِمْ فَأَضَحَتْ ثُلَادًا لَّا شَقَاءَ وَلَا حِسَابُ
بَنِي صَلْبِ الْعُلَا وَأَبِي الْأَعَالِي أَبِي سَيْفٍ وَحِيرَتِهَا الرَّقَابُ

وَبَيْنَ الْهَامِ مِنْ " بَرَكِنِ " جَارِ
 حَبَانَا عَنْ تَكْرُمِنَا إِحْتِرَامًا
 وَمَرْمَى مِنْ أَوْلَيْكَ قَابِ قَوْسٍ
 فَنَعَمَ الْمَهْدُ بَيْنَ أَبٍ وَأُمَّ
 لَهَا مِنْ عَهْدٍ أَوْلَهَا إِمْتِيَازٌ
 إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانَ لَهَا تَلَطَّى
 نُمِيزُهَا إِزَالَةَ كُلِّ ضَرْبٍ
 وَإِنَّا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي
 وَإِنَّا لِلْعُقَاةِ مُنَاخُ نَزْلِ
 إِذَا الْمَاعُونَ أَصْبَحَ حَيْثُ أَمْسَى
 يَوَدُّ الرِّكْبُ لَوْ لَدْنَا أَقَامُوا
 نُفَاوِضُهُمْ لَدَائِدُ مَا اسْتَلَدُوا
 فَإِنَّ لَنَا سِقَايَةَ كُلِّ صَادٍ
 وَقَدْ غَصَّتْ بِهِمْ أَرْضُ رِحَابُ
 كَمَا إِحْتَرَمَ الْمَصَاحِفُ وَالْكِتَابُ
 وَمِنْ " جَاكَانِ " وَالْأَسْبَاطِ قَابُ
 جِهَادُ لَا سُكُونٌ وَلَا إِضْطِرَابُ
 كَمَا إِمْتَازَ الْعَفِيفُ أَوْ الْعَقَابُ
 لَهَيْبُ فِي الْكِمَاةِ لَهَا الْتِهَابُ
 وَمَعْنَمُهَا السَّبَاءُ وَالْإِسْتِلَابُ
 حِمَاةُ الْحَرْبِ وَالْأُسْدِ الْعُضَابُ
 وَمَنْزِلُنَا لِطَارِقِهِمْ جَنَابُ
 وَأَمْسَتْ حَيْثُ أَصْبَحَتْ الرَّغَابُ
 ثَبِيرًا لَا ذَهَابُ وَلَا إِيَابُ
 وَنُقْرِيهِمْ أَطَايِبُ مَا اسْتَطَابُوا
 إِلَى عِلْمٍ يَعِزُّ لَهُ الطُّلَابُ¹

¹ - مجموعة من المؤلفين: معجم الباطنين لشعراء العربية في القرنين 20/19م، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية، السعودية، 2020م، متاح على الرابط <https://www.almoajam.org/lists/inner/1791> أخذ يوم 02 أكتوبر 2020.

- نَبْتُ المِصَادِرِ وَالمِرَاجِعِ

- القرعان الكريم برواية ورش عن نافع.
- (أ) المصادر العربية:
- الإمام النووي: رياض الصالحين، تح: مجموعة من العلماء، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م.
- (1) المخطوطات:
- ابن الأعمش محمد: الرحلة الحجية لابن الأعمش، مخطوط بخزانة محمد المختار بن بلعمش تندوف، الجزائر.
- ابن طوير الجنة : رحلة المنى والمنة، مخطوط ، نسخة مصورة لدى الباحث.
- الأرواني محمد محمود بن الشيخ بن سيد بابكر: كتاب الترجمان في تاريخ أزواد وأروان: مخطوط بمركز أحمد بابا التنبكي ، تنبكتو مالي، رقم 73، نسخة منه عند محمود خونا الحكني بتندوف، الجزائر.
- البكري محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط خزانة أولاد القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر.
- الحكني عمر بن العرب بن مولود: ديوان حسان ، مخطوط بخزانة أهل العبد بتندوف، الجزائر.
- الزجاجاوي محمد بن عبد الرحمن : نوازل الزجاجاوي ، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، الجزائر.
- الطاهري الإدريسي مولاي أحمد: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
- الفيروز آبادي محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مخطوط بخزانة محمد المختار بن بلعمش ، تيندوف، الجزائر.
- الكنتي محمد الخليفة بن المختار الكبير: الطرائف والتلائد، مخطوط بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بأولف، أدرار، الجزائر.
- محمد المختار بن بلعمش: معرفة المباني لصحة المعاني والإعانة للمقصر العاني، مخطوط بخزانة محمد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر.

- ولد سيد الحاج أمحمد: قصيدة ركب الحجيج، مخطوط بخزانة أبي نعامة الكنتية، أقبلي، أدرار، الجزائر.
- اليدالي محمد: شيم الزوايا، مخطوط رقم 590، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، موريتانيا.

2) الوثائق المخطوطة:

- اعزيز بن اعلي سالم بن عثمان: تقييد بعض الفوائد الفقهية على العلامة محمد المختار بن بلعمش، تقييد مخطوط بخزانة أهل العبد بتندوف، الجزائر.
- بن أحمد جدو محمد فال: معاهدة سلم وصلح بين تجكّانت والرقيبات، وثيقة مخطوطة بخزانة محمد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر.
- تقييد تقسيم تركة محمد العبد بن محمد الحرطاني، وثيقة مخطوطة بخزانة أهل العبد بتندوف، الجزائر.
- تقييد حدود تندوف وأرض تجكّانت، وثيقة بخزانة محمد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر.
- تقييد عقد بيع للتاجر الكنتي بن المختار سنة 1304هـ/1886م، وثيقة مخطوطة بخزانة أهل العبد، تندوف، الجزائر.
- الجكني سيدي أحمد بن محمد بن الصالح بن برك الله: شجرة فرع الرماضين لقبيلة تجكّانت، وثيقة مخطوطة بخزانة أهل العبد، تندوف، الجزائر.
- رسالة من محمد ابن الأعمش الكبير إلى ولديه أحمد يكن والسيد أحمد، وثيقة مخطوطة بخزانة محمد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر.
- رسالة من محمد إلى أبيه باب حول تعرض قافلة توات لقطاع طرق، وثيقة مخطوطة بخزانة أهل العبد، تندوف، الجزائر.
- رسالة من محمد حبيب الله بن ماياي إلى عبد الله ولد محمد العبد الرمضاني الجكني، وثيقة مخطوطة بخزانة أهل العبد، تندوف، الجزائر.

- رسالة من محمد يحيى الولاقي إلى محمد البشير بن العبد الحكني حول كتب والده وديعة عند أهل العبد، وثيقة مخطوطة، خزانة أهل العبد تندوف، الجزائر.
- صلح وتبرئة بين تجكّانت والقواسم وليبهات، وثيقة مخطوطة، خزانة أهل العبد، تندوف، الجزائر.
- قسّم زعماء القبائل على احترام حدود أرض تجكّانت وتندوف، وثيقة مخطوطة، خزانة محمد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر.
- مجهول: تقييد وفاة العلامة محمد المختار بن بلعمش، وثيقة مخطوطة بخزانة محمد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر.
- محمد الصالح بن برك الله: شجرة فرع الرماضين، وثيقة مخطوطة، خزانة أهل العبد، تندوف الجزائر.
- مختار بن حمود بن أحمد زيدان: رسالة إلى أبناء عمه بالأزواد، وثيقة مخطوطة بخزانة أهل العبد، تندوف، الجزائر.
- ولد العبد محمد البشير: تقييد بعض المعاملات التجارية لتجكّانت، وثيقة مخطوطة بخزانة أهل العبد، تندوف الجزائر،
- يكن أحمد: قصيدة التوسل والدعاء بعد ختم صحيح البخاري، وثيقة مخطوطة، خزانة محمد المختار بن بلعمش، تندوف، الجزائر.

3 المصادر المطبوعة:

- ابن أبي بكر خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح. يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1998م.
- ابن بابا حيدة محمد الطيب بن عبد الرحيم: القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح: فرج محمود فرج، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977م.

- ابن بطوطة محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج4، تح: عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب.
- ابن بطوطة محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غريب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، ط1، تح: محمد عبد المنعم العريان، راجعه مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1987م.
- ابن بطوطة محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غريب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، تح: محمد عبد المنعم العريان، راجعه مصطفى القصاص، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1987م.
- ابن حزم الأندلسي علي بن أحمد بن سعيد: جمهرة أنساب العرب، ج2، تح: عبد السلام محمد هارون ، ط5، دار المعارف، القاهرة ، مصر، 1982م.
- ابن خلدون عبد الرحمن : مقدمة ابن خلدون، ط2، دار صادر، بيروت، 2005م.
- ابن خلدون عبد الرحمن : مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار يعرب، دمشق، سوريا، 2004م.
- ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وما عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج7، تح: خليل شحادة وسهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.
- ابن خلدون عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون ، تح: خليل شحادة وسهيل ذكار، دار الفكر، بيروت لبنان، 2001م.
- ابن طوير الجنة أحمد الحاجي الوداني : تاريخ ابن طوير الجنة، تح: سيد أحمد سالم، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1995م.
- ابن عبد الحلي محمد سالم بن حبيب بن الحسين: جوامع المهمات في أمور الرقيبات، تح: مصطفى ناعمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، المغرب، 1992م.

- الأرواني محمد محمود: تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكتو شنقيط وأروان في جميع البلدان، تح: الهادي المبروك الدالي، ط1، دار الكتب الوطنية، وبنغازي، 2009م.
- الأرواني مولاي أحمد بابير: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تح: الهادي المبروك الدالي، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، تونس، (د.ت).
- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي: المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العالي الحسيني، دار القلم، مصر، 1961م.
- البرتلي الولاتي محمد بن أبي بكر الصديق: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1981م.
- البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، (د.ت).
- بن حامد المختار: حياة موريتانيا (الحياة الثقافية)، ج2، الدار العربية للكتاب، (د.ت).
- بن حامد المختار: حياة موريتانيا، تحكّانت، ج6، تح: يحي ولد البراء وآخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2009م.
- بن حامد المختار: حياة موريتانيا، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م.
- بول مارتى: القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، تر. محمد محمود ودّادي، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2001م.
- التنبكتي محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، وعظائم الأمور، وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تح: آدم بمبا، مؤسسة الرسالة، دمشق سوريا، ط1، 1435هـ/2014م.
- التيشيتي الشريف حمى الله: فتاوى الشريف حمى الله التيشيتي ت1169هـ / 1755م ، تح: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د.ت).

- الحاجي الوداني أحمد بن طوير الجنة: تاريخ ابن طوير الجنة ، تح: سيد أحمد بن أحمد السالم ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، 1995م.
- رولفس غيرهارد: رحلة إلى الكفرة تقارير الرحالة الألماني رولفس، تر: عماد الدين غانم، منشورات مركز جاهد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2000م.
- السعدي عبد الرحمن: تاريخ السودان، هوداس، باريس، 1881م.
- الشنقيطي أحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم شنقيط، ط1، المطبعة الجمالية ، مصر، 1339هـ.
- الطبري محمد بن جرير: تاريخ الطبري: تح. أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية ، السعودية ، (د.ت).
- العياشي أبو سالم: الرحلة العياشية ماء الموائد، ج1، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2006م.
- فيج. جي. دي: تاريخ غرب إفريقيا، تر. السيد يوسف نصر، و بهجت رياض صليب، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1982م.
- القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، (د.ت).
- كافلام مادهوربا نيكار: الوثنية والإسلام، تاريخ الإمبراطورية الزنجية في داعر بإفريقيا، ج1، تر. وتح: أحمد فؤاد بليغ، ط2، المجلس الأعلى للنقابة، 1998م.
- كامره موسى أحمد: زهور البساتين في تاريخ السوادين مدونة شعوب غرب إفريقيا والأنساب والأنثروبولوجيا، تح: ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010م.
- كمرا موسى: تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، تح: حماد الله ولد السالم، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 2009م.
- الكنتي الوافي سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار: الرسالة الغلاوية، تح: حماد الله ولد السالم ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المغرب، 2003م.

- الكنتي محمد الخليفة: الرسالة الغلاوية ، تح: حماد الله ولد السالم، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ، 2007م.
- كولين مفدي: أطلس التاريخ الإفريقي، تر: مختار السويفي، الهيئة المغربية العامة للكتاب، مصر، 1987 م.
- مارشزين فيليب: القبائل الإثنيات والسلطة في موريتانيا، تر: محمد بن بوعلبيه بن الغراب، ط1، جسور، نواكشوط، موريتانيا، 2012م.
- مارمول كرنخال: إفريقيا ، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984م.
- مجاهد زكي محمد: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، ج1، ج2، دار الطباعة المصرية الحديثة، مصر 1950م.
- محمد صالح عبد الوهاب: الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية، تح. الحسن ولد ابراهيم ولد صالح الرشيد، الزاوية العلمية والثقافية للعلامة محمد الصالح ولد عبد الوهاب، د.م.ن، ط1، 1993م.
- المراكشي ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تح: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط2، 1983م.
- المصطفى أبو بكر بن أحمد : منح الرب الغفور في ما أهمله فتح الشكور، تح. محمد الأمين بن حمادي، منشورات ENS، فرنسا، 2011م.
- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997م.
- الناصري أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تح: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م.
- النعمه محمد الغيث: الفواكه في كل حين من كلام شيخنا الشيخ ماء العينين، المغرب، 2004م.

- النمري القرطبي يوسف بن عبد البر: القصد والأهم في التعريف بأصول العرب والعجم، مكتبة القدسي، مطبعة القاهرة، مصر 1350هـ.
- الوزان الحسن: وصف إفريقيا، ج1، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
- الولاقي الشنقيطي محمد يحي بن محمد المختار بن الطالب عبد الله: الرحلة الحجازية (جزء تندوف)، تح: بريك الله حبيب، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.
- الولاقي محمد يحي بن محمد المختار: الرحلة الحجازية الجزء الخاص بتندوف، تح. بريك الله حبيب، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.
- ولد أحمد بدي: أولاد موساي الكبلية تاريخاً وأدبا، د.د.ن، د.م.ن، د.ت.ن.
- ولد حامد المختار: حياة موريتانيا (الجغرافيا)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1414هـ/1994م.
- يوان جوزيف: الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر: مختار السويفي: دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ت.
- ب (المراجع باللغة العربية:
- ابن تيمية: موسوعة فقه السنة (فقه التصوف)، ج3، تهذيب وتعليق: الشيخ زهير شقيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
- أرنولد توماس: الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن، القاهرة، 1957م
- إزيد بيه ولد محمد محمود: الزوايا في بلاد شنقيط في مواجهة الاستعمار، فصول في التاريخ الموريتاني الحديث، ط2، المطبعة الوطنية، موريتانيا، 2003م.
- الأشقر عمر سليم: فن العمارة، (د.ت).
- أفا عمر: التجارة المغربية في القرن التاسع عشر (البنيات والتحويلات 1830-1912م)، ط1، دار الأمان، الرباط، 2006م.
- إلهام محمد علي ذهني: جهاد المماليك في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850هـ/1914م)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988م.

- الأنصاري الرصاع محمد: فهرسة الرصاع ، طبعة حجرية، تونس، 1967م.
- باري محمد فاضل علي وسعيد إبراهيم كريديه: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007م.
- براهما بارد عثمان، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، دار الأمين للطباعة والنشر، مصر، 2000م.
- بسيوني ابراهيم: نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف، مصر، 1969م.
- بشي ابراهيم العيد : البعد العسكري في تاريخ بلدان المغرب القديم من خلال رسومات تاسيلي ناجر والمؤرخين القدامى ، دار زاد الطالب ، (د.ت).
- بشي ابراهيم العيد: الطاسيلي ناجر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع التارقي قديماً وحديثاً، ط1، منشورات الخبر، الجزائر، 2009م.
- بشي إبراهيم العيد: تاسيلي ناجر الأزمنة الجيولوجية والمؤشرات الحضارية ، والعوامل الطبيعية المكونة للمنطقة ، ج2، ط1، منشورات الخبر ، الجزائر ، 2008م.
- بلعالم محمد باي : الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التتيلاني، دار هومه ، الجزائر ، 2004م.
- بلعالم محمد باي:الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1، دار هومة، الجزائر، 2005م
- بن المصطفى محمد عبد الله: من أبرز علماء شنقيط التعريف ب212 عالماً، ج1، وزارة الثقافة، مديرية الثقافة والفنون، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، 2013م.
- بن دهبنة مصطفى: قطوف من تاريخ تيندوف، إصدار المجلس الأعلى للغة العربية، دار راجعي للنشر، الجزائر، 2010م.
- بن ديد عبود السالم : الدرر المرجاني في نسب وتاريخ أهل اعمر أبابك من أولاد موساني، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ط1، 2020م.
- بن سليمان القاضي بيّ : موريتانيا ، الوقائع والوفيات وذكر الحروب والإغارات ، تحقيق: محمد سعد بوه (ولد) حماه الله حمود (ولد) سليمان ، ط1، لعيون ، موريتانيا، 2001م

- بن محمد الهادي وسلم، موريتانيا عبر العصور ، موريتانيا، (د.ت).
- بن محنض الحسين: تاريخ موريتانيا الحديث من دولة الإمام ناصر الدين إلى مقدم الاستعمار (1055-1322هـ / 1645-1905م)، دار الفكر، نواكشوط، موريتانيا، 1431هـ/2010م.
- بن محنض الحسين: تاريخ موريتانيا القديم والوسيط ، ط1، دار الفكر، نواكشوط، موريتانيا، 2010م.
- بن منصور عبد الوهاب: قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1388هـ/1968م.
- بن موسى: جميلة تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 09-11م، ط1، منشورات بلوتو، قسنطينة، الجزائر، 2011م.
- بوشارب عبد السلام: الهقار أمجاد وأنجاد، ط1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995م.
- بوعزيز يحي: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م.
- بوغردة عبد الوهاب، موسيقى الأهل من الشفهية إلى التدوين، دار الأنيز، الجزائر، 2020م.
- التليدي عبد القادر بن عبد الله: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، الرباط، ط4، 2003 م.
- التنبكي الأرواني محمود محمد ددب: من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، المملكة المغربية، 1432هـ/2011م.
- التنبكي: الطوارق، منشورات منظمة تاماينوت ، د.م.ن، د.ت.ن.
- التومي الحاج سعيدان: سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، دار هومة، الجزائر، 2005م.

- ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1994م.
- جعفري أحمد أبا الصافي: محمد بن أب المزمري حياته و أثره، دار الكتاب العربي ، الجزائر، ط1، 2004م.
- جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال ق 12هـ، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2009م.
- جعفري مبارك: مقالات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2018م.
- الحكّني بن الشيخ عبد العزيز: ثمرات الجنان في شعراء بني جاكّان، ط1، دار المحبة، دمشق سوريا، دار آية، بيروت، لبنان، 2005م.
- جلاّلي يحيى: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، مصر، 1999م.
- حارش محمد الهادي: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي ، دار هومه ، الجزائر، 2014م.
- حارش محمد الهادي: مملكة نوميديا، دار هومه، الجزائر، 2003م.
- حديدي الحسين: الحياة الفكرية والروحية بالمجال البيضاوي خلال القرنين 18/19م، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط 2014م.
- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ت).
- حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلاني، مطبعة دار الهلال، الرياض، 1981م.
- حسن محمد نبيلة: تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2013م.
- الحسيني الشريف غالي: مذكرة في نسب قبيلة الشرفاء السماليل في موريتانيا، ط1، مطابع البركاتي، مكة المكرمة، السعودية، 2005م.
- الحسين رشيد: الأعلام الجغرافية والهوية ، دار المناهل، المغرب، 2008م.

- حفناوي باعلي: الرحلات الحجازية المغاربية ، المغاربة الأعلام بالبلد الحرام دراسة نقدية، دار اليزوري العلمية للنشر، عنابة، الجزائر، 2016م.
- حمادة مصطفى عمر: المدن الجديدة، دار المعرفة، د.م.ن، 2008م.
- حمادي عبد الله الإدريسي: المناقب الأعمشية الجكنية في حاضرهما التندوفية الصحراوية، دار الكتاب الملكي، الجزائر، ط1، 2013م.
- حمادي عبد الله الإدريسي: تندوف وتجانك تاريخا ومناقب وبطولات ، ج1، ط1، دار الكتاب الملكي، الجزائر، 1434هـ/2013م،
- حوتية محمد الصالح: آل كنته دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ق18-19م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008م.
- حوتية محمد الصالح: توات والأزواد خلال القرنين 12 و13هـ/18-19م — دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.
- خميسي ساعد: أبحاث في الفلسفة الإسلامية، دار الهدى، الجزائر، 2002م.
- الداناصوري جمال الدين: جغرافية العالم دراسة إقليمية (إفريقيا وإستراليا) ، ج2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1971 م.
- دياب أحمد إبراهيم: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، ط1، دار المريخ، الرياض، 1981م.
- رزق الله أحمد مهدي: التجارة والإسلام والتعليم في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1998م.
- رياض محمد وعبد الرسول كوثر: إفريقيا دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1973م.
- زبادية عبد القادر: الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م.
- الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- الزركلي خير الدين: الأعلام، ج4، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 15، 2002م.
- السبتي عبد الأحد ولخصاصي عبد الرحمان: من الشاي إلى الأتاي (العادة والتاريخ)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1999م.
- سعد الله أبو القاسم: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
- سعودي محمد عبد الغاني: إفريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004م.
- السوسي محمد المختار: المعسول ، ج18، مطبعة النجاح الدار البيضاء، المغرب الأقصى 1381هـ/ 1962م.
- السوسي محمد المختار: سوس العالمة: مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب الأقصى، 1380هـ/ 1960م.
- سيدي محمد عمر: يوميات فتى من صنهاجة، د.د.ن، ط1، موريتانيا، 2018م.
- الشيخ الطالب ماء العينين محمد: أخبار الشيخ ماء العينين؛ تجليات الفكر الصوفي والسلفي عند الشيخ ماء العينين: قراءة في نظمه للحكم العطائية ، المطابع المغربية والدولية ، طنجة ، المملكة المغربية، 2000م.
- الصعيدي عبد الحكيم عبد اللطيف: الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبه الدار العربية للكتاب، مصر، 1996م.
- طرخان إبراهيم علي ، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1969م.
- عبده غالب أحمد عيسى: مفهوم التصوف، ط1، دار الجيل بيروت، لبنان، 1992م.
- عدنان مراد محمد: المجتمعات الإفريقية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.م.ن، 1995م.
- العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

- عطالله الجمل شوقي و عبد الرزاق ابراهيم: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1996م.
- عقباوي عزيز بن بوبكر الهاملي الكنتي: النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، مطبعة عزي، د.م.ن، د.ت.
- العلوي محمد فال بن بابه: كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة ، تح: الأستاذ أحمد ولد الحسن ، منشورات بيت الحكمة ، تونس، 1986م.
- غانم محمد الصغير: موقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003م.
- الغلى بوزيد: التربية على القيم من خلال الأمثال الحسانية، مجموعة البحث والدراسات حول ساحل الصحراء، منشورات المجلس الوطني لحقوق الإنسان، الرباط المغرب، 2014م.
- الغيتاوي مولاي التهامي: سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، منشورات ANEP، (د.ت).
- فعراس عبد العزيز: إدماج الثقافة الحسانية في المنظومة التعليمية، مجموعة البحث والدراسات حول ساحل الصحراء، منشورات المجلس الوطني لحقوق الإنسان، الرباط، المغرب، 2014م.
- قداح نعيم: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، د.م.ن، د.ت.
- قداح نعيم: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية ، مطبعة الجزائر، د. ت.
- قدي عبد المجيد: صفحات من تاريخ منطقة أولف، ط2، دار أبحاث ، الجزائر، 2007م.
- القشاط محمد السعيد: التوارق عرب الصحراء الكبرى، ط2، مركز دراسات و أبحاث، د.م.ن، 1989م .
- القشاط محمد سعيد : أعلام من الصحراء ، ط1، دار المنتقى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1997م.

- القشاط محمد سعيد: صحراء العرب الكبرى، دار الرواد، طرابلس، ليبيا، ط1، 1994م.
- قومي مبارك بن الحاج مولود: المنتقى حكم وأمثال شعبية من عمق الجنوب الجزائري، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، جيجل، الجزائر، 2019م.
- كروم عبد الله: الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بإقليم توات، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م.
- الكوني إبراهيم ، ملحة المفاهيم ، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
- محمد حسن نبيلة: تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، 2013م.
- المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المطبعة العربية ، الجزائر، 1931م.
- المدني أحمد توفيق: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 2001م.
- معزوز عبد الحق: العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر، 2011م.
- معيوف مفتاح صالح: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن2ه إلى أواخر القرن 3ه ، مؤسسة توات الثقافية ، (د.ت).
- المناوي عبد الرؤوف: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، تح. عبد الحميد صالح حمدان، ج1، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1994م.
- المنوني محمد: مظاهر يقظة المغرب الحديث ، ج2، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، 1405ه/1985م.
- مولاي محمد بن سيدي محمد: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، دار يوسف ابن تشفين، موريتانيا، ط1، 2008م.
- مولاي محمد بن سيدي محمد: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، ط1، دار يوسف بن تشفين، موريتانيا، 2008م.

- مياسى إبراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934م)، دار هومه، الجزائر، 2012م.
- المليى مبارك: تاريخ الجزائر فى القديم و الحديث، ج2، تح: محمد المليى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.
- النحوى الخليل: إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، ط1، دار العرب الإسلامى، بيروت، 1993م.
- النحوى الخليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987م.
- نواب عواطف بنت محمد يوسف: كتب الرحلات فى المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز فى القرنين 11 و12هـ، دار الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1429هـ/2007م.
- النيسابورى أبو الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، المكتبة الخضراء للطباعة والنشر، الشارقة، الجزائر، (د.ت).
- هلال عمار: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية فى غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988م.
- هلال عمار: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية فى غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988م.
- ولد أباه محمد المختار: الشعر والشعراء فى موريتانيا، ط2، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2003م.
- ولد أباه محمد المختار: تاريخ النحو المشرق والمغرب، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2008م.
- ولد السالم حماد الله: الإسلام والثقافة العربية فى الصحراء الكبرى دراسات ومراجعات، جامعة نواكشوط، موريتانيا، (د.ت).
- ولد السالم حماد الله: المجتمع الأهلى الموريتانى، مدن القوافل (1091-1898م)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، (د.ت).

- ولد السالم حمّاه الله: بلاد شنكيطي موريتانيا من العصور القديمة إلى حرب شريبه الكبرى بين أولاد الناصر ودولة أبدوكل اللمتونية، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2010م.
- ولد السالم حمّاه الله: تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية ، مقتطف من كتاب العبر لابن خلدون ، ج1، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 2012م.
- ولد السالم حمّاه الله: تاريخ بلاد شنكيطي(موريتانيا)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.
- ولد السالم حمّاه الله: تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ط2، مطبعة النجاح الجديدة ومنشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب، 2011م.
- ولد النقره اكناته: الطوارق من الهوية إلى القضية، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، موريتانيا، 2014م.
- ولد أيده أحمد مولود: الصحراء الكبرى مدن وقصور ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009م.
- ولد بيه محمد المحجوب: موريتانيا جذور وجسور، ط1، مكتبة القرنين للنشر والتوزيع ، نواكشوط، موريتانيا، 2016م.
- ولد سيد احمد يحيى: ديوان الصحراء الكبرى، المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.
- ولد معلوم ولد أحمد زروق سيد أحمد: مشاهير العالمات والصالحات الموريتانيات، منشورات وزارة الثقافة والشباب والرياضة ، موريتانيا، 2014م.
- ولد مولاي الحسن مهدي: من تافيلالت إلى الحوض الشرقي السلالة الصحراوية لأولاد سيدي حمو بلحاج، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، المغرب، 2002م.
- يحيى ولد سيد أحمد: ديوان الصحراء الكبرى، المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.

- اليزيد الراضي والنعمة علي ماء العينين: الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، ط1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 2001م.

(ج) المراجع باللغة الأجنبية:

- A.G.P Martin: Les Oasis Sahariennes, Gourara-Touat-Tidikelt, Edition de l'imprimerie algérienne, Alger, 1908
- Barth Heinrich, Travels and discoveries in North and Central Africa. Being a journal of an expedition undertaken under the auspices of H.B.M.'s government, in the years 1849-1855 New York, Harper & Brothers, 1859, vol3, p330.
- Bisson Jean: Le Gourara, étude de Géographie Humaine, université d'Alger, Institut de recherches sahariennes, Mémoire N0 03, 1995.
- Caillié René: Journal d'un voyage à Tombouctou et à Jenné dans l'Afrique centrale, l'imprimerie royale, Paris, 1830, T1.
- Commandant Colonieu: voyage au Gourara et l'Aougurout 1860, Bulletin de la société de géographie d'Oran, TIII, 1903.
- De champ H : Histoire générale de l'Afrique noir, paris, 1975, Tome 2.
- G.Salvy et Barthe: Les populations sahariennes Arabes, Cah. Ch. de Foucauld, 1955.
- Hamet Ismaë: Chronique de la Mauritanie Sénégalaise, Ernest Leroux, 1911.
- Lenz Oskar: Tombouctou voyage au Maroc au Sahara et soudan, librairie Hachette, Paris, 1987.
- Marty Paul: Etudes sur l'islam et les tribus Maures , les Brakna, Editions Ernest Leroux , Paris, 1921.
- Voinot Louis : Le Tidikelt, étude sur la géographie, l'histoire et les Mœurs du pays, Ed Jacques Gandini, 1995.
- Whitcomb Thomas: New evidence on the origins of the kunta, bulletin school of oriental and African studies, vol38, 1975.

- (د) الموسوعات والمعاجم والأطالس:
- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ج 11، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت).
- بن عبد الله عبد العزيز: الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية (معلمة الصحراء)، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1976م.
- حميش عبد الحق وبوكرام محفوظ: موسوعة تراجم علماء الجزائر (علماء تلمسان وتوات)، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
- الزركلي خير الدين: الأعلام، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 2002م.
- شبلي أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج3، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).
- لعروق محمد الهادي: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1998م.
- مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، ج15، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م.
- محمد حجي وآخرون: معلمة المغرب، ج26، ملحق 03، ط1، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 1435هـ/2014م.
- الوائلي عبد الحكيم: موسوعة قبائل العرب، ج4، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م.
- (هـ) الملتقيات والمقالات والدوريات:
- ابن الشيخ أناس: طقس الزواج ومكانة المرأة في المجتمع البيضاوي، مقال بمجلة أنثروبولوجيا، المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، العدد 03، مركز فاعلون، الجزائر، 2016م.

- أزيد بيه بن محمد محمود: تكبه حاضرة اركيز الشرقي، مقال بمجلة الوسيط، العدد 05، المجلة العلمية للمعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1994م.
- آل الشيخ ماء العينين الطالب أختيار بن الشيخ ماميننا: الشيخ ماء العينين علماء وأمرء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، ج1، ط1، مؤسسة الشيخ مربية لإحياء التراث والتبادل الثقافي، سلا، المغرب، 2005م.
- بارك الله محمد وليو: صورة المرأة الصحراوية في الأدب الحساني، مقال ضمن كتاب تمثّلات المرأة في التخيل والتراث الشفهي المغربي، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 2008م.
- بتقه ابراهيم: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية لدى قبائل الطوارق خلال القرن 19م، مقال بالملتقى الوطني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، 24-25 يناير 2012م بالمركز الجامعي الوادي، مطبعة منصور، 2012م.
- بريك الله حبيب: القوافل العلمية والتجارية بين تندوف ودول الساحل في القرن 19 و20م، مداخلة في أعمال الملتقى الوطني حول التواصل الحضري بين الجزائر وبلاد الساحل الإفريقي، بين القرن 16 و20م، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، طبعة الجامعة، (د.ت).
- بريك الله حبيب: تجارة الذهب والملح بأسواق تندوف في القرن 19م من خلال الوثائق المحلية، مقال بالمجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد 1 و2، المركز الجامعي تندوف، جوان 2016م.
- بريك الله حبيب: خزانتي أهل العبد وأهل بلعمش بمدينة تندوف أنموذجا، مقال بمجلة الذاكرة، العدد 4، عدد خاص بالملتقى الوطني الثاني للتراث العربي المخطوط بالجنوب الجزائري، 15-16 ديسمبر 2014م.
- البقلوطي الناصر: العمارة السكنية بالمدن العتيقة التونسية، مقال ضمن مجلة الثقافة الشعبية، عدد 30، الثقافة الشعبية للدراسات والنشر، البحرين، 2015م.

- بلبالي إبراهيم: التأثير الثقافي لحاضرة تلمسان على توات في القرن 9هـ من خلال نوازل الونشريسي، مقال ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار، 14-15 أبريل 2009م.
- بن سعد محمد السعيد: المعممون والمثمنون يجاورون الصحراء (الهقار وتديكلت نموذجاً)، مقال بمجلة الواحات للبحوث والدراسات تصدر عن جامعة غرداية، الجزائر، عدد 15، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2006م.
- بوسليم صالح وميلود قاسم: الحركة السنوسية وامتدادها عبر الصحراء الكبرى (دراسة تاريخية)، مقال بمجلة الواحات للبحوث والدراسات، تصدر عن المركز الجامعي غرداية- الجزائر، العدد 15، المطبعة العربية، غرداية، 2006م.
- بوسليم صالح والزين محمد: ملامح من الحياة العامة بالجزائر في بعض كتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني، في مجلة الحوار المتوسطي، مج 6، ع2، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر 2015م.
- بوسليم صالح: جهود الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي في نشر الطريقة القادرية بالساحل والغرب الإفريقي خلال القرنين 18-19م، في مجلة الحوار المتوسطي، مج 05، ع02، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر 2014م.
- تمكليت سويدي: اللسان الحساني بين إشكالية التأصيل وتأصيل الإشكال اللغوي، مقال ضمن كتاب اللسان الحساني بمجال الصحراء مجالا تأثيلية ولسانية، تنسيق: حمادي هباد وسويدي تمكليت، ط1، منشورات مركز الدراسات والأبحاث مشاريع، المطبعة والوراقة الوطنية، المملكة المغربية، 2013م.
- الجيه ماء العينين: العمران عند الشيخ ماء العينين، مقال ضمن كتاب الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2001م.
- حميتو عبد الهادي: الفقيه محمد يحيى الولاقي، حياته وآثاره، مقال ضمن أعمال الندوة العلمية التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية 16-17 ديسمبر 2009م، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط المغرب، 2011م.

- حوتية محمد الصالح ، توات والقوافل التجارية، مقال ألقى في ملتقى طريق القوافل ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، من 12 إلى 14 نوفمبر الجزائر، 2001م.
- خونا محمود وآخرون، بطاقة تعريفية حول شخصية المجاهد والشهيد جاكن الأبر، مداخلة ضمن أعمال ملتقى جاكن الأبر، تندوف الجزائر، 2016م، غير منشور، نسخة بحوزة الباحث.
- رقاني محمد: تاريخ ووقائع خزانة مولاي العباس الرقاني، مقال ضمن كتاب الندوة الأولى أولاد السي حمو بلحاج أعلام وآثار، دار الكلمة للنشر والتوزيع، أدرار، الجزائر، 2016م.
- سماعيل مولاي عبد الله: جهادية الزاوية الرقانية وتأثيرها بتوات، مقال بالندوة السنوية السابعة لجمعية سيدي مولاي سليمان بن علي 14 ماي 2012م، بقصر أولاد اوشن، أدرار، مطبعة منصور، الوادي، الجزائر، (د.ت).
- الصافي محمد: شذرات من عادات وتقاليد المجتمع الصحراوية بجنوب المغرب، مقال بمجلة الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، المنامة، البحرين، 2018م.
- عماري الحسين: العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا، دورية كان التاريخية ، العدد التاسع، 2010م.
- عيساوي وهيبة : مفهوم الحضارة عند ابن خلدون وأبعاده، مقال بمجلة العلوم الاجتماعية، ع2، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي الأغواط.
- كروم عبد الله: المرأة في مجتمع الطوارق خلال القرن 19م منطقة الهقار عينة، مقال ضمن كتاب الملتقى الوطني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، 24-25 يناير 2012م، منشورات المركز الجامعي بالوادي، مطبعة منصور، 2012م.
- ليفتسكي تايدور: دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب ، مقال ضمن تاريخ إفريقيا العام ، ج3 ، منشورات اليونسكو ، باريس، 1994م.

- مقالاتي عبد الله: علاقات إقليم توات بحواضر السودان الغربي العلاقات الثقافية و أبعادها الحضارية، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي ، أدرار ، 14- 15 أبريل 2009م.
- ولد احمد سالم سيدي احمد: التراث الصحراوي الذاكرة والتاريخ، مقال بأعمال ندوة الداخلة الدولية 16-17 ديسمبر 2011م، منشورات المجلس الوطني لحقوق الإنسان، الرباط، المغرب، 2011م.
- ولد أن محمد الأمين ، مساهمة في دراسة حواضر الصحراء. ولاته نموذجاً، مقال بمجلة عصور الجديدة العدد 7-8، جامعة وهران، 2012-2013م.

و) الرسائل والأطاريح الجامعية:

- بريك الله حبيب: العلاقات التجارية بين مدينة تندوف وإفريقيا الغربية من خلال وثائق أسرة أهل العبد، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2014-2015م.
- بعثمان عبد الرحمن: القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17-18م، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بله وهران، السنة الجامعية 2015-2016م.
- بعثمان عبد الرحمن: تحقيق فهرسة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، مذكرة ماجستير في التاريخ العام، معهد الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة بشار، السنة الجامعية 2008-2009م.
- بلخضر نفيسة : مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة غرداية، السنة الجامعية 2015-2016م.

- بن احريمو يحيى بن محمد: معجم المؤلفين في ولايتي لعصابة وتكانت ، أطروحة شهادة المتريز في العلوم الشرعية، المعهد العالي للدراسة والبحوث الإسلامية، موريتانيا ، السنة الجامعية 2004-2005م.
- بن تيسة كلتوم ، الصلات الثقافية بين بلدان المغرب العربي الكبير وإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 10هـ/16م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، السنة الجامعية 2015-2016م.
- جعفري مبارك: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد، 13هـ/19م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2013-2014م.
- حاج احمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي، مذكرة ماجستير في الشريعة الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر باتنة، السنة الجامعية 2010-2011م.
- ذكار أحمد: حاضرة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي من 1000-1301هـ/1591-1833م، مذكرة ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ ، جامعة أدرار، السنة الجامعية 2009-2010م.
- عثمان حساني: البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين 18 و19م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2006-2007م.
- المدن عبد الهادي: التجارة في وادي نون خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير، المغرب، السنة الجامعية 2014-2015م.
- مسعودي زهرة: الطرق الصوفية في توات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م ، مذكرة ماجستير في التاريخ ،كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية ، قسم التاريخ، جامعة أدرار ، السنة الجامعية 2009 - 2010 م.

ز) المقابلات الشفوية:

- مقابلة أجراها الباحث مع الأستاذ تواقين عبد المنعم الحكّني، بأدرار، الجزائر يوم 17 يناير 2021م.
- مقابلة أجراها الباحث مع الأستاذ حمزة محمد فوفو، في مدينة تامنغست، الجزائر يوم 17 نوفمبر 2019م.
- مقابلة أجراها الباحث مع الأستاذ عبد الله بن طالب الرمضاني الحكّني بأدرار، الجزائر يوم 17 يناير 2021م.
- مقابلة أجراها الباحث مع الشيخ سيدي أحمد البكاي الرمضاني الحكّني - رحمه الله - بأولف، أدرار، الجزائر يوم 20 فيفري 2020م.

ح) المواقع الإلكترونية:

- ولد نوح طارق: إيدلبه وتاريخهم في ولاته، متاح على الرابط <https://www.alhakika.info/node/13081>، تاريخ الزيارة يوم 02 /05/ 2020م.
- أحمد بن هارون ابن الشيخ سيدي: الشيخ سيديّ بابا وموقفه من نازلة الاستعمار(الحلقة 8)، متاح على الرابط <https://www.sahamedias.net/13550> تاريخ الزيارة يوم: 30 /10/ 2021م.
- السيّد رضوان: المدينة والدولة في الإسلام دراسة في رؤيتي الماوردي وابن خلدون، مقال متاح على الرابط، www.hekmah.org تاريخ الزيارة يوم: 18 /10/ 2020م.
- الحكّني برحيل مبارك ولد أحمد: تاريخ قبيلة تجكّانت بمنطقة الرحامنة ودور رجالاتها العلمي والجهادي والسياسي والأدبي بالمنطقة، مداخلة في ملتقى تجكّانت، حوز مراكش، المغرب الأقصى، متاح على الرابط:

http://pakvim.net/watch/8au6Q83Slk0، تاريخ الزيارة يوم: 24 /10/ 2021م.

- بن احريمو محمد يحيى: لمحات من تاريخ قرية تينيكى، متاح على الرابط:

http://essirage.net/node/4250 تاريخ الزيارة يوم: 22 /10/ 2021م

- مدونة عبد الرحمن الحرمي: https://abdourhmane-alhouramy.blogspot.com/2016/11/blog-post_9.html

، تاريخ الزيارة يوم 20 /03/ 2018.

- <https://www.marefa.org> ، أخذ يوم 30 /03/ 2018م

- الفهارس:

- فهرس الأعلام

- فهرس الشعوب والقبائل

- فهرس الأماكن والبلدان

- فهرس المحتويات

- فهرس الأعلام:

أ -

- ابن الأعمش، 149، 165، 166، 196
- ابن خلدون، 83، 84، 87، 89، 98، 99، 110، 111، 122، 134، 135

- ابن عبد الحكيم، 158
- ابن مقامي الحكيم، 159
- أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاقي، 149
- أبي زيد القيرواني، 146، 191، 194
- أحمد الكاملي، 180
- أحمد الكاملي، 238
- أحمد يكن، 149، 152
- أحمدو ولد سليمان الديباني، 178، 179
- الأسقيا محمد، 77
- أفلواط بن محمد الحكيم، 155
- أم الخيرات بنت أحمد بن المختار الحكيمية، 161
- الإمام محمد ألفع الحكيم، 235
- محمد الكنتي، 227
- أوسكار لانز، 118

ب -

- البكاي بن بوفليج الحكيم، 155

- بيدر ولد الإمام الحكني، 155

- ج

- جاكن الأبر، 89، 92، 93، 94، 95، 96، 133

- خ

- حبيب الله اليعقوبي الحكني، 151، 154

- خ

- خديجة السالمة بنت سيدي عبد الله الحكنية، 162

- خديجة بنت الخرش ولد عبد الله الحاجية الحكنية، 161

- خديجة بنت أمان الحكنية، 161

- خديجة بنت سيد أئين الحكنية، 161

- خديجة بنت محمد ولد الحاج المختار الحكنية، 161

- خيرة بنت السالك ولد بي الحكنية، 161

- د

- دافيدوس، 118

- ر

- روني كاييه، 118

-

- س

- سيد المختار بن الطالب علي بن الشواف الحكني، 146

- سيدي الأمين بن الحبيب الحكني، 145، 165، 196

- سيدي المحجوب بن حبيب الحكني، 164

- ط

- الطالب الحبيب بن أيد الأمين الحكني، 145
- الطالب عبد الله بن الشيخ محمد الأمين الحكني، 147

- ع

- عائشة بنت أحمد يعقوب، 161
- عبد الرحمان بن آفلواط بن محمد الحكني، 236
- عبد الله بن محمد الصغير، 212
- عبد الله بن محمد العبد، 211
- عبد الله بن محمد المختار بن بلعمش، 153
- العلامة محمد المختار بن بلعمش، 148، 149، 150، 151، 152، 153،
154، 166، 173، 195
- عمر بن العرب، 180، 181، 238

- ك

- كاميل دولاس، 119
- الكنتي بن الصالح الشانعي الحكني، 201، 210

- ل

- لالة مياسة بنت عابدين، 238

- م

- ماء العينين، 107، 115، 116، 117، 133، 134، 149، 151، 168،
175، 177
- محمد أحمد بن محمد المختار، 153
- محمد الأمين بن أحمد زيدان الحكني، 156

- محمد الأمين بن محمد المختار بن بلعمش، 153
- محمد البشير بن محمد العبد بن محمد الحرطاني، 212
- محمد الخضر بن ماياي، 166
- محمد الصغير بن محمد المختار بن بلعمش، 212
- محمد العاقب الحكني، 104
- محمد العاقب بن ماياي، 155، 175، 191
- محمد العبد بن محمد الحرطاني، 201، 209، 210، 211، 212
- محمد الكانمي، 79
- محمد المختار بن بلعمش، 107، 111، 114، 115، 116، 137، 138، 139، 141
- محمد المختار بن بونا، 196
- محمد المولود بن محمد المختار بن بلعمش، 153
- محمد بن الصالح بن بارك الله الشانعي، 91
- محمد بن سيدي بن الطالب محم الحكني، 181
- محمد بن عبد الكريم المغيلي، 77، 172، 173، 174، 175، 193
- محمد حبيب الله بن ماياي الحكني، 168
- محمد فال بن أحمد جدو، 154
- محمد محمود التركي، 108
- محمود بن التلاميذ التركي، 151
- المختار بن أبيه الحكني الموساني، 159
- المختار بن بونا الحكني، 235

-
- المختار بن حامد، 89، 91، 92، 93، 94، 99، 102، 113، 121، 122،
123، 127، 190
 - المختار بن سعيد المعروف بابن بونا الحكني، 146
 - مريم بنت البخاري الجكنية، 162
 - مم بن عبد الحميد الحكني، 179
 - مولاي عبد المالك الرقاني، 178
 - و
 - الوالي بن بهي، 213
 - الوالي بن عبد الرحمان، 213
 - ي
 - يحظيه ولد عبد الودود الحكني، 147

- فهرس الشعوب والقباثل:

أ -

- أبدوكل، 226، 227، 228
- ادرارة، 113
- أشفغات، 92، 127
- الأغلال، 120
- آل بلعمش، 106
- الأمازغ، 83، 84، 85، 86، 224
- أهل الشرق، 113، 114
- أهل العبد، 91، 113، 137، 138، 139، 140، 141
- أهل القاضي، 113
- أولاد الشيخ، 113
- أولاد العالم، 113
- أولاد الناصر، 96
- أولاد سعيد، 113
- أولاد سيد الحاج، 113
- أولاد سيدي علي، 93، 113، 114
- أولاد موساني، 90، 95، 102، 114
- إجمان، 104
- إيدوشر، 90، 94
- إيدياج، 94

- طوارق، 128

- ك

- كنة، 172، 173، 174

- ل

- لكواليل، 93، 100، 102

- لمتونة، 84، 87، 88، 89، 99

- لمخاظر، 93

- لمخاتير، 113

- لمساعد، 113

- لوجارات، 112، 113

- م

- موساني، 95، 113، 114، 115، 131، 132، 137

- و

- الوسرة، 102، 112، 113، 114، 131

- فهرس الأماكن و البلدان:

أ -

- أروان، 107، 125، 129، 130، 131، 151، 165، 200، 202،

204، 205، 210، 212، 213

- الأزواد، 100، 113، 129، 131، 200، 207، 226

- أقبلي، 99، 152، 204

- أولف، 100

ب -

- بتقبة، 104

- بلاد البيضان، 228

ت -

- تافلالت، 96، 97

- تاودني، 130، 200، 205، 208، 210، 211

- تجكانت، 82، 87، 89، 91، 92، 93، 94، 96، 97، 98، 99، 100،

101، 102، 103، 107، 110، 111، 112، 113، 115، 116،

121، 122، 127، 129، 131، 132، 133، 136، 138، 141،

142، 143، 199، 200، 201، 202، 204، 209، 211، 213،

214، 216، 218، 221، 224، 227، 231، 234، 235، 236، 238

- تديكلت، 188، 204

- تُقْبَةُ، 103

- تنبكتو، 92، 102، 107، 118، 121، 126، 127، 128، 129، 130،
172، 188، 200، 202، 203، 204، 205، 206، 211، 212،
219، 220
- تندوف، 91، 95، 102، 104، 105، 106، 107، 109، 110، 111،
112، 113، 115، 116، 118، 119، 136، 137، 138، 139،
140، 141، 143، 199، 200، 201، 205، 207، 209، 210،
211، 212، 225، 238، 148، 151، 152، 154، 166، 173،
179، 180
- تزروفت، 97
- توات، 97، 98، 99، 100، 105، 125، 131، 202، 204، 205،
207، 208، 227
- تيجورارين، 97
- تيشيت، 125، 127، 142
- تينيقي، 91، 92، 98، 101، 102، 103، 104، 120، 129، 136،
142، 143
- ج
- الجزائر، 200، 201، 203، 207، 208، 210، 211، 212، 216،
224، 230
- ح
- حوز مراكش، 131، 132
- خ
- الخلافة العثمانية، 151

د -

- دولة المرابطين، 89، 98، 101، 120، 142، 225

ز -

- زمور، 92، 107، 109، 111، 115

س -

- السنغال، 200، 205، 224

ش -

- شنقيط، 87، 92، 96، 99، 104، 113، 115، 119، 120، 121،

125، 127، 129، 130، 146، 147، 148، 155، 157، 160،

164، 165، 166، 168، 172، 175، 179، 182، 186، 187، 189

ص -

- الصحراء الكبرى، 223، 224، 225، 226، 227، 228

ق -

- قاو، 205

م -

- مالي، 211، 224

- المبروك، 204

- مراکش، 180

- المغرب، 202، 204، 208، 213، 215، 219، 220، 221، 224،

225، 228، 231، 236

– موريتانيا، 82، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 98، 99، 101،

102، 104، 113، 120، 121، 122، 125، 127، 215، 216،

217، 218، 220، 222، 224، 225، 226، 227، 228، 229

– ن

– النيجر، 200، 224

– هـ

– الهقار، 205

– و

– وادي نون، 130، 134، 151

ولاته، 94، 121، 123، 124، 12، 172

ودان، 101، 125

- فهرس المحتويات:

-الإهداء

- الشكر والتقدير

- لائحة رموز المختصرات

- مقدمة.....5- 25

- الفصل الأول: الإطار الجغرافي والاجتماعي والتاريخي للصحراء الكبرى وغرب إفريقيا.....27

- المبحث الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي للصحراء الكبرى.....27

أ)- مظاهر السطح والمناخ.....27

- المناخ.....28

- الغطاء النباتي.....29

- الأهمار.....30

- البحيرات والسبخات.....31

- التضاريس.....32

ب)- التركيبة السكانية في الصحراء الكبرى.....33

- القبائل الأمازيغية.....33

- القبائل العربية.....44

- 45.....الأشراف:.....- الأشراف:
- 52.....القبائل العربية.....- القبائل العربية.
- 61.....التطور التاريخي للصحراء الكبرى.....(ج)- التطور التاريخي للصحراء الكبرى
- 63.....المبحث الثاني: الإطار الجغرافي والتاريخي لغرب إفريقيا.....- المبحث الثاني: الإطار الجغرافي والتاريخي لغرب إفريقيا.
- 63.....الموقع والخصائص الجغرافية.....(أ)- الموقع والخصائص الجغرافية.
- 65.....التضاريس.....- التضاريس.
- 66.....الأهمار.....- الأهمار.
- 69.....المناخ.....- المناخ.
- 69.....التركيبة السكانية لغرب إفريقيا.....(ب)- التركيبة السكانية لغرب إفريقيا.
- 69.....قبائل الفولاني.....- قبائل الفولاني.
- 72.....شعب الهوسا.....- شعب الهوسا.
- 73.....قبائل الديولا.....- قبائل الديولا.
- 73.....قبائل المانديج.....- قبائل المانديج.
- 74.....قبائل الباميرا.....- قبائل الباميرا.
- 74.....التطور التاريخي لغرب إفريقيا.....(ج)- التطور التاريخي لغرب إفريقيا.
- 74.....مملكة غانا.....- مملكة غانا.
- 75.....مملكة مالي.....- مملكة مالي.

- 77.....مملكة سنغاي..... -
- 78.....مملكة البرنو. -
- 80.....خلاصة الفصل..... -
- 82.....الفصل الثاني: قبيلة تجكانت: أصولها، وفروعها، وأهم حواضرها..... -
- المبحث الأول: أصل قبيلة تجكانت وفروعها وتطورها بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا..... -
- 82.....إفريقيا..... -
- 82.....أ- أصل قبيلة تجكانت..... -
- 89.....ب- تجكانت وفروعها بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا..... -
- 97.....المبحث الثاني: حواضر تجكانت وفنّها المعماري..... -
- 97.....أ- حواضر تجكانت..... -
- 97.....حاضرة توات..... -
- 101.....حاضرة تينقي..... -
- 103.....حاضرة تقبه..... -
- 104.....حاضرة تندوف..... -
- 119.....حاضرة شنقيط..... -
- 121.....حاضرة ولاته..... -
- 125.....حاضرة تيشيت..... -

- 128..... - حاضرة تنبكتو.
- 129..... - حاضرة أروان.
- 131..... - حوز مراکش والسمارة ووادي نون.
- 134..... (ب) - الفن المعماري لتجكانت.
- 136..... - الفن المعماري لحاضرة تينقي.
- 136..... - الفن المعماري لحاضرة تندوف.
- 141..... - الفن المعماري لحاضرة تقبه الجكنية.
- 142..... - الفن المعماري لموقع بقلابت تجكانت.
- 143..... - خلاصة الفصل.
- 145..... - الفصل الثالث: الإسهامات العلمية لقبيلة تجكانت.
- 145..... - المبحث الأول: علماء تجكانت الإسهامات العلمية والتصوف.
- 145..... (أ) - التعريف بأعلام تجكانت.
- 162..... (ب) - رحلات علماء تجكانت إلى الحج.
- 170..... (ج) - حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية عند تجكانت:
- 182..... - المبحث الثاني: التعليم الحضري في حواضر تجكانت.
- 182..... (أ) - تعريف الحضرة وخصائصها.
- 182..... - تعريف الحضرة.

- 184..... خصائص التعليم في المحاضر.
- 189..... (ب)- المواد المدرّسة في المحاضرة في مختلف الفنون العلمية.
- 196..... خلاصة الفصل.
- 199..... الفصل الرابع: الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتجكانت.
- 199..... المبحث الأول: النشاط التجاري لقبيلة تجكانت .
- 200..... (أ)- التجارة الحكينية؛ البضائع والسلع.
- 200..... الملح.
- 200..... الذهب.
- 200..... العاج.
- 201..... ريش وبيض النعام.
- 201..... العبيد.
- 202..... (ب)- العملة المتداولة في تجارة تجكانت.
- 202..... المتقال الذهبي.
- 202..... الريال.
- 203..... الملح.
- 203..... عملات أخرى متداولة.
- 204..... (ج) - الطرق والمسالك والصعوبات التي تواجه القوافل التجارية.

- 204..... - الطرق والمسالك التجارية.
- 206..... - العوائق والصعوبات التي تواجه القوافل التجارية.
- 209..... (د) - نماذج من تجار تجكانت.
- 209..... - محمد العبد بن محمد الحرطاني.
- 210..... - التاجر الكنتي بن الصالح الشانعي الحكني.
- 211..... - الشيخ عبد الله بن محمد العبد بن محمد الحرطاني.
- 212..... - محمد البشير بن محمد العبد بن محمد الحرطاني.
- 212..... - عبد الله بن محمد الصغير.
- 212..... - محمد الصغير بن محمد المختار بن بلعمش.
- 213..... - تجار أروان الحكنيون.
- 213..... - المبحث الثاني: الواقع الاجتماعي لقبيلة تجكانت.
- 213..... (أ) - الخطبة والزواج.
- 218..... (ب) - مكانة المرأة عند تجكانت.
- 219..... (ج) - الاحتفالات الدينية وعادات الطعام والشراب لتجكانت.
- 219..... - الاحتفالات الدينية.
- 219..... - عادات الطعام والشراب.
- 224..... - المبحث الثالث: جوانب من الواقع الثقافي لتجكانت.

- أ- الثقافة الشعبية الحسانية عند تجكانت. 224.....
- ب- الأمثال والحكم في المجتمع الحكيم. 230.....
- ج- الشعر والشعراء عند تجكانت. 234.....
- الشعر العربي الفصيح . 235.....
- الشعر الشعبي الحساني. 237.....
- خلاصة الفصل. 238.....
- الخاتمة..... 240.....
- الملاحق..... 251.....
- ثبت المصادر والمراجع. 289.....
- الفهارس 316.....
- ملخص الدراسة .. 336.....

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الدور الحضاري لقبيلة تجمكانت في حواضر الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا خلال القرنين 12-13هـ / 18-19م. وقد تناولت في ذلك؛ التعريف بالوسط الجغرافي والبشري لتجمكانت، وتتبع فروع وحواضر هذه القبيلة، كما تطرقت أيضا للتصوف والإسهامات العلمية لعلماء تجمكانت، إضافة إلى التعريف بثقافتها الشعبية البيضانية، وإظهار دورها في تجارة القوافل الصحراوية. وقد خلصت هذه الدراسة في الأخير إلى جملة من الاستنتاجات تؤكد في مجملها أن تجمكانت قبيلة علمية بالدرجة الأولى؛ وهو ما يثبتته الإنتاج العلمي الكبير لتجمكانت، وكثرة علمائها الذين برزوا وألّفوا في مختلف العلوم الشرعية واللغوية، إضافة إلى تعدد محاضرها العلمية، وتأسيسها لعدة حواضر صحراوية عرفت ازدهارا اقتصاديا وثقافيا ساهمت بشكل كبير في تعزيز التواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء الكبرى.

الكلمات المفتاحية: تجمكانت - الحواضر الصحراوية - علماء تجمكانت - القوافل التجارية - الثقافة البيضانية - التصوف.

Abstract:

This study aims to present and identify Tadjkant tribe and its civilizational role in Saharian cities moreover in the West of Africa during the 12th-13th/18th-19th centuries, It has dealt with introducing the geographical and human milieu of Tadjkant, tracing the branches and metropolises of this tribe, and also touching on mysticism and the scientific contributions of the scholars of Tadjkant, and popular cultures inside the Bidan society, besides to demonstrate its role in trade of the Saharian caravan. The researcher finally extracted some results which confirm that Tadjkant tribe takes care in science considerably in the first place.

The mirror of this fact translated by the big scientific writing (production) of Tadjkant besides its numerous and diverse scholars who wrote in various linguistic and legislative sciences, Without forgetting its diversity of sciences cities and its establishing of big cities in the heart of desert metropolises that witnessed economic and cultural prosperity, which contributed greatly to the promotion of cultural communication between the two shores of the Sahara .

Key words: Tadjkant – the metropolises of the Sahara – Tadjkant scholars – trade caravans – bidan culture – Sufism.